بستان الواعظين ورياض السامعين

لأبي الفرج ابن الجوزي

(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) = (١١١٤) - (١٢٠١م)

تحقيق وتعليق
مجدي محمد الشهاوي

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الإيمان بالمنصورة
امام جامعة الأزهر
ت (٣٥٧٨٨٢)

تقديم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً النبى ﷺ عبده ورسوله ، وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد النبى ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١)

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (٢) ..، ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم * ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ (٣)

ثم أما بعد :

فقد اخترنا من ذخائر كنوز تراثنا الاسلامى هذا الكتاب الطيب للامام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله ، والكتاب الذى بين أيدينا حافل بالمواعظ والأشعار والرقائق، فكان بستاناً للواعظ وروضاً للسامع والقارىء ، انتقى فيه مؤلفه - رحمه الله - من بساتين الزهد والرقائق والمواعظ ، فكان حافلاً بما يرقق القلوب ويردع النفوس اللاهية عما هى فيه من غى وضلال ، وإن كنا نأخذ على كتابنا هذا أنه ملىء بالأحاديث الغريبة العجيبة ، والتى لم نعثر على أكثرها فيما بين أيدينا من مصادر الحديث •

وعلى كلٍ فهذا هو عملنا المتواضع وبضاعتنا المزجاة ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل فى هذا العمل إضافة للقارىء المسلم وللمكتبة الاسلامية .

المحقق / مجدى محمد الشهاوى

---

(١) آل عمران : ١٠٢ (٢) : النساء : ١ (٣) الاحزاب : ٧٠_ ٧١

التعريف بالمؤلف

هو العلامه عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله بن حمادى بن أحمد ابن محمد بن جعفر الجوزى ، الشيخ الحافظ الواعظ ، أحد أفراد العلماء ، برز فى علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة ، وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفى طريقته وشكله ، وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعانى البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك ، بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة الكثيرة ، هذا وله فى العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والطب والفقه والفلك والنحو واللغه وغير ذلك .

مؤلفاته : -

ذكرنا أن له أكثر من ثلاثمائه كتاب ومنها : -

- الأذكياء
- أخبار الحمقى والمغفلين
- تلبيس ابليس
- اللطائف
- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم
- فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن
- مناقب عمر بن الخطاب
- مناقب عمر بن عبد العزيز
- صيد الخاطر
- جامع المسانيد
- بستان الواعظين .... وغيرها كثير .

وكانت وفاته ببغداد رحمه الله سنة ٥٩٧ هـ (= ١٢٠١م) [١]

---

(١) للمزيد عنه انظر :

البداية والنهاية (١٣/ ٢٨ - ٣٠)، الأعلام (٣/ ٣١٦ - ٣١٧) معجم المؤلفين (٥ / ١٥٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٩) ، سير أعلام النبلاء (٨٣/١٣) ، وغيرها .

بسم الله الرحمن الرحيم

١- مجلس في الاستعاذة

قال الله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ (٢) المعنى : فاستعذ بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن ، يقال أعوذ بالله ملاذاً وعياذاً ، ويقال هذا عوذ لى مما أخاف منه ، أى مجيرى والدافع عنى . وتسمى المرأة عائذا لأنها تعوذ بولدها . والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان .وكان النبى ﷺ يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار . وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل ، والجبن والهرم ، والكسل ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم . أعوذ بالله وأحتمى بالله وأستكفى بالله ، يا قارىء يا تالى بمن تعوذ ، بمن تلوذ ، بمن تستغيث ، بمن تستجير ، بمن تستنصر ، بمن تعتصم ، بمن تحتمى ، بمن تستكفى ؟ إلا بالله ! !

نصائح

اعلم أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين . أعوذ بالله من الذنوب والعصيان ، أعوذ بالله من الضلال والخذلان ، أعوز بالله من سخط الرحمن •

اعلـم ياأخـى أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم مـن شر الظالمين ،

---

(١) فصلت : ٣٦ (٢) النحل: ٩٨

فأحرى أن يسلم المستعيذ برب العالمين من الشيطان العدو اللعين . روى عن النبى عليه السلام أنه قال: « من استعاذ بالله فى اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم وكّل الله بـه ملكاً يذود عنه شر الشيطان كما تذاد [1] الغريبه من الإبل عـن الحوض فكيف لا يسلم المستعيذ بالله من الشيطان والملك يذود عنه بأمر الملك الديان ؟!

كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام ، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام ، أعوذ بالله من ارتكاب الكبائر والآثام ، أعوذ بالله من سخط الملك العلام ، أعوذ بالله من عدم التوفيق لحسن العمل ، أعوذ بالله من الركون الى طول الأمل ، أعوذ بالله من تمزيق الأعمار ، فى مخالفه هدى الأبرار ، ونستعينه على تطهير القلوب من طوالع الارتياب، وجنايات الاغتياب ، فإنه داء قد أعيا دواؤه ، وتعذر شفاؤه ، وعم بلاؤه ، كما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بليه ، فلذلك نسأله علماً نافعاً ، وعملاً متقابلاً ، وإيماناً صريحاً ، ويقيناً صحيحاً . أعوذ بالله من رأى يكون ضلالاً ، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة ووبالاً أعوذ بالله من نية تعقب وزراً ، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شراً أعوذ بالله من عدم التوفيق ، أعـوذ بالله مـن ترك التحقيق ، أعـوذ بالله مـن تـرك السـعة والرجوع الـى الضيق .

تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا فى إخراج أبيكم أدم من الجنه دار الأمان ، وهبوطه إلى دار الذل والهوان ، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان . وقد نهاكم مولاكم عن طاعته ، وأمركم بمعصيته، فإن فى طاعته سخط الرحمن ، ومعصيته توجب سكنى الجنان، ونزول محل الرضوان ... ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾[2] فمن أطاعه خذله وصده عن الهدى ، وفتح فى قلبه أبواب الضلاله والردى .

---

(١) الذَّوْدُ : السَّوْقُ والطرد والدفع (٢) البقره : ٢٦٨

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ (١) أعوذ بالله من وسواس الصدر ، أعوذ بالله من المكر والغدر ، أعوذ بالله من شتات الأمر ، أعوذ بالله من قله الشكر ، أعوذ بالله من عذاب القبر ، أعوذ بالله من ترك المتاب ، أعوذ بالله من شده العذاب ، أعوذ بالله من مناقشه الحساب ، أعوذ بالله من غضب رب الأرباب •

التعوذ عبادة

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم فى محكم القرآن الكريم. الله الله لا تقروا عين عدوّكم الشيطان ، فإنه يؤديكم الى عذاب النيران ، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان ، أعوذ بالله من مرديات الأعمال ، أعوذ بالله من الغى والمحال ، أعوذ بالله من سخط ذى الجلال

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الاعداء ، وصار فى حرز (٢) ذى النعم والآلاء ... ومن استعاذ بالملك الرحمن ، سلم من شر العدوّ الشيطان والاستعاذه أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم ، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللئيم، أعوذ بالله من شهادة الزور ، أعوذ بالله من ركوب الفجور ، أعوذ بالله من الغى والنفور ، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور ، أعوذ بالله من الركون الى دار الغرور ، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور •

تعوّذ النبى ﷺ

روى عن النبى ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من صاحب غفله، وقرين سوء ، وزوج أذى ، أعوذ بالله من شماته الأعداء ، أعوذ بالله من خيبه الرجاء، أعوذ بالله من عضال الداء ، أعوذ بالله من مخالفة الهدى ، أعوذ بالله من أفعال الردى، أعوذ بالله من سخط ذى النعم والآلاء ، أعوذ بالله من عثرات اللسان ، وأعوذ بالله من النميمه والخذلان ،أعوذ بالله من الغيبة والبهتان (٣) ،أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان

---

(١) الفرقان ٢٩ (٢) حرز : حصن (٣) البهتان : الباطل

أحاديث فى عذاب القبر

روى عن النبى ﷺ أنه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثم قال : « الآن أقعدوه ، والأن سألوه ، والذى بعثنى بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً » ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول ، ثم قال ﷺ لأصحابه : ولولا أنى أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذى أسمع » فقالوا : يارسول الله ماكان فعل هذين الرجلين ؟ فقال عليه السلام : « أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستنزه من البول »

أسباب عذاب القبر

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يعذب أحدٌ فى قبره الا بإحدى ثلاث : فى الغيبة والنميمة والبول » فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان ، وأذى الجيران ، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن ، ويقرب من الشيطان ، ويصد عن الجنان ، ويؤدى إلى النيران ، أعوذ بالله من علة الدين ، أعوذ بالله من ضعف اليقين ، أعوذ بالله من الشيطان اللعين ، أعوذ بالله من سخط رب العالمين ، أعوذ بالله من الشيطان المثبور ، أعور بالله من عذاب القبور ، أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور ، أعوذ بالله من الصدّ من دار الحبور ، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور ، أعوز بالله من عقوبة من يعلم مافى الصدور .

القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم . وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس فى آى كثيرة من القرآن . فمن استعاذ بالملك الوهاب ، من شر الشيطان الكذاب ، فقد عمل بالسنه وأحكام الكتاب . والقرآن شافع لمن عمل به ، وخصم على من لم يعمل به .

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتنزيل ، ويبعدكم عن الملك

الجليل ، ويلقيكم فى معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل ، فى اليوم الهائل العبوس [(١)] الثقيل

لكل أحد شيطان

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : قلت يارسول الله مامن أحد إلا ومعه شيطان ؟ قال : « نعم » قالت : وأنت يارسول الله ؟ قال : « وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم » [(٢)] أعوذ بالله من خشوع النفاق ، أعوذ بالله من البعد والفراق ، أعوذ بالله من مخالفه الملك الخلاق ، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق ، أعوذبالله من الخلاف بعد الوفاق . وأنشدوا :

ويحك عُذْ بالله ذى الجلالِ ... والمجد والنعماء والإفضالِ
ثم اتْلُ آياتٍ من القرآنْ ... ووحِّد الله ولا تبالِ

أعوذ بالله من عبدٍ شارد ، أعوذ بالله من شيطان مارد ، أعوذ بالله من عدو حاسد ، أعوذ بالله من قلب فاسد ، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد ٠

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيراً أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشّطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه ، وأعرض عمن سواه وآثر رضاءسيده على هواه ، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه ٠ وإذا أراد بعبده شرا مكّن منه شيطانه وسلّطه عليه فأبعده عن طاعة الجبار ، وكسّله عن عمل الأبرار ، وحبب إليه ، أعمال أهل النار ، وبغض إليه أعمال أهل دار القرار ٠

فرح الشيطان بالعاصى الجاهل

روى عن النبى عليه السلام أنه قال : « إذا بلغ الرجل أربعين سنه ولم يغلب خيره على شره قبّلَه الشيطان بين عينيه وقال : فديت وجهاً لا يفلح أبداً » [(٣)] فإن منّ الله وتاب عليه واستنقذه من الضلاله واستخرجه من غمرات الجهالة يقول الشيطان

---

(١) العبوس : الشديد ٠٠ ، وفى القرآن: ﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴾

(٢) رواه مسلم وأحمد والبيهقى٠ (٣) لم أجد له أصلا ٠

لعنه الله واويلاه قطع عمره فى الضلالة فأقر بالمعصية عينى، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزنى• فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان وارجعوا بالتوبة إلى مولاكم الرحمن، فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران إنه كريم متفضل منان• أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة ، وأعوذ بالله من الغرّة [1] بعد الإرادة ، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة • أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان ، أعوذ بالله من القطيعة والحرمان ، أعوذ بالله من طاعة الشيطان ، أعوذ بالله من العقوبة والهوان ، أعوذ بالله من نقص العهود ، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود ، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود ، أعوذ بالله من سخط ذى الكرم والجود •

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب ، بصير بإلقاء العبد فى الذنوب ، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب • أعوذ بالله من قلب لا يخشع ، أعوذ بالله من عين لاتدمع أعوذ بالله من علم لا ينفع أعوذ بالله من المصير الى عذاب الله ، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته • أعوذ بالله من زيغ القلوب ، أعوذ بالله من تتابع الذنوب ، أعوذ بالله من ترادف العيوب ، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب • أعوذ بالله من مضلات الفتن ، أعوذ بالله من البلاء والمحن ، أعوذ بالله من سخط ذى الجود والمنن• أعوذ بالله من النقص بعد التمام ، أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام ، أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام.

جنود إبليس

ذكر فى بعض الأخبار أن إبليس – لعنه الله – يبعث فى كل يوم ثلاثمائة وستين عسكرا لإضلال المؤمنين ، والله تعالى ينظر فى قلوبهم ثلاثمائه وستين نظرة ففى كل نظرة من نظراته تهلك عسكرا من عساكره فأنى تبقى عسكر للشيطان فى جنب نظرة الرحمن ؟ !!

---

(١) الغفلة

فالله الله عباد الله لاتقبلوا وسواس الشيطان المخدوع ، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع ، وأسيلوا على مافرطتم غزير الدموع • أعوذ بالله من عواقب الخلاف ، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف ، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف • أعوذ بالله من الباطل وشره، أعوذ بالله من العصيان وذكره • أعوذ بالله من فساد القلب ، أعوذ بالله من ترادف الذنب على الذنب ، أعوذ بالله من سخط الملك الرب •

محاورة إبليس لموسى

روى أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه : لا تخلون بامرأة غير ذى محرم فأكون ثالثكما ، ولا تقضين فأنال منك ، وإذا هممت بصدقه فبادر إليها ، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك فى ذلك سبعين باباً من الفقر أمنعك بها من الصدقة (١)

وقيل فى قول الله عز وجل : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفره منه وفضلاً ﴾ (٢) الآية • أى : يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك ، وقيل : يعدكم الفقر فى طلب فوق الكفاف فيكون عندك مايكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهوالفقر اللازم فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذى يؤدى صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد • وقيل : يعدكم الفقر فى البذل والعطاء فى مرضاة الله عز وجل وهو الغنى لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلا فينبغى للعبد أن يذكر منن الله عليه ، وإحسانه وإفضاله لديه.

أصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال فى محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٣) ومن هو بخيل

---

(١) آكام المرجان للشبلى (ص ٢٢٧)　　(٢) البقرة :٢٦٨

(٣) الحشر:٩ ، التغابن : ١٦

شحيح فليس بواق ولا مفلح • واعلم أن البخل شجرة فى النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهى شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار • وكذلك الكرم شجرة فى الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم ، والكرم من أخلاق الملك الكريم ، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم ، ودليل هذا أن الله تبارك وتهالى لم يبعث نبيا قط إلا وهو كريم ، ولا رأيتم عبدا صالحا إلا وهو كريم . قال فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين ، وهو من أخلاق رب العالمين ، فاستعملوه بينكم يامعشر المؤمنين ، والمؤمنات يا أمه محمد خاتم النبيين • أعوذ بالله من عين لا تبكى عليه ، أعوذ بالله من الذل إلا إليه •

نجاة المستعيذ من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفره منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾ (١) وإنما يأمركم بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه

قال الله تعالى :﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ (٢)أعوذ بالله من اللهو والغفلات ، أعوذ بالله من العذاب والحسرات ، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات •

إخوانى أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان (المهين) الذليل ، واعملوا بالسنة والتنزيل.

خصال الخير عن الإمام على

روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النار مهربا ، أولهما من عرف الله فأطاعه ، والثانية من عرف الشيطان فعصاه ، والثالثة من عرف الحق فاتبعه ، والرابعة من عرف الباطل

---

(١) البقرة: ٢٦٨

فاجتنبه ، والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها ، والسادسة من عرف الجنة فطلبها،فالله الله عباد الله اجتهدوا فى طاعة الرحمن الرحيم • واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم •

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روى عن أبى سعيد الخذرى رضى الله عنه قال: رأيت إبليس اللعين فى المنام منكوساً فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لى: يا أبا سعيد أما علمت أنى لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة؟ ، قال: فقلت له : يا ملعون فما الذى تخافه ؟ قال أخاف من شيئين ، أحدهما استعاذه المستعيذين ، والثانى شعاع معرفه الصادقين •

أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه ، أعوذ بالله ممن لا يبكى على رمسه [1] ، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه •

حكى عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: رأيت ابليس فى المنام عريانا يتلاعب بالناس فقلت:أما تستحى من الناس ؟ فقال الملعون : بالله عليك هؤلاء عندك ناس؟ لوكانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، فقلت له : يا ملعون ومن الناس ؟ قال ثلاثة نفر بمسجد الشيرازى - كذا سمى المسجد - أمرضوا كبدى، وأنحلوا جسمى ، (كلما) هممت بهم أشاروا الى الله تعالى فأكاد أن أحترق ، قال الجنيد: فانتبهت وقد بقى من الليل بقية، فخرجت إلى المسجد الذى ذكر الملعون فدخلته ، فإذا بثلاثة نفر قعود رؤوسهم فى مرقعاتهم فقال لى أحدهم: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئا تقبله ! يا أخى اعلم أن من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم ، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن ابليس اللعين ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [2]وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعا طريق الدين كما أن اللصوص قطاع لطريق الدنيا على المسلمين ، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبى [3] ليصدكم عن الحق والهدى، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين •

---

(١) الرَّمْسُ : القبر (٢) الأعراف: ١٦ (٣) العودة إلى الله

وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ﴾ (٢) الآيه وقد أمر الله تعالى عباده أن (يقولوا) فى الصلاة سبع عشرة مرة فى سبع عشرة ركعة وهى عدد ركعات الفرض : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٣) فأنى يضرك كيد الشيطان الرجيم ؟!

إعلم ياأخى المسلم أن البيت المعمور كان فى الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه الصلاه والسلام فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء . وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى ، لأن البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه ، فشتان مابينهما !

ذكر عن أبى سعيد أنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٤) كأنه يقول إن كان لك عليهم سلطان أن تلقيهم فى معصية الله ، فليس لك عليهم أن تمنعهم من مغفرة الله •

وقول آخر ، إن كان للشيطان سلطان فى إلقاء العبد فى المعصية ، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان فى تطهير العبد من الخطيئة، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة من مغفرة الرحمن فى قلوب أهل الإيمان • أعوذ بالله من كثرة الفساد ، أعوذ بالله من ظلم العباد ، أعوذ بالله من غضب رب جواد ، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد (٥) ، أعوذ بالله من القطع والبعاد • وأنشدوا :

أعوذ بالرحمن من موقف ... يشهده المؤمن والكافر
إن كنت بئس العبد ياسيدى ... فأنت رب سيد غافر

---

(١) الأعراف: ٢٠٠ ، فصلت ٣٦
(٢) النحل :٩٩
(٣) الفاتحه : ٦
(٤) الحجر: ٤٢، الإسراء :٦٥
(٥) أى يوم القيامة

ضعف الإنسان والشيطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الإنسان ضعيفا ، وقال فى آية أخرى ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (١) والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحد منهما معين لم يظفر بصاحبه ، فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه ويعينه عليه • من كان فى معونته الإله العظيم ، لم يضره كيد الشيطان الرجيم ، من كان فى معونته الملك الوهاب ، لم يضره كيد الشيطان الكذاب ، من كان فى معونته الملك القهار ، لم يضره كيد الشيطان الفرار ، من كان فى معونته الملك الرحمن لم يضره كيد الشيطان ، وأنشدوا :

العبد فى جوار الإله وحفظه   من كل شيطان غوى ساه
إن عاذ بالرحمن عند صباحه   وكذاك إن أمسى بذكر الله

دعاء يعصم من الشيطان

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى: أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، قال قرينه: عوفى هذا العبد منى اليوم »

شعر :

يارجائى فى بلائى   لا تزل عنى خيرك
أنت ربى أنت حسبى   أنا لا أعبد غيرك

أعوذ بالله من عدم الإخلاص ، أعوذ بالله من هول يوم القصاص ، أعوذ بالله من ترك الاستقامة ، أعوذ بالله من العذاب والملامة ، أعوذ بالله من هول يوم القيامة ، أعوذ بالله من حرمان الكرامة •

لماذا حجب الله ابليس

ياأخى إن الله تعالى لما قبح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته ، وأوحش هيأته

وقامته ، لطف بعباده حيث ستره عنهم ، حتى لا تستوحش قلوبهم اذا أبصرته أعينهم ، ولذلك جعل المولى جل جلاله السماء موضع نظرهم ، وزينها بعلامات الرسوم ، وحفظها من الشيطان الرجيم برواصد النجوم ، فكأنه قال سبحانه : ياعبادى لا يصلح لأبصاركم ماكان مشوها قبيحا ، بل يصلح لها ما كان مزينا مليحا ، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس فى الدنيا فأولى أن يلطف بالمؤمنين فى العقبى ، يصون أبصارهم عن النظر الى النار الكبرى وهى الجحيم ، ويكرمها بالنظر الى الدار المزينه وهى جنه النعيم ، أعوذ بالله من مخالفة الأحكام ، أعوذ بالله من التمادى فى الآثام ،. أعوذ بالله من معصية السلام ، أعوذ بالله من عذاب القبر .

زينة السماء

روى عن النبى ﷺ أنه قال: « لما خلق الله تبارك وتعالى الجنه قال لها:تزينى فازينت ، ثم قال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون » [١] فجعل الله تعالى السماء فى الدنيا موضع نظرك ، وجعل الجنة المزينة فى العقبى موضع ترغبك ، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون فى الدنيا وغيبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته ، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد على رؤوس الأشهاد . لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ [٢] فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن أنا حبيبك الأعظم ، وإن إبليس عدوك الأعظم ، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها ، وترادف همومها وغمومها ، أهون عليك . وكان أيضا يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم ، ورؤيتك عدوك الأعظم ، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك

أعوذ بالله من التضليل والتسويف ، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف ، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير لقوله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾

(٢) الأعراف : ٢٧

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله عليه قال :رأيت إبليس اللعين فى المنام فقلت له أى شىء أشد عليك ؟ فقال : إستعاذة المستعيذ برب العالمين الذى هو ارحم الراحمين .

طهارة العاصى ونجاسة المعصية

واعلم يأخى أ ن العبد المؤمن وإ ن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه ، وإنما مثله كمثل الواقع فى نجاسة وبين يديه غدير ماء طاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه فى النجاسة ، فيكون سبباً لطهارته من المعصية ، كذلك نفس المؤمن وإن كانت فى نجاسه المعصيه فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سبب لطهارته من المعصية، والأصل فى هذا أن الله يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبى ﷺ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » (١) وفى هذا الحديث نكتة حسنة وهى أن المنافق يذكر كلمه التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامه على إقراره باللسان ، هكذا المؤمن يعمل المعاصى بالإدمان لكنه لا يرضاها فنرجوا ألا يعاقب . شعر :

إنى تعوذت بالعظيم | الأول الآخــر القــديم
ذى الطول والفضل والمعالى | الماجـد الواجـد الكريم
من شر نفسى ومـن هواها | وشـر شيطانـها الرجيـم

أعوذ بالله من شر لا يزول ، أعوذ بالله من عذاب لا يحول ، اعوذ بالله من مخالفة الرسول .

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين ، والتمسك بسنة خاتم النبيين، وبمخالفة الشيطان اللعين ، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين ، ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين ، وتنظروا إلى وجه رب العالمين.

---

(١) رواه مسلم واحمد وابن ماجه

أعوذ بالله الذى لم يتخذ ولدا وقدّر خلقـــــه تقديـرا
أعوذ بالله العلى مكـــــانه ذى العرش لم نعلم سواه مجيرا
من حر نار لا تفتر عنهم مـن حرها للظالمين سعيرا
والسـلاسل والعذاب لمن طغى يدعون فيهـا حسرة وثبورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية ، أعوذ بالله من القلوب القاسية ، أعوذ بالله من الهوام العادية ، أعوذ بالله من اللصوص الضارية ، أعوذ بالله من جور السلاطين ، أعوذ بالله من كيد الشياطين ، أعوذ بالله من أذى المساكين .

إخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة .

وروى عن عن مجاهد رضى الله عنه أنه قال : من ذرية ابليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الاسواق يضع فيها رايته كل يوم . فالله الله عباد الله ، لا تبذلوا مهجتكم للنيران ، ولا ترضوا بالزيادة والنقصان ، فى المكيال والميزان ، فإن ذلك يؤدى إلى عذاب النيران .

كيف اهلك النبى عفريتا

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه ، فجعل النبى ﷺ يقرأ ، فإذا بعفريت قد أقبل من مردة الجن وفى يده شعلة نار وهو يقرب من النبى ﷺ ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته ؟ قال له : قل : أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر ، من شر ماذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، فقالها النبى ﷺ فكب العفريت على وجهه ، وطفئت شعلته .

سليمان وإبليس

وذكر أن إبليس لعنه الله لقى سليمان عليه السلام فقال له سليمان : يا ملعون ما أنت صانع بأمه محمد ﷺ ؟ فقال له الملعون : ياسليمان لا أدعهم حتى تكون الدنيا والدرهم أشهى عندهم من شهادة أن لا إله إلا الله . فتحفظوا رحمكم الله من هذا

كله فإنها حبائل الشيطان .

نصائح من خطبة الوداع

روى عن النبى ﷺ انه قال فى خطبه الوداع : « أيها الناس إنى لكم ناصح أمين ألا وإن إبليس قد يئس منكم لا تعبدون صنما أبدا ، ولكن والذى بعثنى بالحق ليجعلنكم إبليس ـ لعنه الله ـ أن تعبدوا ألف إله ، يعبد الرجل إبله ، والآخر امرأته ، والآخر غنمه ، والآخر حرثه ، والآخر تجارته ، والآخر صنعته ، والآخر مركبه ، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل :كيف حالك ؟ فيقول له :لولا تجارتى ما كان لى حال والآخر يقول لولا حرثى ، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه فى دنياه ، ويقطعه عن أخراه »

يا ابن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك ، وما احتقارك بمن إليه افتقارك ، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائما وبالليل نائما ، متى ترضى من كان بأمرك قائما يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق ، الذى يتكفل بقسمه الأرزاق ، توكل يا أخى عليه ، واسند أمورك إليه ، فإنه لا يملكها غيره .

أعوان الشيطان من بنى آدم

روى عن النبى ﷺ انه قال : « إن للشيطان أعوانا من بنى آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاه ، وعن الصدقه وعن ذكر الله ، ويحبب إليهم كسب السحت والحرام ، والذى بعثنى بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الاوثان »

أعوذ بالله من الركون إلى الهوى ، أعوذ بالله من الضلاله والردى ، أعوذ بالله من معصية إله السما .

آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبد الله بن سهل التسترى رحمه الله قال : لما أخرج آدم من الجنه دار الكرامه والامان وأنزله إلى دار الذل والهوان والبلاء والإمتحان ، قال الله تعالى : يا ابن آدم أسكنتك فى جوارى فعصيتنى ، وأطعت الشيطان وتركتنى ، وعزتى وجلالى لأسكننك فى جواره لتطيعنى وتعصيه ، وتحبنى وتبغضه ، فإذا كان يوم القيامه أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة

جاء فى بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وذريته أودع قلبه أربعه أشياء ، وهى : المعرفه ، والعقل ، والإيمان ، واليقين . فصار خزانة لهذه الأشياء ، وسلط على قلبه أربعه أعداء وهم : إبليس ، والهوى ، والنفس ، والدنيا . وضمن إبليس لاصحابه الوصول إليها كما قال تعالى فى كتابه ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ (1) فلما علم المولى جل جلاله عن ضعف ابن آدم وقله مقدرته على مدافعته علمه أربعه أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهى : يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن . فكأنه سبحانه قال : يا ابن آدم أنا الاول احفظ معرفتك لى من بين يديك ، وأنا الآخر احفظ عقلك ، وأنا الظاهر احفظ إيمانك عن يمينك ، وأنا الباطن إحفظ يقينك عن شمالك .

إختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء ، ما الحكمه فى أن لم يعط إبليس إثنان من بنى آدم وأعطى أربعة ؟ أعطى من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله . من الجهات الأربع ، ولم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت ؟ قال : لأن الأربع جهات تدخلها المشاركه فى الأعمال ، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين ، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدى رب العالمين . عصمنا الله وإياكم من فتنته عصمة يدخلنا بها فى رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين ، إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(1) الأعراف : ١٧

٢ـ مجلس فى ذكر القيامة وأهوالها
أجارنا الله منها

سورة الزلزلة وما تشير اليه

قال الله عز وجل : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [١] هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى به عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان ، ويمتثلوا ماأمرهم به من الطاعة والإيمان ، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها • قال الله سبحانه وبحمده: ﴿ اذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها ، فلا تزال كذلك حتى يكسر ماعلى ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل فى بطنها جميع ماخرج منها وزلزلتها من شده صوت إسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها • وذلك إذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم ، وترك الجهاد ، وظهر الفساد ، وفشا الربا ، وكثر اللواط والزنا ، وركبوا الفواحش والفجور ، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور ،وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه ، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم ، وقرىء القرآن فلم يعمل به ، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب ، وتزين الفساق بالمعاصى والذنوب فإذاكانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله: يا إسرافيل انفخ الصعق ، فينفخ اسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها الى مغربها ، وذلك من غضبة يغضبها الجبار

---

(١) الزلزلة : ١

على المنافقين والفجار ٠

صفة اسرافيل

واسرافيل عليه السلام ملك عظيم ، جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب ، ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بخمسمائة عام ، والسموات السبع إلى ركبتيه ، وعنقه ملوى تحت العرش ، والعرش على كاهله ٠ وقد مدّ الرِّجْلَ اليمنى وأخر اليسرى ، واللوح المحفوظ بين عينيه ، وقد التقم الصور ، وشخص ببصره نحو العرش ، وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ فى الصور ، والصور قرن من نور٠

قال النبى ﷺ : « الصور قرن من نور ، والذى نفسى بيده إن أعظم ثاره فيه كما بين السماء والأرض »

وروى عنه ﷺ أنه قال:«كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصوروحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فى الصور »[(١)] فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلا أربعه أملاك فإنهم لا يموتون إلا بعد موت الخلائق وهم ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فمن شده صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها الى مغربها فلا يبقى عليها بناء إلا انهدم إلاّ المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى ، لما عبد فيها ووحد وقرىء كلامه فيها وذلك قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [(٢)] جاء فى التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملا يراد به وجه الله تعالى ، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بنيت لوجه الله تعالى٠

خشيه النبى من هبوب الريح

روى عن النبى ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه ، وكان يخرج ويدخل مره بعد أخرى من شده خوف قيام الساعة وزلزلة الأرض ، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف

---

(١) أخرجه أحمد والطبرانى بسند جيد عن زيد بن أرقم وأخرجه أحمد والحاكم والطبرانى عن ابن عباس
(٢) القـصص : ٨٨

هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله ؟ فكيف بمن أفنى عمره فى السهو والغفلات ، وقطع أيامه باللهو والبطلات ، وضيع أوقاته فى العصيان حتى مات ؟؟

وأنشدوا :

نهارك يامغرور سهوٌ وغفلـــةٌ ... وليلك نــومٌ والردى لــك لازمٌ
وشغلك فيما سوف تكره غبـــه ... كذلك فى الدنيا تعيــش البهائم
وفعلك فعل الجاهلين بربهـــم ... وعمرك فى النقصان بل أنت ظالم
فلا أنت فى الأيقاظ يقظان حاز ... ولا أنت فى النوام ناجٍ وسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنـــى ... كما سر باللذات فى النوم حالـــم
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ... ولا تكثر العصيان إنك ظالـــم

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « إنتهيت ليلة أسرى بى الى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته ، وقدم رجلا وأخر أخرى ، والعرش على منكبه ،والصور فى فيـه بين شدقيه ، تهيأ للنفخ فى الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغنى النفخه لما رأيت مـن تهيئته للنفخ » ..... سـئـل رسـول اللـه ﷺ عـن إسـرافيـل فقال: « له جناح بالمشرق وجناح له بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله ، وإنه ليفكر فى كل يوم ثلاث ساعات فى عظمة الله تعالى ، فيبكى من خوف الجبار حتى تجرى دموعه كالبحار ، فلو أن بحرا من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض ، وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوَصَع » طير صغير يشبه العندليب ، والعندليب أصغر مايكون من الطير ، فالله الله يامعشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها .

قال الله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ (١) تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال وتنقلع الشجر وتنهدم المبانى فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شىء إلا دخل فى جوفها ·

قـال عكرمـه: إنما تقـوم السـاعـه علـى شـــر الخـلـق .

---

(١) الزلزلة: ١

متى ينفخ فى الصور

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبى ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافه أن يصيبنى ، فكان النبى ﷺ يقول: « فى آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو فى وطنه ومنهم من هو فى سوقه ومنهم من هو فى حرثه ومنهم من هو فى سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمةإلى فيه حتى يخمد ويصعق . ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم » .

وإسرافيل لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ، ويدخل الكل بعضه فى بعض فى بطن الأرض ، والناس خمود صرعى ، فمنهم من هو صريع على وجهه ، ومنهم من هوصريع على ظهره ، وعلى جنبه وعلى خده ، ومنهم من يكون اللقمة فى فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها ، وتنقطع السلاسل التى فيها قناديل النجوم فتستوى بالأرض من شدة الزلزلة ، وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب ، والسرادقات ، والصافون والمسبحون ، وحملة العرش ، والكرسى ، وأهل سرادقات المجد والكروبيون [١] ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام .

كيف يموت جبريل ؟

يقول الجبار جل جلاله : يا ملك الموت من بقى؟ - وهو أعلم - فيقول ملك الموت : سيدى ومولاى أنت أعلم ، بقى إسرافيل ، وبقى جبريل ، وبقى ميكائيل ، وبقى عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل ، قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى : إنطلق يا جبريل فاقبض روحه ، فينطلق ملك الموت الى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راكعاً فيقول له : ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين ، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام

(١) المقربون .

وسكان السموات وحمله العرش والكرسى والسرادقات وسكان سدره المنتهى وقد أمرنى المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكى جبريل عليه السلام ويقول متضرعا إلى الله تعالى : يا الله هون على سكرات الموت ، فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعا فيقول الجبار جل جلاله : من بقى ياملك الموت ؟ - وهو أعلم - فيقول : مولاى وسيدى بقى ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت

كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله : إنطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له : ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك ! ما بقى لبنى آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام ، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسى وسرادقات المجد والكروبيون والصافون والمسبحون وقد أمرنى ربى بقبض روحك ، فعند ذلك يبكى ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت ، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعا ميتا لا روح فيه ، فيقول الجبار جل جلاله : من بقى ؟ - وهوأعلم - يا ملك الموت ؟ فيقول : مولاى وسيدى أنت أعلم بقى إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت .

كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق الى إسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له : ما أغناك يامسكين عما يراد بك ! قد ماتت الخلائق كلها وما بقى أحد وقد أمرنى ربى ومولاى أن أقبض روحك ، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت ، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول : مولاى هون على مراره الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتا صريعا ، فلو كان أهل السموات في السموات وأهل الأرض فى الأرض لماتوا كلهم من شدة وجبة وقعته

كيف يموت ملك الموت

فيقول الجبار تبارك وتعالى : من بقى ياملك الموت ؟ - وهو تعالى أعلم - فيقول : مولاى وسيدى أنت أعلم بمن بقى ، بقى عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى : وعزتى وجلالى لأذيقنك ما أذقت عبادى انطلق بين الجنة والنار ومت ، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا (عن آخرهم) من شدة صيحته فيموت ، فتبقى السموات خالية من أملاكها، ساكنة أفلاكها ، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها . ويبقى الملك لله الواحد القهار الذى خلق الليل والنهار فلا ترى أنيسا ،ولا تحس حسيسا ، وقد سكنت الحركات ، وخمدت الأصوات ، وخلت من سكانها الأرضون والسموات

لمن الملك اليوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول : يا دنيا أين أنهارك ؟ وأين أشجارك ؟ وأين سكانك ؟ وأين عمارك؟ أين الملوك وأبناء الملوك ؟ وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة أين الذين أكلوا رزقى ، وتقلبوا فى نعمتى وعبدوا غيرى ، لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى : الملك لله الواحد القهار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال فى قبره ، ثم يقول : يادنيا أين أنهارك ؟ وأين أشجارك ؟ وأين سكانك ؟ وأين عمارك ؟ وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى : لله الواحد القهار ، فتبقى الأرضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك ، وقد قيل : تبقى أربعين يوما ، وهو مقدار ما بين النفختين ، ثمن بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماؤه يشبه منى الرجال ، ينزله ربنا أربعين عاما فيشق ذلك الماء الأرض شقا ، فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتنبت بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر ٠

كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ إلى قوله

﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ (١) الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماء الحياة ، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل عضو إلى مكانه الذى كان فيه فى دار الدنيا فتلتئم الأجساد بقدره الجبار جل جلاله وتبقى بلا أرواح، ثم يقول الجبار جل جلاله : ليبعثن إسرافيل ، فيقوم إسرافيل عليه السلام حيا بقدره الله تعالى فيقول له الجبار : يا إسرافيل التقم الصور وازجر عبادى لفصل القضاء ، فأول ما يحيى الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور.

صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد ، فتجتمع الأرواح كلها فتجعل فى الصور.

أين يقف إسرافيل ؟

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس ، وينادى فـى الصور ، وهو فى فيه قد التقمه ، والصخره أقرب مافى الأرض الـى السماء ، وهو قوله تعالـى ﴿ واستمع يوم ينادى المنادى مـن مكان قريب ﴾ (٢) ويقـول إسرافيل فـى ندائـه: أيتها العظام البالية ، واللحوم المتقطعة ، والأشعار المتبددة ، والعروق المتمزقة ، لتقمن إلى العرض على الملك الديان ، ليجازيكن بأعمالكن . فإذا نادى إسرافيل عليه السلام فى الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره ، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة ، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر ، وإسرافيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض ، ثم تدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد ، فيدخل كل روح إلى جسده الذى فارقه فى دار الدنيا فتدب الأرواح فى الأجساد كما يدب السم فى الملسوع ، حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت فـى دار الدنيا ، ثم تنشق الأرض مـن قبل رؤوسهم فإذا هم قيام

---

(١) الأعراف : ٥٧ (٢) ق : ٤١

على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ، وإسرافيل عليه السلام ينادى بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مدا ، والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة .

ملازمة الأعمال للأجساد

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذى عمله فى الدنيا ، لأن عمل كل إنسان يصحبه فى قبره ، فإذا كان العبد مطيعا لربه وعمل عملا صالحا كان أنيسه فى الدنيا ، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم يوم القيامة وكروبها ، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو إلى أهوال من أهوال يوم القيامة جزع ، فيقول له عمله : يا حبيبى ماعليك من هذا شىء ، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذب بآياته واتبع هواه ، وأنت كنت عبدا مطيعا لمولاك: ، متبعا لنبيك تاركا لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حتى تدخل الجنة .

العمل السوء وهيأته

وإذا كان العبد خاطئاً وعاصيا لذى الجلال ومات على غير توبة وانتقال ، فإذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذى عمل فى دار الدنيا وكان قد صحبه فى قبره ، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه رآه أسود فظيعا فلا يمر على هول ولا نار ولا شىء من هموم القيامة إلا قال له عمله : يا عدو الله هذا كله لك وأنت المراد به ، وأنشدوا :

أى يوم يكـون يوم النشور ... يوم فيه يفوز أهـل القبور
يوم فيـــه الجزاء جنة عدن ... لمطيع ومن عصى فى سعير
خاب من قد عصى وفاز مطيع ... راقب الله فى جميع الأمور
قام فى الليـل للإله ذليـلا ... ليس يخلو من خوفه للقدير
خاف من عظم يوم هول شديد ... شدة الهول من عذاب الزفير

فالله الله عباد الله ، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام ، واهجروا الفواحش

والآثام ، وارجعوا إلى طاعة الملك العلام ، من قبل أن يأتي يوم تشقق السماء فيه بالغمام •

إخراج الأرض مافيها

قال الله تعالى ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ (١) يعني مافيها من الموتى والكنوز ، وماأودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم من أعمال الطاعة وأعمال العصيان فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد ، وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجدعمله على شفير قبره ، فإذا كان عمله صالحا وجده نورا يستره ويحجبه ، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة ، وإن كان عملا سيئا وجده ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة .

هذا كله في النفخة الثانية ، وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة ، فهو قوله ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ .

فمثل لنفسك يامغرور وقد ترادفت (٢) عليك الهموم والكروب ، وأحاطت بك الأهوال والخطوب ، وأظهرت لك القبائح والعيوب ، وأثقلت ظهرك الأوزار والذنوب ، وأنشدوا :

قد سودت وجهي المعاصي ... وأثقلت ظهري الذنوب
أورثني ذكرها سقاما ... فليس لي في الورى طبيب
ياشؤم نفسي غداة حشري ... إذا أحاطت بي الكروب
وصوت داع دعا باسمي ... أين مفري وما أجيب ؟
هذا كتاب الذنوب فاقرأ ... فعندها تظهر العيوب

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقف عليها ، فاذا نظر إلى ما قدم في أيامه قال له الملك : يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به في الدنيا ولم تراقب مولاك ، وقد

---

(١) الزلزلة : ٢

(٢) تتابعت

علمت أنه مطلع عليك ويراك .، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه إلى الموقف ، وملك يسوقه سوقا حثيثا بالعنف والانتهار والإغلاظ عليه . وآخر يشهد عليه مع علم الله فيه .

وأنشدوا

كيف احتيالى إذا جاء الحساب غدا ... وقد حشرت بأثقالى وأوزارى
وقد نظرت إلى صحفى مسود ... من شؤم ذنب قديم العهد أو طاري
وقد تجلى لهتك الستر خالقنا ... يوم المعاد ويوم الذل والعار
يفوز كل مطيع للعزيز غداً ... بدار عدن وأشجار وأنهار
لهم نعيم خلود لا نفاد له ... يخلدون بدار الواحد البارى
ومن عصى فى قرار النار مسكنه ... لا يستريح من التعذيب فى النار
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم ... لا يستريح من التعذيب بدمع واكف جارى

فالله الله يأولى الألباب ، تفكروا فى هول يوم الحساب ، ولا تنسوا المطالبة برد الجواب ، وأشفقوا على انفسكم من أليم العذاب ، وارجعوا إلى طاعة رب الارباب ، وابكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب .

مدة النفخ فى الصور

ذكر إن إسرافيل عليه السلام لا يقطع النداء فى الصور حتى تُخرج الأرض جميع ما فيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيئ ، فإذا كمل العباد فى الموقف وكل إنس الأرض وجنها ووحوشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى الذباب ، قطع إسرافيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض والسموات، ففى تبديلها قولان .

هيئة أرض الحساب

أحدهما أن الأرض التى يحاسب العباد عليها هى أرض من فضه بيضاء لا جبل فيها ولا بناء ولا أنهار ولا أشجار ، وما سفك عليها من دم ولا عصى الله تعالى

عليها يأتى بها من غامض علمه ويقول لها كونى فتكون ، وقد أضرم تحتها النيران ، وتكون هذه الأرض فى عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء فى الثور الأسود .

وقد قيل : إن تبديل الأرض هدم مبانيها ، وغور مياهها ، وانقطاع أشجارها ، وتسجير بحارها . وتسيير جبالها ، وتبديل السماء وتكوير الشمس وقمرها ، وانكدار نجومها ، وتعطيل أفلاكها ، وتشققها ، فهذه تبديل الأرض والسموات . والله اعلـم .

كيف يقف الناس فى المحشر

فإذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى السماء ولا يرتد إليه طرفه ولايدرى أحد من يقف بجواره لا رجل ولا امرأة ولا يدرى الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بابنها . كل إنسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال ، وكل واحد منهم يفكر بما قد جاء به من العصيان ، وفرط فيه من الطاعة والنسيان ، فالكل ينظر إلى ما ينزل بـه الأمر مـن السماء مـن شقاوة أو سعادة

مقدار زمن الحشر

ويقال والله اعلم إن الوقوف يكون مقداره ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لا خبر يتنزل ولا خبر يصعد . قد كثر الزحام فلا تسمع إلا همس الأقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من من استزلال القدم ، يومئذ لا ينفع البكاء ولا الندم . وأنشدوا :

ليس فى الدنيا لمـــن آ ... مـــن بالبعـث سرورا
إنما يفرح بالدنـــ ... ـيـا جهـول أو كفور
إنما الدنيا متـــاع ... كـــل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم ... السمـــا فيها تمـور

بكاء النبى ﷺ من أهوال القيامة

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خوفنى جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكانى فقلت له : حبيبى جبريل أليس قد غفر الله لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ؟ فقال : يا محمد لتشاهدن مـن الأهوال يوم القيامة ما ينسيك المغفره ، فبكى

رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته ؛ فإذا كان رسول الله ﷺ يبكى من هول يوم الحساب وقد أمنه الجبار من أليم العذاب ، ووعده بالجنة وحسن المآب ، فكيف بأمثالنا المساكين ؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب ؟ وخالف السنة والكتاب ، وأطاع الشيطان وأفنى عمره فى معصية الملك الوهاب ؟ وقد قيل فى قوله تعالى ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ﴾ (١) هو تحريكها ، وقيل : دكا دكا إذهابا .

معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين ، دكا دكا وصفا صفا ؟ فقال : تدكدك الأرض دكا بعد دك ، أى تحرك مره بعد اخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر . وقوله صفا صفا ، تأتى الملائكة صفا بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال ، فإذا كثر زلزال الأرض ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ (٢) حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر (مشيد) من بين قديم وجديد ، فياله من يوم ما أهوله ومن بلاء ماأطوله ، ومن جبار ما أعدله ، قد أفنى العباد بالحِمَام (٣) فلا يرى أحد من الأنام فإذا استوى الأولون والآخرون فى أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى السموات أن تنشق فتنشق كل سماء وتتقطع مثل قطع السحاب ، وقيل كما يتطاير القطن بين يدى القطانين إذا ندفوه . فمثّل لنفسك صوت انشقاقها فى سمعك ، وكيف يثبت له فؤادك ، ويستقر لفظاعة هوله قدمك ، فقدم فى أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن الخلق فى أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم فى الدنيا من خير وشر ، فمن عمل صالحا وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم أمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه ، ومن لم يقدم فى دنياه عملا صالحا لأخراه لقيته صعاب الخطوب وترادفت عليه الهموم والكروب ، فيندم حتى لا تنفعه الندامة إذا حل فى أهوال القيامة

(١) الفجر : ٢١ (٢) الحاقة : ١٤ (٣)الحِمام : مرض الموت

الأمن والخوف

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى إذا خافنى عبدى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا آمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة » فإذا انشقت السموات بلغت القلوب الحناجر ، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل فى الظواهر والسرائر ، إذا انشقت السماوات عظمت المصائب ، وكثرت النوائب ، وندم العبد على مافرط فى الدنيا وضيع من الثواب والرغائب .

فإذا اشقت السموات عظمت عظمت الرزيات (١) ، وكثرت الآفات ، وظهر العذاب وحلت العقوبات ، وأظهر الله مخبآت السريرات ، وندم العبد المغرور على ما أذنب فى الأيام والأوقات ، وما جنى فى الشهور والساعات .

فإذا انشقت السموات كثرت الأحزان ، وبرزت النيران ، وأزلفت (٢) الجنان ، وندم العاصى على ما عمل من العصيان ، وعلى ما فرط فيه من طاعه الرحمن فانتبهوا لهذه الأهوال يا معشر الأخوان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، فإن الهول والله عظيم ، والخطب كبير جسيم .

ملائكة سماء الدنيا

فإذا انشقت السموات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها ، فإذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا : لا تجزعوا منا فإنا نخاف من الذى تخافون ، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجنها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفا ، فتبقى العباد يموج بعضهم فى بعض .

ملائكة السماء الثانية

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عددا وأعظم خلقا ممن اجتمع فى الأرض سبعين ضعفا ، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من فى الأرض

---

(١) المصائب (٢) قربت

فيقولون لهم : لا تجزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخاف مما تخافون منه . فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم ، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفا . وكأن أهل كل سماء فى صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما يبدو له . وأنشدوا :

ياغافلين أفيقـوا قبل بعثكـــم ... وقبل يؤخذ بالأقدام واللمـم
والناس أجمع طرا شاخصون عراة ... لا ينطقون بلابكم ولا صمم
والخلق قد شغلوا والحشر جامعهم ... والله طالبهـم بالحـل والحرم
وقد تبدى لأهل الجمـع كلـهم ... وعد الإله من التعذيب والنقـم
وكل نفس لدى الجبار شاخصة ... لا ينطقون بلا روح من الزخم

الجبابرة فى الحشر كالذر

روى أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر أصغر الناس خلقة لتجبرهم على العباد فى الدنيا قد صارت العزة للغنى الحميد ، ولزمت الذلة كل جبار عنيد ، وشيطان مريد قد ترادفت عليهم الهموم والأهوال وظهرت لهم العقوبات والأنكال ، وندم كل مذنب بطال ، فحينئذ لا حيلة لمحتال فى يوم لا بيع فيه ولا خلال ، شعر :

مقـام المذنبين غـدا عسيـــر ... إذا مـا النار قربـها القـدير
وقـد نصب الصراط لكـى تجوزوا ... فلا ينجو الكـبير ولا الصـغير
وقـد نسفت جبال الأرض نسـفا ... ويبســت البحــور فلا بـحور
وبـرزت الجحيـم لكـل عبـــد ... علـى أهـل المعاد لها زفيـر

عباد الله تفكروا واعتبروا ، وابكوا وتباكوا ، واستعدوا لليوم الثقيل ، والهول الكبير ، والخطب الجليل والعذاب الشديد الطويل .

حديث في أهوال يوم القيامة

ذكر فى بعض الأخبار عن النبى المصطفى المختار ﷺ وعلى آله والأخيار دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال : « ليوم القيامة مائة ألف هول كل هول أعظم من

الموت مائة ألف مرة ، فاندم يا مسكين على ماصنعت وفات ، وأصلح بالتوبة النصوح ماهو آت ، من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ليس للظالمين من نصير ، ولا للعاصين من مجير و ولا لأحد من ملجأ ولا نكير .

شدة الحر والظل

فإذا تكامل أهل السموات ، وأهل الحجب والسرادقات ، وحملة العرش والكرسى وجميع أهل الأرض فى عرصة القيامة ، وازدحمت الخلائق واختلفت الأقدام ، وشخصت الأحداق وتطاولت الأعناق ، وانثنت من شدة العطش ، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس ، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التى أنزلتهم عليها أعمالهم التى عملوها فى دار الدنيا ، وقد زيد فى حر الشمس ما يتضاعف – قيل : حر عشر سنين – ولا ظل يومئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلا على قدر عمله ، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس !

مطر الرحمة

وقد قيل : إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترمى جهنم شررها على طائفة أخرى ، فكم من مستريح ببرد ماء الأمطار وبين ملتهب بحر شرر النار !؟ فمن قطع عمره فى الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن ، خلصه مولاه من جميع الهموم والأحزان .

ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب ، وتقطعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب ، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول فى أليم العذاب ، وقد صارت العزة لذى البطش الشديد ، ولزمت (المذلة) كل جبار عنيد ، ثم رجعت السماء كالمهل ، وهو دُرْدِىّ الزيت الذى يجلس فى قعر الإناء ، قيل : ترجع السماء كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف

مايكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض ، وقيل : كالجراد المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة . كذلك الخلق يموج بعضهم فى بعض ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (١) قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها ، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وشهد على الأمم بأعمالها . وشاب الوليد ، وحضر الوعد وحق الوعيد ، وعظم الهول الشديد، وذل كل متكبر وجبار عنيد . وقد خضعت الرقاب لرب الأرباب ، وخاب كل كفار كذاب ، واشتد الهول وعظم العذاب ، فتفكروا فيما تسمعون يامعشر الأحباب ، وانظروا لأنفسكم ياجماعه الأخوان والأصحاب ، واستعدوا لأهوال القيامة يا أولى العقول والألباب . وأنشدوا :

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت ... حرا على روس العباد تفور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامه أحضرت ... وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا ... وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهور ؟؟

جنهم فى المحشر

قال الله تعالى : ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ (٢) فيراها الخلائق كلها وهى تغتاظ على العباد ، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله وتتغيظ وتتسعر ، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهى تريد أن تنفلت من أيديهم وتأتى على أهل الموقف والملائكة التى

(١) عبس : ٣٧ (٢) النازعات : ٢٦

يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف ، فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه ، بيد كل واحد منهم أرزبة من حديد من نار فيها إثنان وسبعون ألف رأس من نار ، كأمثال الجبال الراسيات العظام ، ورؤسها كرؤوس الأفاعى ، وهى أخف فى يدى الملك من الريشة وأعينهم زرق ووجوههم كلحة قد خلقوا من نار السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدى الملائكة من غضب الجبار جَل جلاله .

هذا كله قاله الضحاك عن الأئمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم .

بطش جهنم

فإذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفزع الأعظم ، فيخرج من نفسها وهج شديد ويسمع من جوفها دوى سلاسل الحديد . فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقا ورأوا لها حريقا ، فإذا نظرت فى أهل المعاصى ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت وتحمحمت إليهم ، وأرادت أن تأتى على جميع الخلائق ، وتريد أن تنفلت من أيدى الخزان ، فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذا ولا مكانا يستغيثون إليه ، ومنادى ينادى ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (1) أى بحجة ، ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله ، فإذا انفلتت من أيدى الزبانية أرادت أن تقبض على كل من فى الموقف ، فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول ، وكل نبى يومئذ بنفسه مشغول .

رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها ، ويقبض على خطامها ، فيردها على عقبها وهو ﷺ يقول لها : كفى عن أمتى ، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه : أيها النبى المكرم ، والرسول المشرف المعظم ، خل سبيلى من يديك ، فما جعل الله لى ولا لغيرى من

(1) الرحمن : ٣٣

سلطان عليك ، فيناديها الملك الجليل الجبار : هذا محمد حبيبى سيد الأبرار ، ووزير الأخيار ، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة فعند ذلك تضع جهنم رأسها خاضعة كالحة كليلة (١) تحت سكون وخمود بإذن الملك المعبود ، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والكرم والجود وإقامة الحقائق والحدود . ولو تركها خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، لأهلكت الخلائق أجمعين ، غضبا لغضب رب العالمين . أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين .

جهنم وزفيرها

وقيل أن جهنم أعاذنا الله منا ، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها ، إذا نظرت إلى الكفار ، والمنافقين والفجار، وأصحاب الخطايا والأوزار ، زفرت زفرة فترمى شررا على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر ، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين . فلو كانت الدنيا باقيه لانهارت جبالها ، وجفت أزهارها ، ويبست عيونها وأنهارها ، من شده حر جهنم ، ولو كان ثم موت لمات الخلق كلهم .

الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى ، فلا تبقى دمعة فى عين إلا قطرت ، ويغلب بياض العين على سوادها ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ولا يسأل أحد إلا نفسه البَرّ والفاجر

الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهى أعظم من الأولى والثانية ، فلا يبقى ملك مقرب ، ولا نبى مرسل و ولا ولى ولا صديق إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم وجميع المرسلين ، إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبيين فإنه لا يسأل عن هول النار

---

(١) الكليل : المتعب

قد خلصه الله من أهوالها .

الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة وهى أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقى الزبانية على وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين ، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش وكل ملك ينادى نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها . ويقول أيضا كل واحد منهم بحرمة محمد وبقدر محمد ﷺ نجنى من عذابك لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فاذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتى عليهم وقد غلا بعضها فى بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل على متنها [1]

بماذا تخمد النار

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقى يده فى زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العلى المجيد وهو يقول : يا سلام سلم أمتى من العذاب الشديد . وأنشدوا :

الدمع فى خد من عصى حسن	حسب الفتى من دموعه الحزن
يا من شكـــى حافظـاه حلوتـه	لما خـلا والعبــاد مافــطن
قـــد كان ربى علـــيك مطلعـا	وأنـــت لا هى الفؤاد مفتتن
لم تهتك السر إذ خلـــوت بـــه	ولا انقضت من عطائـــه المنن
النار تسعـــى إلى العصـاة غـدا	لـــم يعلـــم المـذنبون ما وسن

يا قوم العجب من القلوب التى بليت بالعباد ، وغفلت عن أهوال يوم المعاد ، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد .

يا أخى كأن المراد بهذا كله غيرنا . ليبعثن الجبار الذليل والحقير ، ويسألهم عن الفتيل والنقير ، وعـن الذرة والقطمير [2] ، وعن القليل والكثير ، فـى اليوم المهول

---

(١) على ظهرها . (٢) هى القشرة الرقيقة التى تكون على نواة التمرة .

العبوس العسير ، الذى يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير ، رفق الله بنا وبكم فى ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير .

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها : الله تعالى يقول لك : الطاعة ، فتقول وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته. ثم تقول : يا جبريل هل خلق الله خلقا يعذبنى بهم ؟ فيقول جبريل : لا ماخلقك الله إلا نقمة لمن عصاه . فتقول جهنم عند ذلك : الحمد لله الذى جعلنى نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم منى ، عند ذاك والله تعظم الخطوب (١) ، وتظهر القبائح والعيوب ، ويندم أهل المعاصى والذنوب وأنشدوا :

ليس فى الدنيـــا لمـــن آمـــن بالبعث ســـــرور

فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه فى سوق الخسران ، وترك العز ورضى بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران ، وبارز بالخطايا الملك الديان .

من أسباب غفران الذنوب

حكى عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال : حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فإذا بضجة الناس ، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من فى الجمع فذكرت أنى فيهم فأمسكت . وأنشدوا :

يا كثير الذنوب أقصر قليلا قد بلغت المدى من الإسراف

فإذا اشتد بالخلائق الهلع ، وكثر منهم الخوف والجزع ، وبلغت القلوب الحناجر، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر ، نادى الملك ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ (٢) فإذا سمعت الخلائق هذا النداء طمع كل منهم فيه . فيقول سبحانه : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ (٣) فعند ذلك ييأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجار ، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار ، واتبع سنة المختار . عند ذلك تنشر الدواوين ، وتوضع الموازين وتتطاير الصحف فى الأكف فكل

---

(١) واحدها خطب ، وهو الأمر الشديد العظيم (٢)الزخرف :٦٨ (٣) الزخرف : ٦٩

امرىء بما اكتسب معترف ، فندم الظالم ، وخسر الآثم ، وظهرت فى الصحائف الفضائح ، وشهدت على كل امرىء حفظته والجوارح . وأنشدوا :

طال والله بالذنوب اشتغالى	وتماديت فى قبيح فعالى
ليت شعرى إذا أتيت فريداً	والموازين قد نصبن حيالى
والدواوين قد نشرت وجئنا	والنبيون يشهدون سؤالى
ما إعتذارى وما أقول لربى	فى سؤالى وما يكون مقالى
أورثنى الذنوب دار هموم	لست أبقى لها ولا تبقى لى
يا عظيم الجلال مالى عذر	بل حقيق أنا بنار السفالى
غير أن الرجاء فيك مكين	فارحم العبد ياجميل الفعال
وتفضل على عبد مسىء	ليس يرجو سواك يا ذا الجلال

هذا يوم الدين

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى مناد : هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون » فانظر لنفسك يا مسكين ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين . وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين ، التاركين لسنن سيدالمرسلين وخاتم النبيين . ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين ، لو خفت من عذاب يوم الدين ، لعملت بالقرآن المبين ، ولوكنت من المؤمنين المصدقين ، لأطعت رب الأولين والأخرين . فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب ، وهتك سترك من القبائح والعيوب . وأنشدوا :

يا طبيب الذنوب والآثام	هل دواء أبرأ به من سقامى ؟
إن داء الذنوب أضعف جسمى	ومشيبى موكل بحمامى
وشفائى أعيا الأطباء إنى	قد تغذيت مدتى بالحرام
وركبت الذنوب سرا وجهرا	وتباعدت من محل الكرام
كيف بالطب أن يعالج سقمى	وكلامى يزيد قرح كلامى
أيها الناس قد علمتم ذنوبى	واغترارى وشقوتى واجترامى

وأنـا أرغـب الدعـاء فجـدوا في فكاكي مـن الذنوب العظام
واشتياقي الـى الطـواف شديـد وإلـى الركـن والصفـا والمقـام
وإلـى يـثرب يحـن فؤادي كـي أزور النبـي خـير الأنـام
فلعـل الإلـه يغفـر جرمـي وينجـي مـن هـول يوم القيام
ويفك ذو الجلال عبدا ضعيفا مات خوفا من العذاب الغرام (١)

موعظة كعب الأحبار

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب : ياكعب خوفنا . فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعا فقال : يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده إن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التى بأيدى الزبانية الذين يمسكونها بها حتى تفيض على أهل الجمع ، وتلقى الزبانية على وجوههم ، وينهزم مالك خازنها من بين يديها ، فلو كان لكل آدمى عمل مائة ألف نبى ، ومائة ألف صديق ، ومائة ألف شهيد ، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها . فعند ذلك يعرض لها النبى ﷺ وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها : كفى عن أمتى ، كفى عن أمتى ، ثلاثا . فتقول له : يا أيها النبى الكريم والرسول الرؤوف الرحيم ، ما جعل الله لى عليك ولا على أمتك من سبيل . فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبى عليه الصلاه والسلام ، فيقول : يا رسول الله أنقذنى من عذاب الله . فيقول له : ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت ؟ فيقول له العبد المذنب : يا رسول الله غلبت على شقوتى . فيقول ﷺ لا شقوه على أحد من أمتى ، ولا على من قال فى الدنيا مخلصا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه وأنشدوا :

ألا أكـرم بأحمد ذى الأيادى شفيع الناس فـى يوم التنـادِ
إذا نشـر الخلائق مـن قبـور عـراة يـبتغـون نـدا المنـادِ
وقـربت الجحيـم لمـن يراهـا فيـا للـه مـن خوف العبـادِ

(١) الغرام : هو أشد العذاب

وقد زفرت جهـنم فاستكانوا | سقوطا كالفراش وكالجراد
وقد بلغت حناجرهم قـلوب | وقـد شخصوا بأبصار حداد
فياجبار عفوا منك فالطف | ويارحمـــن رفقـا بالعـباد
ونودوا للصراط ألا هلـــموا | فهـذا ويحكـم يوم المعـاد
تسوقكـم إليه سوق عـــنف | مقامع مـــن زبانية شـداد
ألا يا معشر الإسلام هـــبوا | من الإغفال فى غمر الرقاد

حديث فى الترهيب

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « كل عين باكية يوم القيامه إلا عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (١)

فقدموا عباد الله فى اليسير من الأيام ، ما يقيكم الأهوال العظام ، والخطوب الجسام ، والزلازل والطوام ، والعذاب الغرام ، فإن العمر يسير ، والأجل قصير ، والزاد قليل ، والهول جليل ، والعذاب طويل ، واليوم مهول ثقيل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه فى العصيان ، واستبدل الجنة بالنيران ، والربح بالخسران ، وترك العز ورضى بالهوان ، وعوض عن الزياده النقصان ، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان ، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا :

مقام المذنبين غدا ذليل | وقدر الطائعين غدا جليل
إذا مد الصراط على جحيم | تصول على الصراط وتستطيل
ونادى مالكا خذ من عصانى | فإنى اليوم لست لهم أقيل

سجود جهنم

ذكر فى بعض الأخبار أن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا برحمته عنها، تستأذن يوم القيامة فى السجودفيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها : إرفعى رأسك ، فترفع رأسها وهى تقول : الحمد لله الذى خلقنى لينتقم بى ممن عصاه ، ولم يجعل

(١) أخرجه ابن النجار عن ابن عمر

من خلقه شيئا ينتقم به منى .

إلهى قد اشتد بلائى وأخمدت نارى ، وعلا حميمى وزقومى ،وكثر نتنى وغسليني وأكل بعضى بعضا ،إلهى عجل علىّ بأهلى فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلهـا غيرك لا إله إلا أنت فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعا ثم تغتاظ على أهل المعاصى فترمى بشرر كعدد النجوم فى السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤوس الخلائق فيقع على رؤوس العصاه فمن كان له عمل صالح صار حجابا بينه وبين شرر جهنم، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضا لشرر جهنم أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته يارب العالمين آمين .

٣ـ مجلس فى ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم نفس شيئا ﴾ (١) الآية عباد الله مالقلوبكم لا تخشع وما لآذانكم لا تسمع ، وما لدعائكم لا يُسمع ،وما لعيونكم لا تدمع ، وما لبطونكم من السحت والحرام لا تشبع ، وما لعملكم المحمود لا يرفع إخوانى من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود ؟ ومن خاف من ورود الناس وبئس الورد والمورود ؟

إفتخار الوحوش على بنى آدم

ذكر فى بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها : ماهذا يوم السجود ،فتقول : إنما سجدنا شكرا لله الذى لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا ممن يشهد فضائح ابن آدم ،

فالله الله ياإخوانى إقبلوا النصيحة ، قبل يوم الخجل والفضيحة ، فإذا كان يوم القيامه وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام، وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا أرق من الشعر ،وأحد من الموسى ، وقيل أحد من السيف،وأحر من الجمر . وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحدا منهم أذن الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بإنسها وجنها وجميع ما ذرأ الله فيها ولأذاب جبالها وجفف بحارها

(١) الأنبياء : ٤٧

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلا من كان له نور ، ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة ، فمن عمل عملا صالحا نجاه من النار وجاز إلى دار الراحة والقرار ، ومن لم يقدم فى الدنيا عملا صالحا حجب عن النظر إلى وجه الجبار ، وهوى فى دار الندامة والبوار ، فى دار عذابها سموم وشرابها حميم، وظلها لا بارد ولا كريم ، وطعامها الزقوم ، يتردى والله فى دار عذابها أليم، ومسكنها جحيم ، وساكنها أبدا فى العذاب مقيم ، يتردى والله فى نار قعرها بعيد ، وعذابها شديد، وشرابها صديد ، ومقامعها حديد ، وما هى من الظالمين ببعيد . وأنشدوا

أمـا آن يـا أخ أ ن تستـفيقـا وأن تتناسـى الحمـى والعـقيقـا
وقد ضحك الشيب فى عارضيـ ـك وبانت مساويـك فيـه بروقـا
وركـب اتاهـم وقـد عرضـوا عـلى أتباع المنـايا طروقـا
أدارت عليهـم كـؤوس الحمـام صـبوحا تلازمهـم او غـبوقا [1]
وما زال فيهـم غـراب الحمـام فيـسمعـهـم للمـنايـا نعـيقـا
ويحجـل فى عـرصـات القصـور وحتـى أعـاد الفسيحـات ضيـقا
ألا فازجر النفـس عـن غيهـا عسـاك تجـوز الصراط الدقيقـا
مقـام بـه تذهـل المرضعـات وتلقـى الحوامـل وعـدا صدوقا
وتـبرز للنـاس نار الجحـيم لهـا عـنـق تترامـى حريقـا
شرابهـم المهـل فى قعـرها تـقطـع أ معاءهـم والعـروقـا
إذا طبقـت فوقهـم لـم يكـن لتسمـع الا البكـا والشهيقـا
أذلـك خـير أم القاصـرا ت تـخال مباسمهـن البـروقـا
قصـرن عـلى حـب أزواجهـن فمـشتاقـة تتلقـى مـشوقـا
لقـد فـاز من كـان للمصطفى بـدار المقامـة يـومـا رفيقـا

حسن العمل والصراط

---

(١) الصبوح : مايشرب فى الصباح ، والغبوق : مايشرب فى المساء

فمثل لنفسك يامسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين ، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبإيمانهم ، ورأيت الباطلين فى ظلمات البطالات وغمرات الجهالات . فالله الله ياجماعة الضعفاء ، يا من قطع عمره فى الخلاف والجفاء ، خذوا لأنفسكم بالإحتياط ، واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط . لأن الصراط لا يجوزه آثم ، ولا ينجو منه ظالم ، والصراط حق رقيق ، لا ينجو منه من خالف التحقيق ، وترك السنة ومنهاج الطريق الصراط طويل بعيد ، لا يجوز إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد ، واستقام على طاعة الولى الحميد . الصراط مهول مخوف ، لا يجوزه إلا من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤوف الصراط صعب مهول ، لا يجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربا يحول ولا يزول . الصراط كثير الزبانية ، ولا يجوزه إلا من أطاع مولاه فى الفانية ، وراقب الله فى السر والعلانية .

وذكر فى بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر الدواوين ، ووضع الموازين .

الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزانا يوزن به عمله فمن عمل عملا سيئا خفت موازينه وهوى فى النار وقد قيل : إن الميزان هو منصوب بين يدى عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد .

وكان الحسن رضى الله عنه يقول : لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (١) الآية . وأما قوله تعالى ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ (٢) ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ (٣) فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله ﴿ ثقلت ﴾ و﴿ خفت ﴾ فقوله ﴿ ثقلت ﴾ بقول لا إله الا الله بالإخلاص ، و﴿ خفت ﴾ من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة . لأن العبد قد يقول لا إله الا الله على معصية ويقول لا إله الا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم ، فإنما ذلك نفاق لأن النبى ﷺ قال : « من قال لا

---

(١) الأنبياء : ٤٧ (٢) القارعة : ٦ (٣) القارعة : ٨

إله إلا الله مخلصا رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة » فقيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ فقال : « أن تزحزحكم عما حرم الله عليكم » .

وزن الأعمال

ذكر في بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة وتسعون سجلا مملوءة بالسيئات فتوضع فى كفة الميزان فيشتد هم العبد وكربه فيقول الجبار جل جلاله : لعبدى عندى ذخيرة ادخرتها له ، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيه مكتوب : مات فلان وهو يشد ويقول لا إله إلا الله مخلصا .

كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى ضعوها فى ميزان عبدى فتوضع فى ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا :

أعددت لله حين ألقاه ... أشهد أن لا اله الا اللـه
أقولها للإلـه خالـه ... يرحمنى فى القيامه اللـه
لعل يوم الحساب أغنى بها ... يوم العقوبة يوم زاد بلـواه
يوم يفوز على الأشهاد قائلها ... ويخسر الجاحدون نعمـاه
فهى لدار الخلود قائده ... ومن عصى فالجحيم مأواه
من قالها للإلـه مخلصه ... فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الخلد مسكنه ... الله قد خصه فيها وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها ... بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها ... طوبى لمن قالها وطوباه
من كان عند الممات قائلها ... فاز بدنياه وأخراه

فالله الله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يثبتكم على الكلمة المباركة الخفيفة فى اللسان الثقيلة فى الميزان ، المزينة للديوان ، بها يرضى الملك الرحمن ، وبها

يسخط اللعين الشيطان ، وبها ينجو العبد المذنب من النيران ، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والأمان .

فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر ، فان تلك الصدقة توضع فى الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال . وأنشدوا :

يا جامع المال يدوم له   كل ما استطعت وقدم للموازى
ولا تكن كالذى قد قال إذا حضرت   وفاته ثلث مالى للمساكين

واعلموا عباد الله أن الموازين إذا نصبت للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيامة ، لأن العبد إذا نظر للميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه ، وعظمت كروبه فلا تهدأ روعة العبد حتى يرى أيثقل ميزانه أم يخف ، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه فقد خسر خسرانا مبينا ، ولقى من العذاب أمرا عظيما .

شفاعة الرسول

ذكر فى الأخبار أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبهم ، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم ، ووزنت أوزارهم وذنوبهم ، وضاقت حيلهم ، وتغيرت أحوالهم ، فعند ذلك يأتيهم النبى الشفيع محمد ﷺ فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم ، فيأمره الله تعالى أن ينظرإلى موازين أمته فينظر ﷺ إليها فترجع موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ .

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، وأن الذرة والخردة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع فى الكفة فتميل بها بقدرة الله تعالى ، فالله أعلم بحقيقة ذلك . فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن صغرت فى عينه فربما ثقلت الميزان ، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن

صغرت فربما خففت الميزان . لأن الذنب الصغير فى عين محتقره يأتى يوم القيامة وهو فى الميزان أعظم من الجبال الرواسى .

ما يثقل الميزان

قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيء [١] الآية . روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » [٢] وقيل : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله جئتك تعلمنى علما يدخلنى الجنة وينجينى من النار . فقال له النبى ﷺ « ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين فى الميزان ، خفيفتين على اللسان ، ترضيان الرحمن ؟ وتسخطان الشيطان ، تقول سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربان من الجنة ، ويبعدان من النار » فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق ، فقد رد على الله فى كتابه ، وعلى رسوله ﷺ فى سنته .

الرأس فى الخير والرأس فى الشر

روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال : يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدى الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فإذا كان العبد أو الأمة رأسا فى الخير يدعو إليه ويأمر به دعى بإسمه ، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا ، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت.

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة :« يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحده لأدخله بها الجنة »فقالت يا رسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب » وإذا كان العبد أو

(١) الأنبياء : ٤٧ (٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد وإبن ماجه وابن أبى شيبه وابن حبان

الأمة رأسا فى الشر يأمر به ويدعو إليه دعى بإسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة ، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار . فقال أصحابه رضى الله عنهم : يارسول الله أما كانوا مسلمين ؟ فقال ﷺ : « كانوا يصلون كما تصلون ، ويصومون كما تصومون ، ويزكون كما تزكون ، ويقومون من الليل برهة ، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة ، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر فى الميزان ، لأن الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصا » . فالله الله عباد الله إذا عملتم عملا فأخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصا . وأنشدوا :

مـن كان يعلم أن الله باعثه ... يوم الحساب لدى نشر الدواوين
فلا يرد بفعال البر أجمعهـا ... إلا الحسـاب وتثقيـل الموازيـن

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن. قدموا للموازين بطاعتكم لسلطان السلاطين .

إخوانى وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازينه من الحسنات ، وأمر به إلى العذاب والعقوبات . والويل ثم الويل لمن خفت موازينه من صالح الأعمال ، وغضب عليه ذو الجود والإفضال ، وأمر به إلى العذاب والنكال ، وإلى السلاسل والأغلال .

وزن أعمال العباد

يا إخوانـى فإذا وزنت أعمـال العباد ، وخف مـن خف وثقل مـن ثقل ، أمـروا أن يمضوا الـى الصراط فيجـىء كـل إنسان إلـى الصراط فيقحم الصراط فمـن الناس مـن يضع عليه قدمه ، فيزل من أول قدم يضعها فيهوى فى النار ، ومـن الناس مـن يمشـى القليل منـه ويـزل فـى النـار ، ومنهم مـن يجـوزه كالبـرق الخاطف ، ومنهم مـن يجوزه كالريح الهبوب ، ومنـهم مـن يجوزه كالطير السـريع فـى طيرانه ، ومنهم مـن يهرول ، ومنهم مـن يكون كالضعيف إذا مـشى

ومنهم من يكون كالمبطون [1] الذى يمشى على يديه ورجليه ، ومن الناس من يأتى الى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوى به . كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم ، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها ، وعلى قدر تثقيل الموازين وتخفيفها . فإذا أتى العبد من أمه محمد ﷺ الى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقى متحيرا لا يقدر على الجواز . فبينما هم فى شدة الفزع من هول الصراط إذ أقبل محمد ﷺ .

نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط ، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه فى الدنيا ، فيستبق العباد فى الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذى أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى فى النور فى وجه الحبيب محمد ﷺ فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة اليه .

فضل الصلاة على النبى

قال النبى ﷺ : « أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم علىّ صلاة وأولاكم بشفاعتى أكثركم علىّ صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر المذنبين ، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، واجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه ، والفائزين برحمته من عذابه ، إنه منعم كريم . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذى المعالى ... شفيع الناس فى يوم السؤال
إذا مد الصراط على جحيم ... تصول علـى العبـاد باستطال
إذا كـان النبى لنـا شفيعـا ... سننجوا من سلاسلها الطوال
ولو كانت خطايانـا جساما ... تشبـه بالثقـال من الجبـــال

(١) المبطون المصاب بداء فى بطنه .

لجزنا على الصراط بغير حزن إلى دار الخلود مع الجلال

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير وأكثر ماتزل النساء » ذكر أن الصراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا فى وجهه نورا تركوه أن يتحول ويجوز ، ومن لم يروا فى وجهه نورا كبكبوه فى النار ، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح .

جسور جهنم

روى بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا : إن جهنم أعاذنا الله منها عليها سبعه جسور وهى القناطر ، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى ، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لا حد ولا كيف تسليما وإيمانا وتصديقا .

القنطرة الأولى

والصراط أحد من السيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطره الأولى ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ، ما لكم لا تناصرون ﴾ [1] ، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة نجا من تلك القنطرة ، ومن لم توجد له صلاة تامة هوى فى النار ، فينجو من نجا ، ويهلك من هلك .

القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الأمانة وهى أمانة الخالق وأمانة الخلق ، وإذا أراد الله بعبده خيرا جعل الغنى فى قلبه ، وجعله أمينا لله ، وأعانه على أداء الأمانات التى افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاه والصيام والزكاه ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والحفظ لحدود الله ، فذلك العبد الذى ألهمه الله تعالى رشده ، وبصره عيوب نفسه وجعل غناه فى قلبه .

(١) الصافات : ٢٤ – ٢٥

وإذا أراد بعبده شرا جعل فقره بين عينيه وفى قلبه وكسله عن أداء الأمانات من المفترض الذى افترض عليه وعلى جميع عباده ، وغيب عنه رشده ، وسلط عليه الشيطان فزين له سوء عمله وحبب إليه عيوبه . فإذا كان العبد كذلك فلا يبالى عما قال ولا عما قيل فيه ، ولا يكون همه الافى دنياه وإصلاحها ولا يبالى بتلف دينه فلذلك العبد الذى قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها ، وقربه من أبواب الشر كلها . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ (١)

تضييع الأمانة

ذكر فى بعض الأخبار أنه يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له : أد ماضيعت فيقول : يارب ذهبت عنى الدنيا فمن أين أؤديها ؟ فيخلق له مثلها فى قعر جهنم أعاذنا الله منها فيقال انزل إليها وأخرجها إلى صاحبها ، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهى أثقل من جبال الدنيا كلها ، فإذا صار الشقى المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم ، فيقال له انزل اليها فينزل مرة أخرى ويرفعها ، فإذا صار إلى أعلا جهنم وقعت منه ، فلا يزال هذا عذابه الى ما شاء الله تعالى من ذلك . هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم . وهذا العبد والله أعلم الذى ضيع أمانات الناس وأنشدوا :

خرجت من الدنيا وقد خنت أهلها ... وصـرت الـى النيـران بالوزر والأثم
وطـالبنى الجبـار بالصـدق والوفـا ... وبان لأهل الجمع ماكان من جرمى
وقيل لكـل الخلـق هـذا مضيـع ... أمـانة رب العرش والذكـر والحكـم

القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهى أدنى مـن الرب جل جلاله – بلا تكييف ولا تحـديد – فيحاسبـون علـى صلة الرحـم كيـف وصلوها ، ولم قطعـوها

---

(١) الأنفال : ٢٧

صلة الرحم

والرحم يومئذ تنادى : اللهم من وصلنى فصله ، ومن قطعنى فاقطعه . فينجو من نجا ، ويهلك من هلك .

القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل اسمه وعز وجهه ﴿ أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾ [1] فالله تعالى يقول فى بعض كتبه المنزله :

شكر الوالدين

أرض والديك فإن رضائى فى رضا الوالدين وسخطى فى سخط الوالدين ، فلو أن عبد جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقا لوالديه مانظر الله تبارك وتعالى فى شىء من عمله وكان مصيره إلى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك فى وجه والديه أو أحدهما إلا غفر الله له ماكان منه من الذنوب والخطايا وكان مصيره إلى الجنة . وأنشدوا :

والوالدان إلى شكر الإله وصــول   والوالدان إلى دار السلام سبيل
صل والديك ولا تقطع حبالهما   ليجزينك فى دار البقاء جليــل

القنطرة الخامسة

ثم يحبسون على القنطرة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لايعنيه لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنبا من اللسان ، لأن كلمة يتكلم بها العبد أو الأمة تكون سببا لدخول النار .

---

(١) لقمان : ١٤

ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحا ودواة ، وجعلهما بجواره فإذا تكلم كلمة كتبها فى اللوح ويقول لنفسه : هكذا أثبتها عليك الملك بأمر الملك ، فإذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكى ويقول فى بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه : يا نفس كأنى بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط ، يا نفس تراك بأى كلمة من هذه تدخلينى النار ؟ فلا يزال يبكى حتى لايجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه ، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعا : يا الله عفوا ورفقا ولطفا بعبدك . فلم يزل هذا دأبه حتى مات ، فرآه بعض الصالحين فى المنام فى حالة حسنة فسأله عما لقى من الله تعالى فقال : ما يلقى من الكريم إلا الكرم ، جعل محاسبتى لنفسى فى الدنيا بدلا عن الحساب فى الآخرة ، وجعل دموعى التى بكيت فى الدنيا أنهارا تروينى يوم العطش الأكبر ، وتفضل الكريم على بدخول الجنة وبجواز الصراط ، ومَنَّ على بالفضيلة العظيمة والزيادة الكبرى إلى وجهه الكريم .

كلمة الشر وعذابها

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها فى النار بعد ما بين المشرق والمغرب » فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيرا أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره .

قيل : مر رجل على رجل فسلم عليه ، فقال له الرجل الذى سلم عليه : يا أخى لو كشفت لك عن حالى ما سلمت على ! فقال له الرجل الذى سلم عليه : يا أخى لو كشفت لى عيوبك لكان فى عيوبى مايشغلنى عن جميع عيوبك . فجلس كل منهما يبكى فى ناحية حتى بل كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا .

شهادة الزور

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من شهد شهادة زور على ذمى أو مسلم أو من كان من الناس ، علق بلسانه فى الدرك الأسفل من جهنم »

وفى بعض الأخبار أن شهاده الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى ، وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة فى شهادة الزور ، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة . ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما نظر الله إليه . وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة وأنشدوا :

أذا ازدحم العباد لكى يجوزوا ... تساقـط كـل جبـار أثيـم
بقعر النـار ليس لهـم مغيـث ... ولا للعاصى يوما من حميم
ومن يطـع الاله فسوف ينجـو ... من التعذيب فى قعر الجحيم
إذا نصب الصراط على جحيم ... فيـا للـه من هـول عظيم
ألا يـامـعـشر الإسلام توبـوا ... مـن العصيـان للرب الرحيم

إخوانى أطيعوا الله فى السر والاعلان ، واعملوا بالسنة والقرآن ، واتركوا الأوزار [1] والعصيان ، واحذروا من هول الصراط المنصوب على سموم النيران .

القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار ، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه ، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه .

إكرام الضيف

روى عن النبى ﷺ أنه قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » [2] وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال ، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له . فما أنفق على الضيف فى الخمر أو مما لايرضى الله تعالى به فان ذلك الضيف يأتـى يوم القيامه يتعلق هذا بهذا ويلعن هـذا بهذا ، ثم يأتيان إلـى الصراط وكـل واحـد منهما يلوم صاحبه ويقول له : لعنك الله الذى ساعدتنى على

---

(١) الذنوب

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمزى والنسائى وابن ماجه عن أبى شريح

الإنفاق فى غير الله ، ثم يقال لهما جوزوا الصراط ففى أول قدم يضعان على الصراط يهويان فى النار .

البركة مع الضيف

وقال رسول الله ﷺ : « الضيف اذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة ، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها فى سبيل الله ، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بألف كرامة وخلصه من النار وأدخله الجنة »

وقد جاء فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ كان يقول لها : « ياعائشة لا تتكلفى للضيف فتمليه » (1) وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف »

وفى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ « يا على إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قدمن عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك . »

ينزل الضيف برزقه

وفى حـديث أبى هريرة رضى الله تعالـى عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه ، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل »

وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يوما ملكا على صورة طائر ينادى : يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم فى يوم كذا وكذا ، فتقول

(1) رواه أبو عبد الله محمد بن ما كوله الشيرازى والرافعى عن عياض بن أبى قرصافه عن أبيه

الملائكة الذين وكلوا بأهل الدار : وبعد الخلف ما يكون ؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتابا فيه مكتوب : قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا ألف .

وفى حديث آخر أنه قال : ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفا لوجه الله تعالى الكريم إلا نظر الله إليهم إن كانوا جماعة . فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان رب المنزل من أهل النار ، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه .

وفى حديث آخر ، إن الضيف ورب المنزل – وأرباب المنزل إن كانوا جماعة – يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع ، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مائة ألف .

إطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه ، مخلوف ومسلوف ومتلوف ، فالمخلوف الذى يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف ، والمسلوف الذى تضيفه مره ويضيفك أخرى ، والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصى . والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجرا ، والمتلوف هو حسرة وندامة يوم القيامة . وأنشدوا :

أكرم ضيوفك كى ترجو الجواز غدا على الصراط وترجو الخلد مجبورا

حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يسأل عن حفظه ، فمن حفظ جاره جاز الصراط ونجا من العذاب الأليم ، وصار إلى جنة الخلد ودار النعيم .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جوعان ، أو بات ريان وجاره عطشان » ومن كرامه حفظ الجار أن توقظه من الغفلات ، وتلهمه الى الطاعات ، وتأمره بإقامه الصلوات .

تعلق الجار بالجار

ذكر فى بعض الأخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يارب جارى هذا خاننى فى الدنيا . فيقول الله تبارك وتعالى : لم خنت جارك ؟ فيقول وعزتك وجلالك ما خنته لا فى مال ولا فى أهل وأنت أعلم بذلك . فيقول له جاره : ما فعلت ذلك ولكن رأيتنى على المعاصى فلم تزجرنى عنها فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما . وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسمائة عام .

الوصية بحفظ الجار

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « لقد أوصانى ربى ليلة أسرى بى بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه » وبعض العلماء يرى شفاعة الجار . فكل من حفظ الجيران، فقد أطاع الرحمن ، وأسخط الشيطان ، وعمل بالسنة والقرآن . روى أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة فى سبعين من جيرانهما ويجوزانهم على الصراط . عباد الله من خفظ الجار نجا من النار ، وجاز الصراط إلى دار القرار ، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب ، وأطاع الملك الوهاب ، وأسخط الشيطان اللعين الكذاب ، وما من جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه إلا غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار . حفظ الجار قربة ووسيلة ، ودرجة عند الله وفضيلة وأنشدوا :

يا حافظ الجار ترجو أن تنال به ... عفو الإلـه وعفو اللـه مذخور
الجـار يشفـع للجيران كلهـم ... يوم الحساب وذنب الجار مغفور

القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق ، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار .

الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة ، وقد حرم نعيم الجنة . روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا كذب المؤمن كذبة من غير غدر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من

نتن ما جاء به ، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبه ثمانين خطيئة أقلها كمن يزنى بأمه ﴾ (١)

كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء منتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك ، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد. الكذب نفاق ، والكذب من الكبائر ، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقدر أن يباشر شيئا من محارم الله ، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام – يعنى على الصراط – ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازا على الصراط وأسرع الناس دخولا الجنة.والكاذب فى أول قدم يضعها على الصراط يهوى فى النار ، جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا وأنشدوا :

أصـدق يريك إله العـرش جنته ... يوم المعاد ولا تولع بتكذيب
إن الصدوق لدى الرحمـن منزلة ... دار الخلود بلا موت وتعذيب
يوم الجزاء على متن الصراط إلى ... دار النعيم بـلا حزن وتنكيب

ذكر فى بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا بهوله . فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين ولا تكونوا من الكاذبين ، وتأسوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

نجاة الصادقين

ذكر فى بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون (٢) مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة .

(١) روى الترمذى أوله وقال : حسن غريب ، وكذا رواه ابن عدى وأبو نعيم عن بن عمر .
(٢) يأخذ كل منهم مظلمته من الآخر .

قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده إن أحدهم مسكنه فى الجنة أدل منه لمسكنه الذى كان فى الدنيا » [1] يا لها من كرامة ، ويالها من نعمة ، ويا لها من منة ، ويا لها من فرحة . فقدموا عباد الله فى اليسير من الأوقات ، والقليل من الساعات ، ما يجوزكم الصراط ، ويقيكم الآفات . الصراط على متن جهنم ممدود ، لا يجوزه إلا من خاف من أهوال اليوم الموعود ، وأطاع الملك المعبود ، الغفور الودود .

الصلاة تجوز على الصراط

ذكر فى بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام فى ليلة من لياليها يصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعه بفاتحة الكتاب ﴿ وقل هو الله أحد ﴾ [2] ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول : سبحان من كان ولا مكان ، سبحان الموجود بكل حين وأوان ، سبحان المعبود فى كل أوان ، سبحان المسبح بكل لسان ، سبحان المنجى من الهلكات ، سبحان خالق الأرضين والسموات ، جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف ، ولا يؤذيه حر النار ويمضى إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين ، ويشفعه الله تعالى فى سبعين من أهله وجيرانه ، وهى أفضل ما يصام من الشهر وهى يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير وأكثر ما يزل النساء ، وجبريل عليه السلام آخذ بحجزتى [3] إذا عصفت الريح بأمتى فصاحوا يا محمداه فلولا أن جبريل عليه السلام آخذ بحجزتى لأغثت أمتى ، فيبادرون جوازا فلا يجوزه ظالم ، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائى لهم فيقول : جوزوا على الصراط بعفوي فيجوزوا »

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المظالم باب (١)

(٢) الإخلاص : ١ ، والمراد السورة كلها

(٣) الحجزه : معقد الإزار من الجسد

اللهم اغفر لنا جميعا برحمتك . وأنشدوا :

لو علـــم الخـلق ما يراد بهـــم ... وأيمـــا مــورد غـــدا يـردوا
مـا استعذبوا لــذة الحيـاة ولا ... طاب لهـــم عيش إذا رقـدوا
خوفا من العرض والصراط على ... نـار تلظـى وحرهـــا يقـــد
والناس من هول موقـــف عسر ... قـد عاينوا هوله الذى وعدوا
يا لك مـــن موقـف يفوز بـــه ... قوم هــم للجنان قـــد وفدوا
مع النبـى قد اصطفـاه خالـنا ... صلى عليه المهيمن الصـمد

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الأعمال ، وبالقليل من الأفعال ، وبالطيب من الأقوال ، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الأهوال ، يوم لابيع فيه ولا خلال ، بين يدى الكبير المتعال .

كيفية الجواز على الصراط

ذكر فى بعض الأخبار أن الناس ينقسمون فى جواز الصراط سبعة أقسام ، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين ، والقسم الثانى كالبرق الخاطف ، والقسم الثالث كالريح العاصف ، والقسم الرابع كالطير المجد ، والقسم الخامس كالخيل فى جريها ، والقسم السادس كالماشى ، والقسم السابع كالمهرول .

أقسام الناجين على الصراط

فأما القسم الأول : فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم .
والقسم الثانى : هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها فى أوقاتها .
والقسم الثالث : هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم .
والقسم الرابع : هم الذيم وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم

روى عن النبى ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم ، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذى يمشى فى رياض الجنة ، ولا يرى من أهوال الصراط شيئا ، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز

الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم .

والقسم الخامس : هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله ، وصانوا فروجهم عن الفواحش ، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن ، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال ﷺ :

حديث فى العناية بالنساء

« النساء ودائع الأحرار ، ولا يعزهن إلا عزيز ، ولا يذلهن إلا ذليل ، والذليل عند الله فى النار » وكذلك المرأة إذا عزت زوجها وأطاعته فيما يرضى الله تعالى .

والقسم السادس : هم الذين تجنبوا الربا والحرام ، وتجنبوا الخيانة فى المكيال والميزان . وقد قال رسول الله ﷺ :« كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار »

آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتى الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعبانا من نار يخطفه من على الصراط ويهوى به فى قعر جهنم مع اليهود ، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ماجنى .

والقسم السابع : هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم فى الله لومة لائم ،عملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنشدوا :

أتطمع بالنجاء وكيف تنجو ... ولست على نجاتك بالحريص ؟
ولو فى نيلها أعملت حرصا ... لنلت الفوز بالثمن الرخيص
ولكنى أراك تريد عزا ... وحالك حال ممتهن نقيص
وليس لمن تعرض للمعاصى ... – هديت – عن الضلالة من محيص

المتصدقين سرا وعلانية

يا أحبابى إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقا كثيرا نساء ورجالا قد سبقوهم إلى

الجنة فيقولون من هؤلاء الذين سبقونا ؟ فتقول لهم الملائكة : هؤلاء الرجال الذين تصدقوا فى السر ابتغاء وجه الله ، وتصدقوا فى العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله ، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين . وهؤلاء النسوة (اللواتى أطعن) أزواجهن ، وحفظن فروجهن وحفظن ألسنتهن عن أذى الزوج وعن أذي الجيران ، وتصدقن فى السر والإعلان ، تسبق هذه الزمرة [1] جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام ، ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا فى شفاعتهم ، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين ، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى ، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه .

آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز ، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء أهل النار فى النار فيقول : سبحان الذى خلصنى منك ونجانى من أهوال النار . فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكا من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له : قم ياعبد الله فينطلق إلى غدير [2] من ماء على باب الجنة فيقول له الملك: اغتسل من هذه الماء واشرب منه ، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام ، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كألوان أهل الجنة ، ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له: قف هاهنا حتى يأتيك إذن من ربك ، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شده العذاب ، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال : يا رب اصرف وجهى عن أهل النار ، حتى لاأنظر إليهم ، ولا أسمع صوتهم ، ولأسألك غير هذا ، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة ، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء مارأى أحد قط مثلها ، ثم ينظر إلى

---

(١) الزمرة : الجماعة (٢) نهر .

باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوما للطير المسرع ، والله أعلم من أى الأعوام ، يقول : يارب قد أحسنت إلى الإحسان كله جوزتنى الصراط ، وأنجيتنى من النار ، وأدنيتنى من باب الجنة ، هذه الروضة أسألك أن تبلغنى إليها ولا أسألك غير ذلك ، فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام ؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها

باب الجنة

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل [١] الأخضر ، وحصباؤها [٢] من الياقوت الأحمر ، فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك ، ويسمع حسن تغريد الأطيار و خرير تلك الأنهار ، وما لا تصفه ألسنه الواصفين ، ولا يخطر ببال المتفكرين ، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول : يا مولاى لقد أنعمت علىّ نعما أكمل النعم ، جوزتنى الصراط وأنجيتنى من النار ، وصرفت وجهى عن أهل النار حتى لا أراهم ، ولكن أسألك يا سيدى ومولاى أن تدخلنى الجنة فاجعل هذا الباب بينى وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم [٣] ولا أرى عذابهم ؟ فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ماقد سألت؟ ، فيقول : وعزتك يارب لا سألتك غيره . فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة فلا يرى إلا الشجر المثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمى ولا جنى ، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلو ما رأى مثلها قط آدمى ولا جنى ولا خطر على قلب بشر ، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل ، فيقول العبد : يارب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتنى من النار وأدخلتنى الجنة وأعطيتنى وأرضيتنى ، وإنما بينى وبين هذه الروضة قليل فبلغنى إليها فوعزتك

---

(١) الحجارة الكبيرة

(٢) الحصى الصغير

(٣) صوتهم الضعيف

لاسألتك غيرها . فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ماسألت؟يا ابن آدم أين ما أقسمت به أما تستحي من الله؟.

منازل الجنـة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه ، فيقول : يارب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره . فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه ؟ فينظر بين يديه فإذا بمنزل كأنما المنزل الأول والثاني وجميع ماخلق ورآه حلما فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلو نزل فى أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده من الكراسى مايجلسون ويتكئون عليها، ولكان عنه من الموائد مايفضل عنهم ، ولكان عندهم من الطعام والشراب ما يأكلون ، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ماأصاب رجل واحد « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » [1] وأنشدوا :

مقام المتقين غـدا جليـل ... يطيب لهم مع الحور المقيل
وأنـوار عليهـم مشـرقات ... إذا ناداهـم المـلك الجليـل

فائدة للجواز على الصراط

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته ، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، و « قل هو الله أحد » [2] ثلاث مرات ، ويسلم عن كل ركعتين ، فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبى ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال : سبحان الله خلق ما شـاء وقضى بما يشاء والحمد لله علـى كل شيء ثلاث مرات ،

---

(١)الشورى:٣٦ (٢)الإخلاص:١ والمرادال سورة كلها

ثم يقول : اللهم جوزنى الصراط ونجنى من هوله اللهم لا إله الا أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله . فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا بهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة ... فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب ، وتحصنوا به من أليم العذاب ، يا أولى العقول والألباب ، لأن الصراط حاد رقيق ، وطريقه أبعد الطريق ، يا له من طريق ، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق ، إلا عمل صالح ورب رفيق .

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب ، والدنيا تفنى وتخرب ، والنفس تموت والمرد إلى الحى الذى لا يموت ، فاستعدوا بكثرة الأنوار ، وبالصلاة وفعل الخير فى الليل والنهار ، وبالطاعة للنبى السيد المختار ، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار ، وابكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار ، يسره الله لنا وهونه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب .

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر فى ذلك الموقف أباه وأبناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق صديقه ، والوالد فى ولده ، والجار فى جاره ، والرجل فى زوجته ، والمرأة فى زوجها ، والإمام فى جماعته التى كان يصلى بها ، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه .

روى قتاده عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله : يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة فى حميمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد أحدا ، عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف ، وعند الصراط حتى ينظر أيجوزه أم لا ، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله » فهذه ثلاثه مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى « لكل أمريء منهم يومئذ شأن يغنيه » [(١)] هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال العظام

(١) عبس : ٣٧

أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته ، ويهونها علينا بمنه ولطفه. وأنشدوا:

بكيت على هول الصراط وذكـره وهول زفير النار من أعظم الذكـر
وكيف يطيق الصبر من كان عاصيا لخالق كل الخلق فى السر والجهر
ومـن يك ذا خوف شـديد لـهولـه فإن له أمنا من الـهول فى الحـشر
فليس لمـن يبكى لهول صـراطـه جزاء سوى دار النعيم مـع الفـخر
فـيا لـه مـن هـول فظيع يـجوزه رجال أطاعوا الله فى سالف العمـر

عباد الله تفكروا فى هول الصراط الرقيق البعيد ، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد ، وأطيعوا الجبار الولى الحميد .

لا تقبل صلاة شراب الخمر

ذكر أن شراب الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوى بهم إلى عين الخبال ، وهى قيح أهل النار ، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر فى الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن ، والأصل فى شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط ، لأنه ليس له عمل صالح ، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلا ممن صلى ، لأن الصلاة هى رأس الأعمال ، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصرا على شرب الخمر ، فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله ، فيأتى إلى الصراط ووجهه أسود ، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلا من له نور ، ومن ليس له نور أن يكبوه فى النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى .

التوبة من الخمر وثوابها

يا إخوانى اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نورا على الصراط وأسرع جوازا ممن لم يشربها ... فالله الله يا معشر المذنبين ، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين ، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين .

فضل المؤذنين

ذكر فى بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا الى الصراط يجدون نجائب [1] من نور مسرجه بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط ، ويشفع كل واحد منهم عند جوار الصراط فى أربعين ألفا كلهم قد استوجبوا النار ، ويجوز فى نور المؤزن ألف رجل وألف إمرأة وفى حديث آخر : أن المؤذن إذا جاء الى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا اله الا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذى يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، فيجوز الصراط فى نور المؤذن أربعون ألفا ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة فى أرض قفراء [2] أو موضع ليس فيه جماعة ، فقام فأذن ثم أقام فصلى ألا وأم من جنود الأرض مالا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى ، ويكتب الله له بعددهم حسنات ، ويمحو بعددهم سيئات ، ويرفع له بعددهم فى الجنة درجات ، لو دخل فى أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم ، ولكان فيها من الفرش والأسرة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر عل الإقامة وحدها لم يصل خلفه الا ملكاه اللذان يكتبان عمله » وفى حديث آخر « إذا أذن العبد المسلم فى فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين ، أحد طرفى الصف بالمشرق والآخر بالمغرب ، فإذا فرغ من صلاته ودعا أمنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات ، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات ، ويرفع له تعالى بعددهم درجات ، كل درجه أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدى أهله وبأيدى إخوانه الذين صحبوه وأحبوه فى الله فيفرقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط فى شفاعته ويمضون معه الى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته شيئاً » .

---

(١) النجيب من الإبل : الخفيف السريع (٢) قفراء : مجدبه ، لازرع فيها

فضل العلماء

ذكر فى بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا الى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيره خمسمائة عام ، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل من أحبه فى الله ومنادى ينادى هؤلاء أحباء الله ، هؤلاء أولياء الله ، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء .، هؤلاء الذين علموا عباد الله ، هؤلاء الذين دعوا الى الله ، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله ، هؤلاء مصابيح الدجى ، هؤلاء أئمة الهدى ، فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج فى السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى ، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطى نورها نور الشمس ، ولمات الخلائق كلهم عشقا إلى رؤيتها ، ولملأت الأرض والبحار من رائحه المسك ، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من شرر جهنم ومن حر الشمس وأنشدوا :

يا طالب العلم ترجو أن تنال به ... عفو الإله وعفو الله موجود
أطلب بعلمك وجه الله خالقنا ... إن الصراط على النيران ممدود
عفو الإله لأهل العلم نائلهم ... وعفوه عند أهل الجهل مفقود
فاحرص هديت على التعليم مجتهدا ... وأنت عند إله العرش محمود
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا ... وأنت بين عباد الله مسعود

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملا بلا علم . قال الله تبارك وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » [1] فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقى . قال الله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين » [2] ومن لا يعلم لا يتقى ، وكيف يتقى من لا يتقى ما يتقى . وقد قال رسول الله ﷺ « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه

(١) فاطر : ٢٨ (٢) المائده : ٢٧

صدقة ، به يعرف به الله ويعبد ، وبه يحمد الله ويوحد ، [1] وهو إمام العمل والعمل تابعه ، يرفع الله بالعلم أقواما فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم . فقد بين رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله ﷺ : « به يعرف الله ويعبد » ويستوفى ذكر فضل العلم فى قول الله تبارك وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » والمقصود فى هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه .

فضل حملة القرآن

ذكر فى بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك أسود وأنوار وجوههم تغشى بالأبصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وكلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلا من نور الجنة عليه سرج من المسك الأذفر والعنبر الأشهب ألجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز فى شفاعة كل واحد مائة ألف ممن قد استوجب النار ، ومناد ينادى : هؤلاء أحباب الله ، هؤلاء أولياء الله الذين قرأوا كتابه وعملوا بـه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم فى الدنيا أحبه الله ، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم . وهذا إذا عملوا بالقرآن ، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمحكمه ووقفوا عند متشابهه ، وسارعوا إليه « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » [2] « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » [3] أولئك أولياء الله الصالحون . أولئك الذين رضى اللـه عنهم ووفقهم وهداهم وآتاهم تقواهم .

من لا يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتى إلى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع

---

(١) رواه الخطيب فى المتفق والمفترق عن معاذ وإسناده ضعيف جدا إن لم يكن موضوعا

(٢) المجادلة : ٢٢ (٣) الأنعام : ٩٠

الحديد وأرازب النار ، وتسود وجوههم على قدر ما ضيعوا من العلم ، فمن تعلم علما للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل ، وكتمه ولم ينصح به عباد الله ، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك ، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور ، وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم ، وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط ، ثم يكون العلم للعامل نورا ، وفرحة وسرورا ، وجنة وحبورا ، ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤسهم منشورة ، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة ، وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والملائكة تنادى : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، وأنت فى ظلمك حيران ، أيقنت بالحلول فى سموم النيران ، إلا أن يتدارك بعفوه الملك الديان . وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادى عليك ولجام النار فى فمك لو كان ذلك اللجام فى الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادى عليك : هذا الذى ضيع حدود الله ، هذا الذى خالف أوامر الله ، هذا الذى بدل عهد الله ، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وآثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء .

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلا واشتريت به ثمنا قليلا ، ولم تراقب مولى كريما جليلا وتركت وراءك يوما هائلا ثقيلا ، وخسرت يا مغرور ملكا كبيرا دائما جزيلا .

فسقة حمله القرآن

ذكر فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال : « الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران ، فيقولون : ويبدأ بنا قبل عبدة الأوثان والنيران ؟ فتقول لهم الملائكة : ليس من يعلم كمن لا يعلم » [1] وفى حديث آخر « إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا الى حملة القرآن الفساق أخذوهم وزجوا فى أقفيتهم وألقوهم فى جهنم أو يعف الله تعالى عنهم » اللهم اعف عنا وعن

---

(١) أخرجه الطبرانى وهو حديث منكر

جميع إخواننا المسلمين ، واجعل القرآن حجة لنا ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين . وأنشدوا :

عظمت مصيبة حامـل الـقرآن ... إن كان ملجأه إلى النـــار
فهو الجزاء لمن عصى رب العلا ... دار العذاب وموقف الخسران
عظمت خسارتـه وجل مصابـه ... عند الصراط بظلمة وهـــوان
يـارب عفـوا عـن قـبيح فعالـنا ... أنت الدليل لجنة الرضــوان

فاتقوا الله معشر أهل القرآن فى كتابه ، وأشفقوا من أليم عذابه ، واعملوا بالقرآن وارغبوا فى جزيل ثوابه ، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن لم تعملوا به ويل وثبور « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » (١)

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « عرضت على الذنوب كلها فلم أر فيها ذنبا أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه » ومعنى تاركه تارك العمل به ، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء » وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن: أما تستحى أنا معك وأنت تغضب ؟ اقتدى بى تنـجو وأكرمنـى بالطاعـة أنجيك مـن الأهـوال وأجوزك الصـراط وأدخلـك الجـنة .

ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ما من شفيع أفضل منزله عند الله من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره » (٢) فإنا لله وإنا إليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان ، وعصى مولاه وأطاع الشيطان ، لقد ضل ضلالا بعيدا ، وتبوأ عذابا شديدا . وبقى من الخير فريدا وحيدا فيا لها من مصيبة ما أعظمها ، ومن حسرة ما أدومها .

ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خلف الصراط جسر عليه الأمانه ، وجسر عليه الـرب جل جلاله ، وجـسر عليه الرحمة » فيا أيها السامع لما جـاء مـن

---

(١) لقمان : ٣٣ (٢) رواه عبد الملك بن حبيب من روايه سعيد بن سليم مرسلا

أحاديث الصفات والآثار المشكلات ، سلم الأمور لباريها ، وأترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها ، وعليك بخويصه نفسك ، واعمل ليوم رمسك وذلك الجسر عليه السؤال ، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ، عبدى عملت كذا فى يوم كذا؟ فيقول العبد نعم يارب فلا يزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد : لإرسالك بى الى النار أهون على من هذا التوبيخ. فيقول له جل وتعالى ياعبدى بعينى إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيدا وملائكتى وأرضى ، ولكن سترت عليك بحلمى وجودى ، ياعبدى أنا سترتها فى الدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك . غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد رسول الله ﷺ .

٤ ـ مجلس فى قوله سبحانه وتعالى
﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ﴾ (١)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ هم قوم إستوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف ، والأعراف هى مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهى الجسور بعضها اصعب من بعض ، وبعضها اشد سؤالا من بعض ، وبعضها أكثر إرتفاعا من بعض ، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التى إفترضها الله عليه فى الدنيا . فنسأل الله التوفيق فى الدنيا والتسهيل فى الآخرة فى تلك المقامات .

سؤال العباد يوم القيامة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة، ثم الزكاة ، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الأمانة ، ثم بر الوالدين ، ثم حفظ اللسان ، ثم حفظ الجار ، ثم صلة الرحم ، وكذلك جميع ما أمر اللهبه وجميع ما نهى عنه، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته ، فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله ، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط ،فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور فى بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه فى بعضه الآخر ، والصراط أسود مظلم من شده سواد جهنم ، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت فى الدنيا لأظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شده الظلمة ، وإنما حبس الله تعالى هولاء القوم على أعراف الصراط ليبين لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ ،

(١)الأعراف:٤٦

ويظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك ان الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمضون على الصراط منصوب على متن جهنم ، وتأتى الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون ، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم أى عن أيمانهم .

ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرين فإنهم يمضون فى ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التى عملوا فى حال الكفر فى دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهوون فى النار فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتلقيهم فى قعر جهنم ، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون فى آثارهم يتبعونهم وينادونهم:﴿ أنظروا نقتبس من نوركم ﴾ (١) فنمشى فى ضوئكم ، فيقال : ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ (٢) وهو قوله تعالى ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ (٣) وذلك أنهم كانوا فى الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم ، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم ، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا فى نورهم قالوا للمؤمنين : ﴿ أنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ﴾ فيظنون أن وراءهم نورا يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم (سرداب) فيظنون أن فى السرداب نورا يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم ، فإذا رأى المؤمنون المنافقين تساقطوا وتهافتوا فى النار فزعوا مما حل بالمنافقين ، فعند ذلك يقال لهم :﴿ بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ (٤) وهذا العذاب الذى فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه ، فعند ذلك يضرب بينهم ﴿ بسور له باب ﴾ (٥) .

---

(١) الحديد : ١٣ (٢) الحديد : ١٣ (٣) النساء : ١٤٢
(٤) الحديد : ١٢ (٥) الحديد : ١٣

السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار ، باطن ذلك الحائط ﴿ فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [1] – يعنى جهنم – والباطن فيه الرحمة – يعنى الجنة – فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا عليهم ولم يلتفتوا إليهم، ورأوهم فى حال السلامة والفوز . فيقول لهم المنافقون ﴿ ألم نكن معكم ﴾[2] فى الدنيا على التوحيد وكنا نصلى معكم ؟ فيقول لهم المؤمنون . ﴿ بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ [3] أى عذبتم وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم بألسنتكم ما ليس فى قلوبكم ، ونكذيبكم بلقاء الله تبارك وتعالى ، وكذبتم بهذا اليوم ﴿ وتربصتم ﴾ [4] برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر ، ﴿ وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله ، وغركم بالله الغرور ﴾ [5] فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ [6] يعنى لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء .

صفة المنافقين

فالكافر هو الذى كفر فى السر والإعلان ، والمنافق الذى كفر فى السر وآمن فى الإعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه ، وقوله ﴿ مأواكم النار ﴾ أى مرجعكم إليها ومستقركم فيها ، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومتم على النفاق ، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور رأوا سردابا فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم ، فتخطفهم الملائكة بالكلاليب ، فتقذفهم فى جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم ، ثم يلقون فى الباب الثانى حتى يجاوزونه ، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا الى الدرك الأسفل من النار فينتهى بهم إلى جب يقال له جب الحزن فى ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار.

---

(١) الحديد : ١٣ (٢) الحديد : ١٤ (٣) الحديد : ١٤
(٤) الحديد : ١٤ (٥) الحديد : ١٤ (٦) الحديد : ١٥

على تلك البئر صخرة من كبريت ، فى تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التى تخرج منها ، فتأكل تلك النار التى تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين ، فيؤتى بالمنافقين فيلقون فى تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبدا ، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوما غيرها ، فلا يخرجون من تلك البئر أبدا ، فذلك قوله عز وجل: ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ (١) وقوله ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ (٢) يعنى بقوله ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ (٣) وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط، وهو أعلا الجسور من الصراط وهى الأعراف ، وهى المواضع المرتفعه وأحدها عرف ، وتسمى النشز من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفا ، ومنها عرف الديك .

أهل الأعراف

فإذا صاروا على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة ، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم فى الدنيا ، فمن الناس من يكون له من النور مايضىء على الصراط مسيرة مائة عام ، ومنهم من يعطى من النور ما يضىء له مسيرة سنة ، وما يضىء مسيرة شهر ، ومسيرة جمعة ، ومسيرة يوم، ومسيرة ساعة ،ومن الناس من يعطى من النور مايضىء له موضع قدميه . على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم فى الدنيا ، فيستبقون فى الجواز على قدر أنوارهم التى معهم فمن كان له نور كثير جاز فى السعة ، ومن كان له نور قليل جاز فى الضيق ، على قدر ما أعطى الله لكل عبد ، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم فى ذلك ولا ينظرون الى موضع أقدامهم من شده الظلمة ، والظلمة هى شده سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها

---

(١) النساء : ١٤٥ (٢) النساء : ١٤٢ (٣) الحديد : ١٣

وسهل لجميعنا شدائدها وظلمتها ، وثبت على الصراط أقدامنا بمنه وفضله . والصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر ، عليه من الحسك [١] والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عدد نجوم السماء إذا تكلم واحد منهم تناثر النار من فيه ، لو أن واحدا منهم بصق فى البحار الزاخرة [٢] لجففها ، وإذا تكلم واحد منهم فزع صاحبه منه ، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنها وجميع ماخلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه ، ومن شدة صوته . وإذا صاح مالك [٣] خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته ، والصراط مع دقته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفه ، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون فى النار ، قال الله تعالى ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ [٤] وهم يستغيثون ويتضرعون إلى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ماهم فيه من صعوبة الصراط ، فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغمومين مكروبين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون !! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله فى الدنيا ، فبينما هم كذلك إذ يلقى الله تبارك وتعالى ذكرهم فى قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم ، فيقول بعضهم لبعض ياليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الأعراف؟فيقولون ما لنا علم بما صنعوا ولكنا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا فينادون من قصورهم يا معشر الملائكة الذين مع أصحاب الأعراف ما فعل أخواننا من أصحاب الأعراف ؟.

شفاعة أهل الجنة فى أصحاب الأعراف

فيقول الملائكة : يامعشر أهل الجنة أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهـم يطمعون

---

(١) الحسك: نبات له شوك (٢) كثيرة المياه

(٣) خازن النار (٤) الأعراف: ٤٧

بدخولها قد قل نورهم وطفىء سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى : ﴿ ونادوا أصحاب الجنة ﴾ (١) يعنى نادت الملائكة أصحاب الجنة ﴿ أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ (٢)

حياء آدم

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلى والحلل ويضعون التيجان على رؤسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم عليه الصلاة والسلام وهو فى قصره فينادون بأجمعهم : يا أبانا أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته ، إن ناسا من ولدك محبوسون على الصراط قَلّ نورهم ، وطفىء سراجهم ، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين . فيقول آدم عليه السلام : لست هنالك ، أنا الذى عصيت ربى وأكلت من الشجرة فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئا ، ولكن عليكم يا بنى بنوح الذى حمله الله فى الفُلْك .

حياء نوح

فيأتون نوحا عليه السلام فينادون بأجمعهم : يا نوح ، فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح : يا أهل الجنة ما الذى أزعجكم من منازلكم وما الذى جاء بكم ؟ فيقولون له : يا نوح أنت الذى حملك الله فى الفلك إن ناسا محبوسون على الصراط ، قل نورهم ، وطفىء سراجهم ، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم نوح : لست هنالك أنا الذى خاطبت ربى فيما ليس لى به علم فغفر لى ، وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئا ، ولكن عليكم بإبراهيم الذى اتخذه الله خليلا ، وجعل النار عليه بردا وسلاما ، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو فى قصره فينادون بأجمعهم : يا إبراهيم أنت الذى اتخذك الله خليلا إن ناسا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ،فيقول لهم لست هنالك ، أنا الذى كذبت كذبتين – وقيل ثلاث – فغفر لى وأنا أستحى أن

(١) الأعراف : ٤٦ (٢) الأعراف : ٤٦

أسأله بعد المغفرة شيئا ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونَجِيهِّ .

حياء موسى

فيأتون بموسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له : يا موسى أنت الذى كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقا يبسا فى الأرض وأراك العجائب من قدرته ، إن ناسا من إخواننا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم ، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم موسى : لست هنالك أنا الذى وكزت الرجل فقتلته فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئا ولكن عليكم بعيسى بن مريم العذراء البتول البكر .

حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو ﷺ فى قصره فينادونه بأجمعهم : يا عيسى ، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم : يا أهل الجنة ما الذى أزعجكم من منازلكم ، وما الذى جاء بكم ؟ فيقولون له : يا عيسى أنت الذى خلقك الله من غير بشر ، وأنت الذى جعلك الله آية للناس ، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول ، إن ناسا محبوسون على الصراط قلّ نورهم وطفىء سراجهم ، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول: لست هنالك أنا الذى زعمت النصارى أنى قلت لهم اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فأستحى منه أن أسأله شيئا ولكن عليكم بالذى كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم، عليكم به فهو إمام المتقين ، وسيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد ﷺ .

شفاعة محمد

فيأتون النبى ﷺ وهو فى قصره خير قصور الجنة ، فيقفون حول القصر والقصر قد أشرق نوره وبهجته على جميع قصور أهل الجنة ، فينادون بأجمعهم : يا محمد ، يا أبا القاسم ، يا أحمد ، يا سيد العالمين ، يا إمام المتقين ، يا خاتم النبيين ، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذى أزعجكم من منازلكم وما الذى جاء بكم ؟

فيقولون له : أنت الذى جعلك الله خاتم النبيين ، وسيد العالمين ، وإمام المتقين ، إن ناسا من أمتك على الصراط محبوسون قل نورهم وطفىء سراجهم ، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين .

دخوله جنة عدن

فيقول النبى ﷺ : أنا لها ، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلى والحلل ويضع على رأسه (التاج) صلوات الله وسلامه عليه ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهى إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال: من هذا ؟ قال ﷺ فأقول: أنا أحمد ، فيفتح لى ، فإذا خلف السرداق ملك يتلألأ نور فيهولنى ما أرى منه فيؤنسنى ويمسحنى فيقول : يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك ، ثم أمضى فأنتهى إلى سرادق ثان فأستفتح فيقال : من هذا ؟ فأقول : أنا أحمد ، فيفتح لى ، فإذا خلف سرادق ملك عظيم أعظم خلقا وأشد نورا من الذى رأيت فيهولنى ما رأيت من عظمه ، فيؤنسنى ويمسحنى ويقول : يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك ، فلا أزال أمشى فى عظم الملائكة و بعضهم أشد نورا من بعض ، حتى أنتهى إلى السرداق السابع فأستفتح فيقال : من هذا ؟ فأقول : أنا أحمد ، فيفتح لى فإذا خلف السرداق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول : مرحبا بهذا الصوت ، لقد كنت إليه مشتاقا فأمضى حتى أنتهى إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لى رب العالمين جل جلاله وعظمت قدرته ، فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ماحمده بمثله ملك من حملة العرش ، ولا من حملة الكرسى ولا نبى مرسل حينئذ فى ذلك المكان ، حتى يقول الكروبيون [1] والروحانيون وأصحاب السرادقات : إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع .

سجوده بين يدى الله تعالى

فيقـول الجبار جـل جلاله وعظـمت قدرته : يا أحـمد ارفـع رأسك وسل تعـط

---

(١) المقربون من الملائكة .

واشفع تشفع ، قال رسول الله ﷺ : فأرفع رأسى من السجود فإذا نظرت إلى ربى جل جلاله خررت ساجدا وأحمده وأثنى عليه بمثل ما حمدته به فى المرة الأولى ، فأفعل ذلك ثلاث مرات وربى جل جلاله يقول لى فى كل مرة ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يارب إن ناسا من أمتى محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فأتمم لهم نورهم وأضىء سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير ﴾(1) حتى نمضى كما مضى إخواننا إلى الجنة ، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن، ثم يغمسون غمسا فيحيى الله نورهم ويضىء سراجهم ، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم : ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ (2) وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض : والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا فى جهنم ، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة : ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ﴾ ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف .

جاه المصطفى العظيم

فيقولون لهم : ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ أى لا تحزنون ولا تموتون فى الجنة أبدا ، فيمضون والنور الذى جاءتهم به الملائكة فى جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد ﷺ وإنما حبسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد ﷺ وفضله وحرمته ودرجته ومنزلته ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقباه ، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يارب العالمين صلاة دائمة منتهى الآباد ، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينا بها من حر جهنم وبئس المصير ، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين ، آمين يارب العالمين .

---

(1) التحريم : 8 (2) الأعراف : 49

٥ - مجلس فى قوله تعالى :
﴿ يوم تأتى كلُّ نفس تجادلُ عن نفسِهَا ﴾[١]
وفى حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « تقف الخلائق للعرض الأكبر بين يدى رب العالمين فيغرقون فى العرق على قدر أعمالهم »

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا بنى آدم انصتوا فطالما أنصت لكم وفى رواية أخرى : فقد نصت لكم من يوم خلقتكم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فأنظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، احشروا على عبادى فوعزتى وجلالى لا يجوزنى ظلم ظالم » : فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب ، يا مخالف السنة والكتاب ، ياظالما لنفسك يا غافلا عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب ، يا من تمادى فى معصية رب الأرباب ، ونسى الجنة وحسن المآب . وأنشدوا :

إلى كم لا تفيق من التصابى ... وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرء حظا ... ويزهد فى الكثير من الثواب
فقد ما غرت الدنيا أناسا ... كما غر المحين بالشراب
تمنيهم غرورا باطلات ... وتخدعهم بآمال كذاب
كأنك لا ترى فى كل يوم ... جنائز تستحث إلى الخراب
خلقت من التراب وعن قريب ... ستلحق - غير شك - بالتراب
وتحيا بعد موتك كى تجازى ... بما قدمت فى يوم الحساب

---

(١) النحل : ١١١

فإنك تك بالمسيء بقبح فعل | فحسبك بالعقاب مع العذاب
وإن كنت الذى قدمت خيرا | جزيت به غدا حسن المآب

تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر فى بعض الأخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الأولون والآخرون فى عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى : أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمت الجبابرة بسلطانى ، وأفنيت الملوك بعظمتى .

ذكر فى الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صور الذر أصغر الخلائق خلقة لتجبرهم على العباد ، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن اتباع سنه رسول الله ﷺ . وقيل الجبابرة هم الذين جبروا المساجين والضعفاء على مالم يطيقوا وهذا الإسم قد اشترك فيه الخالق والمخلوق ،فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة

تفسير الجبار

وتفسير الجبار فى حق الله تعالى : الذى جبر عباده على ماأراد ، وقيل : الذى يجبر عن ظلم العباد . إن الله تعالى جل إسمه لا ينسب إليه الظلم لأن حد الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ، لأن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى ، والجبار من العباد هو الظالم الذى يضع الشيء فى غير موضعه ، يأخذ ماليس له بحق ويرده إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى ، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاء فهو له خيرا .

لقول رسول الله ﷺ : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذى قضاه الله عليه أو له خير له من الذى أراد لنفسه » .

وقال رسول الله ﷺ : « فى قضاء الله تعالى خيرا إلا قضاء النار » وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه . وهو يفعل مايريد لا شريك له فى ملكه . ثم ينادى الجليل جل جلاله : ﴿ يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ (١) فإذا سمع الخلق هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ، ثم ينادى ثانية : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ (٢) فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلما ، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون ، ثم ينادى ثالثة : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (٣) أى كانوا يتقون الكبائر، فينكس أهل الكبائر رؤسهم ، ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحا .

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر ، وعصيت مولاك فى الخفيات والظواهر ، وأيقنت أنك مسئول يوم تبلى السرائر ، ولاق من العقوبه على ذلك الحظ الجزيل الوافر . و أنشدوا :

عصيت اللـه ألوان المعاصـى ... كأنـى لست أوقن بالقصاص
فمالى لا أنوح علـى ذنوبـى ... وأبكى يوم يؤخـذ بالنواصى

نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم ، وزوال النعم ، ونزول النقم . فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ (٤)

السائق والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديـان ، نشرت الدواوين ووضعت الموازيـن ، وجىء بالنبيين ، ونصبت المـنابر بالأنبياء والرسـل

---

(١) الزخرف : ٦٧ (٢) الزخرف : ٦٨

(٣) يونس : ٦٣ (٤)النحل : ١١١

فيجلس كل نبى على منبره وأمته قد أحدقت به ، ونصبت الكراسى للصديقين والشهداء ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ [1] سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، فالناس ينقسمون فى السياقة على قسمين : قسم تسوقه الملائكة ببر وإكرام ، ورقة وإجلال ، وتؤمنهم وتهدئ روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يعذب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة : يا عبد الله ماأنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت أطعته . والقسم الثانى يساقون بالانتهار والسطوة والإغلاظ ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرى ، كلما نظر المسكين إلى من يعذب أو ينكل قال له سائقه : الساعة تكون أنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت عصيته ، أما علمت ياعدو الله أن الحساب والحشر أمامك ؟ وأنشدوا :

كأنى بنفسى قد بلغت مدى عمرى ... وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهرى
وطالبنى من لا أقوم بدفعه ... وحولت من دارى إلى ظلمة القبر
وفاز بميراثى أناس فشتتوا ... بإفسادهم ما كنت أجمع من أمرى
وأغفلنى من كان يبدى محبتى ... فأخلصه ودى ويغمره برى
فلم يسخ لى منهم صديق بدعوة ... إذا ما جرى يوما بحضرته ذكرى
وأضحى لبيتى ساكن مبهج به ... وفى اللحد بيتى لا أقوم إلى الحشر
فيا شقوتى إن لم يجد بنجاته ... إلهى ولم يجبر برحته فقرى
فقد أثقلت ظهرى ذنوب لو انها ... على ظهر طود [2] أثقلته فى الوزر

فما أعظم مصيبتكم ، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم ، فاغتنموا التجارة فى دار الفناء والذهاب ، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب ، فالحساب عظيم عسير ، والهول والله جليل كبير ، والناقد مميز بصير ، واليوم عبوس قمطرير .

اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا جمع الله تبارك وتعالى

(١) ق : ٢١ (٢) الطود : الجبل

الأولين والآخرين فى صعيد واحد ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وأحضرت الأنبياء بأممها ، وحضر الصديقيون والشهداء ، وحشر وحوش الأرض ، وهوامها وطيورها وأنعامها ، وسكان جبالها وبحارها .

ينادى مناد من قبل العرش : أين اللوح المحفوظ ؟ فيؤتى بالوح المحفوظ فيوقف بين يدى الجبار جل جلاله خاضعا ذليلا ، فيقول له تبارك وتعالى : ما صنعت بالوحى الذى أنزلت فيك ؟ واللوح من درة بيضاء ، صفحتاه من ياقوتة حمراء ، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، فيخلق فى كل نظرة ، ويحيى ويميت ويعز ويذل ، ويرفع أقواما ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله ، ويخفض أقواما ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ماقدروا الله حق قدره ولا عبدوه حق عبادته ، لأنه جل جلاله أجل وأعظم من أن يوفى فى العبادة والطاعة والمعرفة حقه ، ماقدر على هذا نبى مرسل ولا ملك مقرب ، فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . قال فيقف اللوح بين يدى الجبار جل جلاله وعظمت قدرته فيقول له :أيها اللوح المحفوظ ماصنعت بالذى أنزلته فيك ؟ فيقول اللوح المحفوظ سيدى ومولاى بلغته عبدك ميكائيل .

رسالة ميكائيل

فينادى : أين ميكائيل فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناح واحدا فى الدنيا لما وسعته ، فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى خاضعا ذليلا قد بلغت نفسها إلى حنجرته فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفا وجزعا وهيبة من الجبار جل جلاله ، فيقول الله له : ما صنعت بالوحى الذى بلغ إليك اللوح المحفوظ ، وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق فى علمى أنى أسألك اليوم عبادى وجميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض ، فيقول ميكائيل: يارب بلغنى اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل وأنت أعلم .

رسالة إسرافيل

فيبرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له ، ثم ينادى أين إسرافيل ؟ فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى ، والعرش على رأسه ، فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعا ذليلا قد ذهلت نفسه وتغير لونه ، وارتعدت فرائصه ، واضطربت أوصاله ، واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفا وجزعا وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله : ماصنعت بالوحى الذى بلغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علام الغيوب . فيقول إسرافيل عليه السلام : نعم يا سيدى ومولاى قد بلغنى وأنت أعلم وقد بلغته عبدك جبريل ، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام .

رسالة جبريل

ثم ينادى : أين جبريل ؟ فيؤتى بجبريل ﷺ وقد تغير لونه وتبلبل لبه وارتعدت فرائصه ، واضطربت أوصاله ، واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تخرج جزعا وخوفا من الجبار جل جلاله ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام : نعم يا سيدى ومولاى بلغنى وبلغته نبيك نوحا عليه السلام وأنت أعلم فيبرأ إسرافيل بشهادة جبريل .

شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدى الجبار جل جلاله وقد ذهبت نفسه وتغير لونه وقد مات فزعا وخوفا من الجبار جل جلاله ، فيقول الجبار جل جلاله : يا نوح ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى جبريل وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: نعم يا سيدى ومولاى قد بلغنى عبدك جبريل وقد بلغته قومى وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك . فيقول الله تبارك وتعالى : صدقت أنا أعلم من جميع خلقى ولكن قد سبق فى علمى أن أسأل جميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذى لا أجور فى حكمى .

ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم : ماصنعتم بالوحى الذى بلغكم نوح وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ ؟ فيقول قوم نوح : ربنا ماجاءنا من نذير ولا رأيناه يوما قط ولا سمعنا به ولا بلغ إلينا رسالة ، فإذا سمع نوح عليه السلام كلام قومه ذهبت نفسه وود لو ابتلعته الأرض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياءً من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : « يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك بلغت قومك الرسالة ؟ » فينظر نوح عليه السلام فى الموقف يمينا وشمالا ومشرقا ومغربا يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين ، وبين كراسى الشهداء والصديقين ، فلا يرى فى المنابر أعلى ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد ﷺ .

جاه الرسول الأعظم

ولا يرى فى الأنبياء أحسن وجها من وجه محمد ﷺ ولا يرى نوح فى الكراسى أنور ولا أحسن من كراسى أمه محمد ﷺ ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولا يرى فى الوجوه أحسن وجها من وجوه أمة محمد ﷺ ولا يرى فى الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فضل أبى بكر الصديق

فيقول له نوح : قد أصبت من يشهد لى يا مولاى وسيدى ، فيقول الله تبارك وتعالى : – وهو أعلم – من يشهد لك يا نوح ؟ فيقول نوح عليه السلام : يشهد لى محمد ﷺ وأمته بأنى قد بلغت قومى الرسالة ، فينادى مناد أين النبى الأمى العربى التهامى ؟ أين أحمد ؟ أين سيد العالمين ؟ أين خاتم النبيين والمرسلين ؟ أين إمام المتقين ؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ وعند ذلك يرفع أهل الجمع رؤسهم إذا رأوا رسول الله ﷺ فيمضى صلوات الله عليه حتى ينتهى إلى ربه عز وجل ، فيقول له ربه : يا أحمد – ونوح قائم ينظر – ما تقول هل بلغ نوح الرساله إلى قومه ؟ فيقول محمد ﷺ : نعم يا سيدى ومولاى قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا

خمسين عاما ، فيقول الجبار جل جلاله : صدقت يا أحمد . فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه : ثم يقول الله تعالى : يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة ، فبينما الخلائق فى الموقف إذ يموج بعضهم فى بعض ويفزعون فزعة عظيمة ، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يمينا وشمالا فلا يرون النبى محمد ﷺ والأمم قد أحدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ خاليا .

منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض : لمن هذا المنبر الذى لا يرى فى الموقف مثله لحسنه وجماله ، ولا يرى أنور منه ولا أعلا ولا أبهى منه ، ونراه خاليا ولا نرى له صاحبا ؟ فبينما هم ينظرون الى منبر النبى محمد ﷺ ، وأن محمدا ﷺ يناجى ربه فى المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله تعالى . فبينما هذه الأمة وقوف مغمومون محزونون بما يأتى النبى ﷺ من عند ربه عز وجل ، إذ يخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهى إليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤوسهم وينظرون إليه ، فإذا رآهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء ، فإذا نظروا ﴿ تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ [1] الآية . ذلك يوم مهول عبوس يوم تشيب فيه الرؤوس، وتذهل فيه النفوس ، وتبلو كل نفس ما أسلفت ، وتقدم كل أمة على ما قدمت ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت يجد والله كل عبد وأمة ماعمل وقدم من خير ثوابا ونعيما ، وسرورا مقيما ، وربا كريما ، رؤفا بعباده رحيما . ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خزيا جسيما ، ونارا جحيما ، وعذابا مقيما ، ونكالا أليما ، وربا غضبانا عظيما ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت ﴾ [1]

الثواب والعقاب

يـجد الطائع الثواب ، ويـجد الفاسق العذاب ، يـجد المؤمن لـذة الوصال ، بالنظـر

---

(١) آل عمران : ٣٠

إلى الكبير المتعال ، فى دار الخلد والجلال ، ويجد الكافر العذاب والنكال، والسلاسل والأغلال ، والجحيم والخبال ، وفظاعه الأهوال ، يوم تجد كل نفس ماعملت ، يجد المؤمن النعيم والكرامة ، والأمن فى القيامة ، والعافية والسلامة ، والحلول فى دار المقامة ، ويجد الكافر الخزى والندامة ، والعذاب والملامة ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت ﴾ [١] يجد المؤمن الدرجات ، ويجد الكافر العقوبات ، يجد المؤمن السرور ، ويجد الكافر الثبور ، يجد المؤمن النعيم والخلود ، ويجد الكافر عذابا غير مردود ، ويجد المؤمن ما قدم من إحسان ، فى درجات الجنان فى جوار الرحمن ، مع الخيرات الحسان ، ويجد الفاجر ماعمل من العصيان فى سموم النيران ، فى جوار الشيطان ، مع الذل والهوان ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت ﴾ فى يوم هائل عظيم ، يوم تكثر فيه الغموم وتعظم فيه الهموم ، ويفصل الرب بين عباده وهو الحى القيوم ﴿ يوم تجد كل نفس ﴾ يوم تندم على القبائح ، وتتأسف عند معاينة الفضائح ، وتوجد الأعمال فى الصحائف الصحائح . يوم تجد كل نفس يوم يندم الظالم ويخسر الآثم ، ويكون الجبار جل جلاله فى ذلك اليوم العدل الحاكم ، ذلك يوم الندامة والحسرة ، والأهوال والعبرة . وأنشدوا :

يا واحدا صمدا بغير قرين	ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف على إذا وقفت مروعا	حيران بين يديك يوم الدين
يا حسرتى بين العباد إذا همو	خافوا الحساب فخف عنم دونى
ما حيلتى فى نشر صحيفتى	إذ قيل لى خذها بغير يمين
ما حيلتى عند الحساب وهوله	إذ قصرت بى قوتى ويقينى
لا حيله عندى ولا موئل	إن خاننى طمعى وحسن ظنونى
يارب لا تترك عبدك هالكا	وارحم بفضلك عبرتى وشئونى [٢]

﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ أى تجده حاضرا عتيدا وتسأل عن أعمالك سؤالا شديدا ﴿ وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) العبرة : الدموع

قيل (الأمد البعيد) : الذى يود من عمل سوءا وعصى مولاه أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب .

وقيل (الأمد البعيد) : الغاية فى البعد الذى يتمنى أنه تاب فى الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحى عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة ، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة ، كما قال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلَهـا آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون﴾ الآية

فائدة التوبة

وقال رسول الله ﷺ « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » (٢) فإذا رأى المسكين الذى عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم والخطوب ، واسود وجهه من ظلمات الذنوب ، وقد غضب عليه علام الغيوب ، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير ، والحساب اليسير ، ولباس السندس والحرير ، والنظر إلى وجه السميع البصير ، ورأى نفسه قد خسر وخاب ، وحرم الثواب ونوقش الحساب ، وحجب عن رب الأرباب ، وصار إلى أليم العذاب ، . يود لو كان تائبا ، ولم يكن من الرحمة خائبا ، يود لوكان السوء عنه بعيد ، ولم يكن حاضرا عتيدا ، ولم يكن العذاب عليه شديدا ، يود لو كان من التائبين ، ولم يكن من المحرومين ، يود لوكان من الآمنين ، ولم يكن من المخالفين ، يود لوكان من الطائعين، ولم يكن من العاصين ، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين ، يود لو كان من أهل الجنان ، ولم يكن من أهل النيران ، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب ، يود لو كان من أهل النعيم ، ولم يكن من أهل الجحيم ، يود لو كان من الأولياء ، ولم يكن من الأشقياء ، يود لوكان من أهل الوفاق ، ولم يكن من أهل النفاق . يود لو كان من أهل الفوز بالجنة ، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة، يود لو كان سعيدا رشيدا ، ولم يكن عن الله بعيدا .

---

(١) الفرقان : ٦٨ (٢) رواه أحمد والدارمى والترمذى وابن ماجه

لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته ، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته .

عمل العبد يلازمه

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيرا كان أو شرا فإذا صلى عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناس عنه بقى عمله معه فى قبره ولا يزال معه فى قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه ، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه ، يجد الكل مجموعا لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر ، ولا من الظواهر ولامن السرائر .

الحض على التوبة

فالله الله معشر المذنبين مثلى أبعدوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن ، ولا تغرنكم الحياه الدنيا فإنها غرور الشيطان . واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة ، ويرحمكم يوم الحساب بحسن الأوبة (١) .

يا أخى يا أخى وما عسى أن أقول لك من كرم مولاكم الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التى عملت فى أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها ، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة ، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله ، ولا تسأل عنها يوم القيامة وأنشدوا :

نهاك الطبيب محيلا على ... مطاعم لو نلتها لم تمت
وخاطبك الله جل اسمه ... بترك الذنوب التى حرمت
فأعرضت عن أمره لا هيا ... وأمنت نفسك ما خوفت
فماذا تقول إذا أزعجت ... لتخرج بالكره فاستسلمت
فلا ندم حط أوزارها ... ولا توبه غسلت ما جنت

---

(١) الرجوع إلى الله

ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغة لمن تذكر ، وزجرا لمن اعتبر ، وتخويفا لمن تدبر ، ونهيا لمن تفكر ، فالفكرة عبادة ، وخير وزيادة ، لأن مولاكم الكريم قد خوفكم وهددكم وزجركم بها زجرا شديدا فقال : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ (١) ثم قال : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (٢) أى يحذركم عقابه وعذابه اذا عصيتموه ، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه ، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئا وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب ، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلت فربما كان فيها الرضا من الملك الوهاب . واعلموا أن الذنب الذى يحقره صاحبه يكون يوم القيامة فى ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض ، فازجر نفسك عن غيها وقدم فى حياتك ليوم فقرك والأصل فى الذنب الصغير أن يكون سببا لدخول صاحبه فى النار ، إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر فى من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله ، فعند ذلك يغضب عليه مولاه ويقول له : عبدى حقر ذنبه واستخف بحقى ، وعزتى وجلالى لأعذبنه عليه فى النار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة .

وقد قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا » (٣) قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت ﴾ الآيه

وأنشدوا :

قد ذهب الحى إلى عرسه ... وعذب الميت فى رمسه
مرتهـن النفـس بأعمالهـا ... لا يأمن الإطلاق مـن حبسه
لنفسه صالح أعمالها ... وما سوى هذا على نفسه

---

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) آل عمران : ٣٠

(٣) رواه أحمد وابن ماجه والدارمى بسند جيد

حكاية عن أحد الصالحين

حكى أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : يامنصور مسألة ؟ وقد أمهلتك سنة كاملة ، من أعقل الناس ، ومن أجهل الناس ؟ قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره ، فرجع إلى عبد الملك ، فقال له عبد الملك: يا منصور مالذى ردك إلينا ؟ قال : يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس محسن آمن . فبكى أمير المؤمنين حتى بل ثيابه بدموعه ثم قال : أحسنت والله يا منصور ثم قال له: إقرأ على شيئا من كتاب الله فهو الشفاء لما فى الصدور ، وهو الدواء والنور . فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ (١) الآية. فقال عبد الملك : قتلتنى يامنصور ثم غشى عليه ، فلما أفاق قال له: يا منصور ما معنى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (٢) قال منصور: عقوبته يا أمير المؤمنين . فبكى عبد الملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال يا منصور وما معنى ﴿ رؤوف بالعباد ﴾ (٣) قال رحيم غفار لمن تاب وأناب، قال وما معنى ﴿ ما عملت من خير محضرا ﴾ (٤) قال كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة ، لم يغفر الله منها شيئا . فبكى عبد الملك حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال :

رقة عبد الملك بن مروان

إن والله من فكر فى هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالا بعيدا. وأنشدوا :

بكيت على عظم الذنوب وغزرها ... وما قل من يبكى لعظم سؤالـه
تفكر فى عظـم السؤال وهولـه ... وتندب دهـرا زاد قبـح فعالـه
لعل إلـه العرش يرحـم عـبده ... ويمنحه فى الحشر طول وصاله
ويغفر ما قد كان فى طول جهله ... ويسكنـه بالعفـو دار جلالـه
وإن نظـر الرب العظيـم جلالـه ... فذاك جـسيم من جزيل نوالـه

﴿ يـوم تجـد كـل نـفـس مـاعـمـلـت مـن خـيـر مـحـضـرا ﴾

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) آل عمران : ٣٠

تجد والله كل نفس ماقدمت فى الأيام ، من الطاعات والإجرام ، . ذلك يوم المصائب ويوم النوائب ، ويوم العجائب . يوم هتك الأستار ، يوم تسعر فيه النار ، يوم يفوز فيه الأبرار ، ويندم فيه الفجار ، وتعرض العباد على الواحد القهار . فالعجب كل العجب ممن قطع عمره فى الأغفال ، وضيع أيامه فى المحال ، وأفنى شبابه فى الضلال ، ولم يعمل بما فى كتاب ذى المجد والجلال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ [1] يقول الله تعالى يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة ؟! وأنشدوا :

ما بال قلبك باللذات قد شغفا ... وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد توعده الجبار خالقنا ... وبالذنوب وبالعصيان قد كلفا

توبيخ الله تعالى للعباد

ذكر فى بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة على أنبيائه: يا عبدى ما الذى زهدك فى ورغبك فى غيرى ؟ عبدى أنا أتقرب إليك وتهرب عنى وأطلبك وتفر منى ! عبدى بسط لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عنى ، وآثرتها على وزهدت فى سعة رحمتى ! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم؟ عبدى من الذى سترك وكلأك وحفظك ووقاك ؟ هل كانت لك شركة فى نفسك معى ، أم هل كانت لك قوة بنفسك على ؟ عبدى ما الذى قصرك عن عبادتى ؟ ما الذى ذهدك فى طاعتى ؟ أين أنت من هادم اللذات ؟ أين أنت من نواح الآباء والأمهات ، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات ، أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور ، ولا يستأمر أرباب الدور ، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين ؟ عبدى أليس قد اضمحلت آثار الماضيين ، ودرست [2] معالم السالفين ، واتبع آثارهم الباقون . ومن ذا الذى يقوم بخلود الدهر غيرى ، ومن ذا الذى ينفع دوام الأبد غيرى ، عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والأطواد [3] العاليات ، والبحار الطاميات ، أنا الذى تفردت بالبقاء ، وحكمت على عبادى بالفناء

---

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) بليت وفنيت (٣) الجبال

أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معى فى ملكى ، ولا نظير لى فى حكمى ولا ضد لى فى سلطانى . وأنشدوا :

أما والذى لا خلد إلا لوجهه ... ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان هذا العيش مرا مذاقه ... لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

السؤال لا يدع ذرة :

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة ، والخفية والسريرة ، وعن كل ما قل ، وما دق وما جل ، لا يغفل عن شيء ، يجد العبد ما عمل حاضرا، ويجزى به وافرا ويسأل عما عمل سرا وظاهرا ، ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ (١) تجدوا والله القليل والكثير ، والنقير والذرة والقطمير . وأنشدوا :

والله لوبكينا طول الأيام ... بدمع هامل سجام
وفررنا من الأهل والأوطان ... إلى الجبال والآكام (٢)

خوفا من ذلك المقام ، لكان ذلك لنا قليلا خوفا من سؤال الملك العلام ، فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات ، ولا نتنبه من السكرات ، ولا نخاف يوما تجد فيه الحسنات والسيئات ، ونسأل عن المظالم والتبعات ، كما قال الذى فطر السموات﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾

سؤال الله تعالى للعباد

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يخلو بعبده يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ويقول له : عبدى عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا ، أما علمت أنى مطلع عليك يا عبدى أفجعلتنى أهون الناظرين إليك ؟ أما استحييت منى ، أما استحيت من ملائكتى ، أما خفت من عقابى ، عبدى أرويتك من الماء البارد وقويت جسمك ووسعت عليك من سعة رفدى فعصيتنى ! حتى أن العبد ليذوب حياء من

---

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) جمع أكمة وهى التل المرتفع

الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع ، ثم يقول العبد : يارب النار أهون على من حيائى منك ومن العباد ، فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيمضى العبد وهو يرد رأسه ويقول : يا رب وعزتك وجلالك ماعصيت بهذا كله استخفافا بحقك ، وما ظننت بك الا إن تغفر لى كما سترت على فى الدنيا و قد أيقنت أن عصيانى ذلك لا يضرك ، وأن رحمتك لى لا تنقطع . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدى صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتى . فوعزتى وجلالى لأغفرن لك اليوم ، يا ملائكتى « مروا بعبدى إلى الجنة » . ومن العباد من يقول : يارب العذاب على أهون من توبيخك لى ، أرسل بى إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق [1] عن مولاه فيقول الله تبارك وتعالى : « عبدى ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعينى إذ عصيتنى بها ، وجعلت توبيخى لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين . مروا بعبدى إلى الجنة » جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين ، وتوفانا برحمته مسلمين ، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعلى آله شرف وكرم ، وحشرنا معه فى المقام الأعظم ، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يارب العالمين.

---

٦ - مجلس ثانى فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ (١) يجد المؤمن الحسنات فى قرار الجنة ، والقصور العاليات ، والحور والدرجات ، والنظر إلى رب الأرضين والسموات ، يجد الطائع البشرى ، ويجد الفاجر النار الكبرى ، يجد المؤمن الأمان ، مع السرور والرضوان ، ويجد الفاجر الهوان ، مع الذل والخسران ، يجد المؤمن من الملك الجزيل ، مع الثواب والتفضيل ، وأنهار السلسبيل ، والنظر إلى وجه الملك الجليل ، ويجد الفاجر النوح والعويل ، والحزن الدائم الطويل ، والعذاب الشديد الثقيل ، يجد المؤمن الخلاص ، والتبجيل والاختصاص ، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص ، المؤمن يوم القيامة مرحوم ، والفاجر باللعنة مرجوم ، المؤمن عند الحساب مستور ، والفاجر عند السؤال مشهور (٢) المؤمن عند الحساب يلاطف ، والفاجر عند السؤال يكاشف ، المؤمن حسابه عتاب ، والفاجر سؤاله عذاب ، المؤمن يجد من مولاه الرحمة ، والفاجر يجد من الله النقمة ، المؤمن حسابه يسير ، والفاجر حسابه عسير ، المؤمن يجد لباسه حرير الجنان ، والفاجر لباسه سرابيل القطران ، المؤمن يجد عمله سرورا ، والفاجر يجد عمله ويلا وثبورا . المؤمن يجد الاتصال ، والفاجر يجد الانفصال ، المؤمن يجد الخلاص والفكاك ، والفاجر يجد الهوان والهلاك . المؤمن مع محمد النبى ، والفاجر مع الشيطان الغوى . المؤمن فى وجهه نضرة النعيم، والفاجر فى وجهه ظلمة الجحيم ، المؤمن فى الحساب ريان ، والفاجر فى الموقف عطشان . وأنشدوا :

---

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) يفضحه الله على رؤوس الخلائق

أنت المخاطب أيها الإنسان فأصغ (1) إلىّ يلح لك البرهان
أودعت ما لو قلته لك قلت لى هذا لعمرك كله هذيان
فانظر لعقلك من بيانك واعتبر إتقان صنعته فثم الشان
وجزا محاسن فعلهم فى حشرهم عند الإله وعنده الرضوان
هذا لعمرى ظاهر لا يختفى نطق الرسول وبين الفرقان

حكم قدسية

ذكر فى بعض الحكم التى أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : « عجبا لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم ! ، وعجبا لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب ! وعجبا لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان ! » كأنك يا أخى قد قربت من العرض والحساب ، ووقفت بين يدى الملك الوهاب ، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب ، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر فى هذا كله يامغرور لعل القسوة تنجلى من قلبك ، والوقر (2) أن يزول عن سمعك ، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ (3) فانظر ياأخى بنور فكرتك ، وأطلق الموعظة على بحر عبرتك ، فلعل العين تدمع ، ولعل القلب أن يرق ويخشع ، فإذا جرت الدموع وخشعت القلوب محيت الذنوب ، وبلغت المنى والمرغوب، ويسر حسابك علام الغيوب ، وأنشدوا :

تذكرى المكث فى التراب حتى أنادى الى الحساب
هون كل البلاء عندى وهكذا الفقد للشباب
فليت شعرى وكم مقامى تحت الثرى أو متى إيابى
لوكان لى عقل ما هنانى نومى ولا ساغ لى شرابى
ولا ضحكت ولست أدرى مالى لدى الله من حساب

(1) أصاخ : استمع (2) ثقل السمع (3) الحج : 46

النداء بأسماء الخلائق

وذكر فى بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا فى أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادى باسمك يا مغرور على رؤوس الأولين والآخرين : أين فلان بن فلان ؟ أو أين فلانة بنت فلانه ؟ هلم الى الحساب بين يدى رب العالمين ، فاستقر فى سمعك يا مسكين إنك أنت المنادى من جميع الخلق ، فقمت على قدميك ، قد تغير من الفزع لونك ، وانخلع من الجزع قلبك ، واضطربت من الهلع مفاصلك، وقد سمع من كان حولك حسيس [1]قلبك بالخفقان ، وأوصالك قد اشتدت فى الطيران ، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن ، فإذا نظر الملك الموكل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك ، علم أنك أنت المنادى باسمه ، فإذا كنت من أهل النفاق، والعصيان للملك الخلاق ، نظر على وجهك ظلمة الذنوب ، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب ، فجمع بين ناصيتك وقدميك ، غضبا لغضب الله عليك .

أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾ [2] وإن كنت من أهل الرشاد ، والتوفيق والسداد ، الذين وفوا الله بالميعاد ، وخافوا مولاهم رب العباد ، أخذ بيدك الملك وقادك ، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك ، وتمنوا مثل ما من الله عليك ، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك ، ويعدل عليك بكسبك . فلما انتهى بك الملك إلى سلطان العظمة ، فإن كنت من أهل السير الصالح فى الدنيا سترك جل جلاله بالنور ، وأبدى لك البشرى والسرور ، وقربك وأدناك ، وفضلك وحاباك ، فلم يطلع على حسابك ملك ولا نبى ولا رسول ، إلا الملك الجبار الذى لا يحول ولا يزول ، فيقول لك : عبدى أنت الذى كنت تسهر والعباد نائمون ، وتصوم والعباد يشبعون ، وتبكى والعباد يضحكون ، وتحزن والعباد يفرحون ، وتخافنى والعباد آمنون ، أنت الذى كنت تجتهد فى عبادتى والعباد بطالون ، وتتصدق والعباد يبخلون ، وتبذل المعروف بين عبادى والناس يمنعون .

يقول المولى جل جلاله : فوعزتى وجلالى وملكى ومجدى وكبريائى وعظيم

---

(١) صوت ضعيف (٢) الرحمن : ٤١

سلطانى وقدرتى على جميع العباد لأومنن روعك ، ولأبيحنك جنتى ، ولأوسعنك مغفرتى ورحمتى ، ولأعطينك من جزيل ثوابى وحسن مآبى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولأبيحنك النظر إلى وجهى ، ولأرفعن قدرك وجاهك ، ولأشفعنك فى إخوانك وأهلك وأحبابك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا .

شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله : يا عبدى اخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من لقينى من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى الجنة بلا خوف ولا حزن ، والله تعالى أعلم . وأنشدوا :

عنى إليك فما اللذات من شغلى ... ولا سبيل الصبا واللهو من سبيلى
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه ... فلست منه على زيغ ولا زلل
فى الحشر لى شغل عن كل مشتغل ... بلذة وعن الألحاظ والمقل
هذا اطار الكرى عن مقلتى وزوى ... عنى المنى وطوى المبسوط من أملى
كم ليلة بت فيها ساهرا أرقا ... أخشى العقاب وأخشى سرعة الأجل

قال الله تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ (١)
رؤوف والله بالمؤمنين ، ذو نقمة على الظالمين ، رؤوف بأهل الإحسان ، ذو انتقام من أهل العصيان ، رؤوف بأهل السداد ، وذو انتقام من أهل العناد ، يا مغرور تفكر فى هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية ، ومن الزجر والتقريع نهاية ، فازجر نفسك عن هواها ، عساك تبلغها يوم العرض مناها .

حكاية عن ذى النون المصرى

حكى عن ذى النون المصرى بن إبراهيم الأخميمى رحمه الله تعالى أنه قال :

---

(١) الرحمن : ٤١ (٢) آل عمران : ٣٠

خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام ، فلما علوت الوادى فإذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (١) فلما قرب منى السواد إذا هو شخص ، فتأملته فإذا هو إمرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف ، وبيدها ركوة (٢) وبيدها الأخرى عكاز ، فقالت لى غير فازعه منى : من أنت ؟ فقلت : لها رجل غريب ، فقالت : يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء ، فاجعله أنيسك إذا استوحشت ، وهاديك إذا ضللت ، وصاحبك إذا احتجت . قال ذو النون : فبكيت من كلامها ، فقالت : مم بكاؤك ؟ قلت لها : وقع دواؤك على دائى وأنا أرجو أن يكون سببا لشفائى ، قالت : فإن كنت صادقا فى مقالتك فلم بكيت ؟ قلت لها: رحمك الله والصادق لا يبكى ؟ ! قالت : لا ، قلت لها : لم لا يبكى الصادق ؟ قالت : لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه ، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه . قال ذو النون : فبقيت والله متعجبا من قولها فقالت لى : مالك ؟ ، قلت : أنا والله متعجب من قولك ، قالت : وهل نسيت القرحة التى ذكرتها ؟ قال : قلت لها : رحمك الله إن رأيت أن تمنى على بالزيادة . فقالت : وما أفادك الحكيم فى مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد ، قال : قلت لها : رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد ، قالت : صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه فإن له يوما يذيق فيه أولياءه كأسا لا يظمئون بعده أبدا . ثم علا شهيقها ثم قالت : يا حبيب قلبى إلى كم تخلفنى فى دار لا أجد فيها صادقا بريئا من الدعاوى الكاذبة يسعدنى البكاء على أيام حياتى . ثم تركتنى وانحدرت فى الوادى وهى تقول : اللهم إليك لا إلى النار ، حتى غاب شخصها عن بصرى ، وانقطع صوتها عن سمعى . قال ذو النون : فوالله ماذكرت كلامها قط إلا كدر على أحشائى وعيشى . قال ذو النون : فلقد أدبتنى واستقام حالى مذ رأيتها . وأنشدوا :

أريد وأنت تعلـــم ما مرادى ... وتعلم ما تلجلج فــى فؤادى
فهب لى ذلتى واغفر ذنوبى ... وسامحنى بها يـوم التنادى

---

(١) الزمر : ٤٧ (٢) إناء يوضع به الماء

رجع إلى الموعظة

يا أخى ، مالك لا تفكر فى قول مولاك الذى لم يزل عليك شهيدا ، وهو يسمعك ويراك قوله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ (١) الآية. أقرع يا مسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الأقفال وترده عن الغى والمحال،وتوقظه عن السهو والإغفال، قال الله الكبير المتعال ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٢) ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ (٣) يوم يظهر الخفى من أعمالك، يوم تبكى على قبيح أفعالك ، يوم يحزن المسىء من أقوالك ، يوم تنوح على خطاياك وضلالك .

جهنم وشدتها

ذكر أن الخلق إذا اجتمعوا فى الموقف وضاق المتسع ، وعظم الفزع ، واشتد الجزع ، واختلفت الأقدام، وكثر الازدحام ، وجاءت جهنم بالهول الأعظم ، والعذاب المقيم الالزم (٤) ووقفت بين يدى الجبار خاضعة للملك القهار ، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها ، وترفع كل جلال (٥) عليها ، وهى سبعة أبواب على كل باب سبعمائة ألف جلال وهى الحجب ، ولولا تلك الإجلال لاحترقت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها ، غلظ كل جلال خمسمائة عام ، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت ويخرج منها عنق من نار أسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا .

(١) آل عمران : ٣٠ (٢) محمد : ٢٤
(٣) آل عمران : ٣٠ (٤) الأكثر ملازمة للمذنب
(٥) الجلال : الغطاء

زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجمعه الجبار جل جلاله يقول لها : أتركى ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار ، ومناد ينادى أصحابها هذه زينتكم التى اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين ، ولا سير الصالحين . ثم ينادى المنادى اتبعوا زينتكم ، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلا من رحم الله .

صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة ياليت هذا كله جعلته فى جنب الله ، يا ليته لم يكن معى ، ياليته بعد عنى ، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسود وجوه أقوام من الرجال والنساء ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ (١) يا أخى يا مسكين يا ضعيف اليقين مثلى أتراك من أى الفريقين تكون ؟ ! أمن الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الملك الرحيم ، أو من الذى اسودت وجوههم فى العذاب الأليم ؟ أفهل تكون من الذين ابيضت وجوههم بالرحمة، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقمة ؟ فكل من اسود وجهه قد أيقن بالنار ، وكل من ابيض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار ، فيا لها من فرحة ما أعظمها، ويا لها من مصيبة ما أدومها ، فإذا نزل السواد فى وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجابا بينه وبين النظر الى وجه مولاه ، وإذا نزل البياض فى وجه من أراد الله تبارك وتعالى أن يبيض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذى يحجب العبد عن النظر إلى وجه علام الغيوب .

مَنْ ابْيَضَّ وجهُهُ

وذلك أن البياض نور المغفرة، وهو نور الرحمة وهو نور القرب، وهو نور الوصال والسواد أيضا هو سواد العبد، وهو سواد الانفصال ، وهو سواد النكال ، وهو سواد النقمة ، وهو سواد الحجبة قال الله تعالى﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾(٢)

---

(١) آل عمران : ١٠٦ (٢) المطففين : ١٥

فالحجاب يا مسكين يا مغرور فى الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ [1] فيا معشر المذنبين أبعدوا السوء وأبدلوه بالإحسان ، وارغبوا فى نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزار والعصيان ، فإنها تزيدكم ، من عذاب النيران . ياأخى أبعد السوء وأبغضه بغضا شديدا ، وكن على إبعاده بالتوبة جلدا جليدا ، من قبل أن يأتى يوم تود أن لو كان السوء عنك بعيدا ، ولم تتبع شيطانا غويا مريدا . وأنشدوا :

يامـــن إليـه جمـيع الخلق يبتهـل ... وكـــل حـى علـى رحماه يتكـل
يا من نادى فرأى ما فـى الغيوب ومـا ... تحت الثرى وحجاب الليـل منســدل
يا مـــن دنا فنأى عـن أن تحيط بـه ... الأفكــــار طرا أو الأوهام والعـلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شمـــــلت ... وأنت ملجأ من ضاقت بـه الحيـــل
أنت المنادى به فى كـــــل حادثة ... أنت الاله وأنت الذخـر والأمــــل
أنت الغياث لمـــــن سدت مذاهبـه ... أنت الدليل لمـن ضلت بـه السبـل
إنا قصدناك والآمـــــال واقعـــة ... وإن سطوت فأنـت الحاكم العـدل

حكاية ذى النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله : ذكر لى عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحدا مدة أربعين سنة ، فنهضت إليه فلم أزل أنادى تحت صومعته وأقسم أن يشرف على حتى أشرف من أعلا صومعته ، فراودته على الكلام فأبى على ، فقلت له بالذى سكت من أجله ومن خوفه إلا أجبتنى عما أسألك عنه ، فقال لى :قل ولا تطيل الكلام علىّ ، قلت له : منذ كم أنت فى هذا الموضوع ؟ فقال : منذ يوم واحد فقلت له وكيف ذلك؟ قال سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغدا ، فأما أمس فقد فات ، وأما اليوم فلى ، وأما الغد فلا أدرى أبلغه أم لا ، ثم أدخل رأسه فما كلمنى وهو يبكى ويقول لا صبر لى على النار . وأنشدوا :

أيا نفس لا صبرا علـى النار فاعلمـى ... وكونى على خوف من النار ما عشت

---

(١) آل عمران : ٣٠

ودومى على الأحزان مادمت حيةً   عسى تذهب الأحزان عنك إذا مت
يقولون فى طول الكلام بلاغة   وقد علموا أن البلاغه فى الصمت
إذا العبد لم يلعب هواه بعقله   عصى ربه وازداد مقتا على مقت

تقسيم العمر على الأعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثه أيام : يوم مضى ، ويوم أنتم فيه ، ويوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه . فأصلحوا اليوم الذى مضى بالندم على مافاتكم فيه من الطاعة والإحسان ، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان ، واليوم الذى مضى إنما تصلحونه فى اليوم الذى أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة . وأنشدوا :

حتى متى نحن والأيلم نحسبها   وإ نما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله   لعله أجلب الأيام للحين (١)

آنس الله روعتى وروعتكم يوم النشور ، وآنس وحشتى ووحشتكم فى القبور ، إنه على ذلك قدير ، وهو عليه يسير ، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة ، شهادة أن لا اله إلا الله محمد رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين.

---

(١) الحين : الهلاك

٧ - مجلس فى قوله تعالى
﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾ (١) الآية

يا أخى يا مسكين يا حيران ، من الذنوب والعصيان ، يا من تعرض لسخط الملك الديان ، يا من أقر عين عدوه الشيطان ، بتماديه على الخذلان ، والضلال والبهتان ، والأوزار والطغيان ، يامغرور إنك آخذ كتابا ، ووارد حسابا ، ونازل ثوابا أو عذابا ، فقدم ياغافل فى دار الغرور ، ما تجده فى الكتاب المنشور ، من الثواب المحبور ، والفرح والسرور ، والضياء والنور ، من رحمة العزيز الغفور .

أين الكتب يوم القيامة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحا تطيرها بالأيمان وبالشمائل ، أول حرف فى الكتب : ﴿ أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (٢) ... ما أعدل الملك الوهاب ، إذ جعل الإنسان حسيب نفسه فى قراءة الكتاب . يا مسكين يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال ، فحسبك العذاب والنكال ، والمحن والأهوال ، والسلاسل والأغلال ، والحميم والخبال (٣) ، واللعنة والانفصال ، من ذى الجود والجلال . وإن أخذت الكتاب باليمين ، فحسبك المقام الأمين ، فى أعلا عليين ، مع الولدان والحور العين، والاتصال برب العالمين ، وبمحمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آلـه وصحبه

---

(١) الحاقة: ١٩ ، الإنشقاق : ٧ (٢) الإسراء : ١٤ ، والحديث أخرجه العقيلى عن أنس أنظر التذكرة (ص ٢٩١) (٣) عصارة أهل النار

أجمعين ، وإن أصررت فى الدنيا على جرمك ، ولم تتب إلى مولاك عن قبيح ذنبك، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك ، فتجد فيه ما يحزن قلبك ، ويعظم حزنك ، ويكثر كربك ، فيا معشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختبارا ، وأوجب عليكم فيها حقوقا كبارا ، فمتى ضيعتموها فقد أودعتم كتبكم آثاما وأوزارا ، ومتى وفيتم بها فقد ملأتم كتبكم سرورا وأنوارا . وما من عبد ولا أمة إلا وله كتاب يقرؤه يوم العرض و الحساب ، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب ، كمثل الزارع إن زرع طيبا رفع طيبا ، وإن زرع خبيثا رفع خبيثا. يا أخى فكأنك أنت كتبته بأقوالك ، وملأته بأفعالك ، وسودته بالقبائح من أعمالك . وأنشدوا :

كأنى بنفسى فى القيامه واقـف وقد فاض دمعى حين أعطى كتابيا
لعلمى بأفعالى وسوء منـــاقبى وأن كتابى سوف يـبـدى المســاويا

فيا أهل الذنوب مثلى اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم فى الديوان ، من الإحسان والعصيان ، والزيادة والنقصان ، والنفاق والإيمان ، وأنت غافل فى سكرة الغرور ، وكتابك مملوء بالويل والثبور، فبادروا إلى الصحائف وأمحوا ما فيها من القبائح، ومحصوا ما قد ثبت عليكم من الفضائح ، وذلك باكتساب الحسنات، كما قال رب الأرضين والسموات ﴿ إن الحسنات تذهبن السيئات ﴾ (١)

أول الناس حسابا

ذكر فى بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمه محمد ﷺ فإذا اجتمع الأولون والأخرون فى أرض القيامة وقفت أمة محمد ﷺ فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قريش من بنى مخزوم يقال له عبد الله ابن عبد الأسد ، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾ (٢) الى قوله ﴿ فى الأيام الخالية ﴾ (٣) نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عبد الأسد ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله ﴾ (٤) وهو الأسود بن عبد الأسد ، فأما

---

(١) هود : ١١٤ (٢) الحاقة : ١٩
(٣) الحاقة : ٢٤ (٤) الحاقة : ٢٥

عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدى الله عز وجل ، فترعد فرائصه ، وتنفك أوصاله ، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى ، فبينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدى الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملك من عند الله تعالى وبيده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد ، فيقول له الملك :

كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه ، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتى كتابه يود أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد يمينه كأنما علقت فيها جبال الدنيا ، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل ، وقيل إنها تغل يده ، وقيل إنها تلصق بجسده، وقيل إن الملك يقول له : يا عدو الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال – جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين – فيتناول عبد الله أخو الأسود كتابه بيمينه ، ويقال له إقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلومن إلا نفسك ، فيفض خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض ، فى باطن الكتاب السيئات ، وفى ظاهره الحسنات فيقال له : اقرأ سيئاتك فأول حرف يجده فى الكتاب أصغر ذنب عمله فى الدنيا ، فإذا رأى ذلك الذنب ميل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل أكلت حمضا (١) والتهبت عطشا ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شيء .

كيفية السؤال

هذا كله حياء من الله عز وجل ، فيقول الجبار جل جلاله: عبدى : فيقول: لبيك ربى وسعديك ، فيقول : ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا ؟ فيقول : مولاى وسيدى وعزتك وجلالك إنى لأعرفه ، فيقول : عبدى أتذكر يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب ؟ فيقول : نعم وعزتك وجلالك فيقول له الجبار جل جلاله : عبدى إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أنى كنت

(١) الحمض : كل نبات مالح أو حامض

مطلعا عليك ، فيقول : بلى يا سيدى ومولاى وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك ، فيقول له جل جلاله : أما استحيت منى ؟ أما راقبتنى ؟ أما علمت أن مرجعك اليّ . والعبد فى هذا التوبيخ قد علاه العرق ، وذاب من شدة الغرق فيقول : مولاى وسيدى لأن ترسل بى إلى النار أهون على من هذا التوبيخ . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدى أليس قد سترتها عليك فى الدنيا ؟ فيقول العبد : مولاى لقد فعلت ذلك بى ، فيقول جل جلاله : عبدى وعزتى وجلالى ومجدى وجودى وكرمى لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين ، وأبقيتها بينى وبينك حتى تعلم نعمتى عليك وأفضالى لديك فى الدنيا والآخرة .

غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك فى كل ذنب حتى يقرأ جميع ما فى كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه : عبدى هذه سيئاتك قد غفرتها لك. فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع ، ثم يقول الله جل جلاله قلب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما مر على حسنة ازداد قلبه فرحا وسرورا ، وازداد بياضا وحسنا ونورا ، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر .

لباس المكرمين

ويؤتى بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة ، فيلبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة ، ويقال له : أخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أن لكل عبد وأمة من المؤمنين مثل ذلك . فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الأسد وكتابه بيمينه وقد أشرق وجهه نورا . وقلبه قد امتلأسرورا . قد جرت على وجهه نضرة نعيم الجنان ، وتلك علامة لأهل الإيمان . والملك آخذ بيمينه وهو ينادى عليه نداء البشرى : ألا إن فلانا قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ،

والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمنوا مثل ما من الله به عليه وهو يقرأ

﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ (١) ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنوبى ومحاها عنى ﴿ إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ (٢) إنى أيقنت فى الدنيا أنى ألقى هذا اليوم وكنت خائفا من هوله ومن قراءتى كتابى ومن حساب ربى جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهى إلى أصحابه فيقولون : من هذا العبد الذى أكرمه الله ورضى عنه ؟ اللهم اجعله من أحبابنا وقربه منا حتى ننظر إلى ماقد فضله مولانا به ، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له : من أنت يا عبد الله ؟ فيقول : أو ما تعرفونى ؟ فيقولون له : يا عبد الله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت ؟ فيقول لهم : أنا عبد الله بن عبد الأسد ، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا ، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأسا فى الخير يدعو إليه ويأمر به ، ثم يشفعه الله تبارك وتعالى فى كل من شاء من أهل الذنوب ، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ (٣) قد رضى ورضيت نفسه ورضى مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة ﴿ فى جنة عالية ﴾ (٤) فى غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ، والكافور الأبيض ﴿ قطوفها دانية﴾ (٥) يعنى ثمارها دانية منهم إذا اشتهوا نزلت عليهم حتى تدخل عليهم فى منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أى حال أرادوا ، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئا ﴾ (٦) لا موت فيها ولا حزن ﴿ بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ (٧) يعنى الأيام الماضية وهى أيام الدنيا التى أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها ، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته . وأنشدوا :

ببابك عبد من عبيدك مذنب   كثير الخطايا جاء يسأل العفوا

---

(١) الحاقة : ١٩   (٢) الحاقة : ٢٠
(٣) الحاقة : ٢١   (٤) الحاقة : ٢٢
(٥) الحاقة : ٢٣   (٦) الحاقة : ٢٤
(٧) الحاقة : ٢٤

فأنزل عليه العفو يا من بمنه	على قوم موسى أنزل المن والسلوى
أنا عبدك المسكين فارحم تضرعى	ولا تجعل النيران يارب لى مثوى
وخفف من العصيان ظهرى إننى	بلغت من الأوزار غايتها القصوى

فهذا عبد الله بن عبد الأسد الذى أنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، وعلى سيرته فى الحساب تجرى سير المؤمنين من أمة محمد ﷺ على قدر أحوالهم واجتهادهم فى الدنيا فى الخير والإستقامة على طاعة الله .

أشد الناس عذاباً

وأما قوله تعالى ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله ﴾ [1] فهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى وهو أخو عبد الله بن عبد الأسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبد الله فيدخل الأسود حتى يوقف وبينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى لا يراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [2] فيوقف الأسود بين يدى الملائكة يرتعد من الخوف والعذاب ، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب ، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه بجلده ، ثم يأخذ برأسه فيلوى عنقه فيحول وجهه فى قفاه .

كتاب السيئات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره فى يده صحيفة سوداء فيها كتاب بخط أسود فى باطن الكتاب حسناته وفى ظاهره سيئاته والكتاب مختوم ، فيقال له: هذا كتابك خذه فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه ، فيتناول كتابه بشماله فيقال له: فض خاتم الكتاب فيفضه، ويقال له : أنشر كتابك واقرأ ، فينشر الصحيفة وهى سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه

---

(١) الحاقة : ٢٥ (٢) المطففين : ١٥

سينجو من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ، وذلك قوله تعالى﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها ولا يُبْخَسون﴾ (١) أى لا ينقصون ، تعجل لهم فى الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون فى الآخرة بشىء من أعمالهم ، ولا يتجاوز عنهم فى شىء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها ، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر والأعمال الصالحة التى يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقى وهو نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم ، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق ، لأن الله تعالى خلق الجنة ثوابا لأهل الأعمال الصالحة التى يراد بها وجه الله تعالى ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ (٢) وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك ، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقى بالنعيم الدائم الباقى ، ويثيب على العمل الفانى ، وهو مايعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفانى وهو حطام الدنيا ، والمؤمن لا يرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض من الدنيا وإن وسع عليه فى الدنيا فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته ، وأجر عمله ادخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه . ثم يقال للأسود بن عبد الأسد ، إقلب كتابك فاقرأ فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسى وهى سود بخط أسود ، لأنها محبوطة بالكفر غير مقبولة ، فأول سيئة يقرؤها يسود وجهه ويَسْمُج (٣) لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماجة وقبحا ، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها : هذه سيئاتك قد أضعفت ، إنى قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات .

صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشد سوادا من القار – وهو الزفت – ويعظم جسده للنار حتى يكون مابين منكبيه مسيرة شهر ، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعا وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه بادية

(١) هود : ١٥ (٢) القصص : ٨٨ (٣) سمج : قبح

وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب ، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد ، شعره كآجام [1] القصب ، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعا ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبه الوحوش فى البرية ، فى جسده من الشعر ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ، فى أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم فى أسرع من طرفة عين ، ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعا فتغل بها يداه وعنقه ، ويدخل طرفها فى فيه وتخرج من دبره ، ثم يلف مابقى منها على عنقه يتوقد ويشتعل نارا ، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها فتعلق فى عنقه وهى تشتعل نارا ، ثم يؤتى بتاج من نار فيوضع على رأسه فيصعد حر الصخرة إلى وجهه ، وينزل حر التاج إلى وجهه ، ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى ﴿ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ [2] وقال عز وجل ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ [3] تغشى وجوه الكفار . ثم يؤتى بسربال [4] من قطران وهو نحاس جهنم قد انتهى من شدة الحر فيلبسه ، لو أن ذلك السربال ألقى فى الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر ، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به ، ثم يقال له : أخرج على الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحد منهم مثل هذا العذاب . فيخرج الأسود على أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والملك ينادى على الأسود بن عبد الأسد : يا أهل الموقف قد شقى الأسود شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . إلعنوه فإن الله تعالى قد لعنه وسخط عليه ، فينادى بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع ﴿ يا ليتنى لم أوت كتابيه ﴾ [5] أى ياليتنى لم أعط كتابى بشمالى ولا يحل

(١) الأجمة : الشجر الكثير الملتف
(٢) الزمر : ٢٤
(٣) إبراهيم : ٥٠
(٤) قميص
(٥) الحاقة : ٢٥

بى هذا البلاء الذى أنا فيه ﴿ ولم أدر ما حسابيه ﴾ (١) أى ياليتنى تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب ، ولا نزل بى هذا العذاب . ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ (٢) أى يا ليت الموت عاد إلى حتى يريحنى من هذا العذاب ﴿ ما أغنى عنى ماليه ﴾ (٣) يعنى المال الذى كان معه فى الدنيا وكان ينفقه فى غير الله ويبخل به فى ذات الله تبارك وتعالى ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ (٤) أى انقطعت عنى حجتى واضمحلت ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها فى الدنيا ويلعنه كل من فى الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به الى النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة ﴿ خذوه، فغلوه ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ﴾ فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه فى الهاوية من النار الحامية ، ويدخلون بسلسلة فى فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة فى السلك ، ثم يطعم الغسلين – وهو شىء أسود نتن – لو أن قطرة من الغسلين أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن .

طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا فى الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا فى الدنيا من حقوق الله تعالى ، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد ، وكذلك لكل من كان فى الشر رأسا يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد ، وكل من كان فى الدنيا فى الخير رأسا يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعبد الله بن عبد الأسد ، يجزى الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج فى الخير والشر والله يفعل مايشاء لا إله إلا هو ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال .

(١) الحاقة : ٢٦ (٢) الحاقة : ٢٧ (٣) الحاقة : ٢٨

(٤) الحاقة : ٢٩ (٥) الحاقة : ٣٠ – ٣٢

٨ – مجلس فى قوله تبارك وتعالى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ [١]الآية ..

يا أهل الذنوب مثلى ، يا أهل العيوب مثلى ، يا من يعصى ولا يتوب ، يا من الغى والمحال [٢] له صحوب ، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب ، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب . اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غدا صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح ، فمن كتب له حافظاه خيرا فى الدار الفانية فهو خير له فى الدار الباقية ، ومن كان خائفا فى الدنيا من العذاب ، متحفظا مما يثبت عليه فى الكتاب ، متجنبا لمعصية رب الأرباب ، ، وفقه الله مولاه للحق والصواب ، ويسر عليه برحمته الحساب ، ومحيت أوزاره من الكتاب ، ورضى عنه الملك الوهاب ، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب . ومن علم أن عمله يثبت عليه فى الديوان ، وهو يقرؤه لا محالة بين يدى الرحمن ، فكيف يألف العصيان ، وكيف يتحرك منه اللسان ، وبالزور والبهتان ، ومخالفة كتاب الملك الديان .

الفرق بين الحسنة والسيئة

ذكر فى بعض الحكم أن رجلا كان يسوق دابته فعثرت ، فقال الرجل : تعست الدابة – يعنى عثرت – فقال ملك اليمين لملك الشمال : ليست بحسنة فأكتبها ، فأوحى الله تعالى لملك الشمال : ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت ، فكتب صاحب الشمال قول الرجل : تعست الدابة . وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفسا إلا أثبت عليه فى الكتاب ، فإن خرج النفس فى طاعة الله أثبته

---

(١) الكهف : ٤٩ ، الزمر : ٦٩ (٢) الباطل

صاحب اليمين ، وإن خرج النفس فى غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه ، فمن علم هذا يقينا فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته ، ولا وقت من أوقاته ، ولا لحظة من لحظاته إلا فى ذكر الله ، وفى الفكرة فى عظمه الله .

النجاة فى ذكر الله

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله ، وأكثر ما يجد المؤمن فى صحيفته يوم القيامه الاستغفار فى الليل والنهار » فكل من كان فى الدنيا من قراءة كتابه خائفا مشفقا ، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيما مرفقا . ومن كان فى الدنيا من الغافلين ، كان عند قراءته من النادمين . لو رأيتم يا أهل الذنوب ماقد أثبت عليكم فى الديوان ، من الخطايا والعصيان ، والزور والبهتان ، والزيادة والنقصان ، والغفلة والنسيان ، لعظمت منكم المصائب ، وكثرت منكم النوائب ، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب ، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب. وأنشدوا :

ما بال عينك لا تبكى لما سلفا ... ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه ... لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
من الذنوب التى لم تبل جدتها ... وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا
أما تخاف أما تخشى فضائحها ... إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفا

واعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تبارك وتعالى أطلع بعضنا على صحائف بعض ، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

حكاية عن رقة ابن واسع

حكى عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكا ، وأنه كان ليبكى حتى ترحمه الناس ، فذكر له ذلك فقال : يا أحبائى وكيف يضحك من لا يدرى ما أثبت عليه فى كتابه ولا يدرى بما يختم له .

اللهم اختم لنا بخير . وكان رجل يكلم محمد بن واسع فى حاجة فقال له محمد بن واسع : أدن منى فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو منى . فيا معشر المذنبين مثلى ونفسى أعنى وكلنا مذنب لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يوماً يهتك فيه الأستار ، ويحاسب عباده على ماعملوا فى اليل والنهار ، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار ، فالخير والشر قد حصل عليكم فى الكتاب ، الذى يوضع لكم يوم العرض والحساب ، بين يدى رب الأرباب ، قال الملك الوهاب ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ [(١)] وضع الكتاب للمؤمينن ، ووضع الكتاب للمجرمين ، وضع الكتاب لأهل الإيمان ، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان ، وضع الكتاب لأهل الجنان ، ووضع الكتاب لأهل النيران ، ووضع الكتاب لأهل الثواب ، ، ووضع الكتاب لأهل العقاب . ووضع الكتاب للطائعين ، ووضع الكتاب للعاصين ، ووضع الكتاب لأهل الإخلاص والوفاق ، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق ، ووضع الكتاب لأهل الوفاء ، ووضع الكتاب لأهل الجفاء ، ووضع الكتاب للعاملين ، ووضع الكتاب للباطلين ، وضع الكتاب للقائمين ، ووضع الكتاب للنائمين ، ووضع الكتاب للمستغفرين ، ووضع الكتاب للغافلين ، ووضع الكتاب للسعداء ، ووضع الكتاب للأشقياء ، وضع الكتاب لأهل الجنة ، ووضع الكتاب لأهل المحنه ، . وضع الكتاب للأبرار ووضع الكتاب للفجار ، وضع الكتاب لأهل التوبة ، ووضع الكتاب لأهل الحوبة ووضع الكتاب لأهل الكرامة ، ووضع الكتاب لأهل الندامة ، وضع الكتاب لأهل الرشاد ، ووضع الكتاب لأهل الفساد ، ووضع الكتاب لأهل الحسنات ، ووضع الكتاب لأهل السيئات ، وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور ، ووضع الكتاب لأهل الويل والثبور فكتب تبشر بالجنة ، وكتب آخرها باللعنة والمحنة . جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته .

إحاطة الكتاب بكل شىء

واعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لـم يدع شيئا من القول إلا وقـد فسـره

(١) الكهف : ٤٩

لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يُحْشَرُون ﴾ (١) وقد أعلمنا إلهنا ومولانا أن ﴿ كل إنسان ألزمناه طائره ﴾ (٢) وأن كل إنسان لابد له من السؤال ولا بد له من حساب ، ولا بد له من ثواب أو عذاب مولانا عز وجل وقد أمرنا بالعمل الصالح ، ووعدنا عليه بالجنة ، ونهانا عن المعاصى وتوعدنا عليها بالنار . وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم فى كتاب مكتوب ، بالحسنات والذنوب .

حكاية فى كتابة الكتب

روى عن الحسن رحمه الله أنه قال : ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك فى قبره معه دواة وقرطاس ، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلما ويقول له : أكتب جميع ماعملت فى عمرك الذى وجبت عليك فيه الحدود من خير ومن شر ، فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن فى الدنيا كاتبا فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجرى القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون فى كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون فى كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم هى آية الإيمان ، وهى إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنة من هذه الأمة ، فإذا ثبت العبد فى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن فى قبره من العذاب والضيقة .

البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت فى كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب فى قبره . فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقيا كان أو سعيدا ، يطوى الملك الكتاب ويعلقه فى عنقه فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال : يا ولى الله أو يا عدو الله أتعرف هـذا ؟ فيقول : نعم أنـا كتبته ، وأنا

---

(١) الأنعام : ٣٨ (٢) الإسراء : ١٣

عملته ، فيقـول لـه : فاقـرأه فيستقبله منـه ما سبـق له مـن سـعادة أو شـقاوة .

فالله الله معشر المذنبين مثلى المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح ، ولا تهملوا أعمـاركم فى الذنوب والفضائح ، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم فى الصحائف الصحائح ، وستقرؤوها بين يدى مولاكم وتشهد عليكم الجوارح ، بالقبيح والحسن من أعمالكم . وأنشدوا :

سوف يأتى عليك ساعه خوف ... حين تعطى صحائف الأعمال
وكأنى أرى فضائـــح قوم ... قد تجلى لكشفها ذو الجـلال
ليت شعرى إذا قرأت كـتابى ... بيمينى أعـطاه أم بشـمالى

حكاية عن عيسى عليه السلام

روى عن محمد بن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال : دخل عيسى بن مريم ﷺ وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصرا من قصورها فنادى : يا خراب الأخربين أين أهلك وعمارك ؟ فأجابه شىء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا وسيعودوا . فاجتهد يأخى لا تفرط فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم . وأنشدوا .

لا تحقرن مـن الذنوب صغيرها ... إن الصـغير غدا يعـود كبيرا
كـل الذنوب وإن تقادم عهدها ... عنـد الإله مسـطرا مسطورا

أيهـا الرجل المقنع بالمشيب ، الملبس حلة المعاصى المريب ، قد خسرت أيام الشباب، وبذلت مهجتك للعذاب ، بغفلتك عمـا فى الكتاب ، واتباعك اللعين الكذاب، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب ومعصيتك لرب الأرباب. ماحيلتك يا مكروب مثلى سودت كتابك بالذنوب ، وعصيت مولاك علام الغيوب ، وبعت الحظ الجزيل بالكذب المشوب ،وضيعت الجنة التى ليس فيها نصب ولالغوب [١] واعلموا يامعشر المذنبين أن العبد إذا وفقه مولاه وأعطاه الفكرة فى قراءة كتابه كان عند مولاه مستجاب الدعاء .

---

(١) اللغوب : التعب

حكاية فى الإعتماد على الله

حكى : عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولا عن عوز [1] ماء وكان فى زمان الحر ، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل من الماء ، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه ، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه ، فقيل له : بم بلغت هذه المنزلة ؟! فقال : جعلت كتابى نصب عينى فى ليلى ونهارى حتى كأنى أقرؤه بين يدى ربى جل جلاله .

حكاية عن مالك بن دينار

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله : كنا عند محمد بن واسع ومعه مالك ابن دينار فجاء رجل فكلم مالكا وأغلظ عليه فى الكلام فى قسمة قسمها وقال : وضعتها فى غير حقها ، وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك ، ولتصرف وجوه الناس إليك ، قال : فبكى مالك بن دينار وقال: ما أردت بهذا هذا الذى تقول، قال : بلى والله لقد أردته ، لما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت . فسقط الرجل ميتا بإذن الله .

دعاء بن واسع

وكان محمد بن واسع إذا جن عليه الليل يبكى ويقول فى بكائه : ويلى من ذنوب قد أحصيت ، ومن صحيفة قد ملئت وربى قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء . فأورثه الله تعالى ببكائه على كتابه ، وعلى حيائه من ربه الإستجابة فى الدعاء وتنور القلب . وأنشدوا :

أرى المشيب بالعذراء قد ألم ... كأن موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرا فى مفرقى ... فراعنى ما خطه وما رقم
هل الفتى إذا انقضى شبابه ... إلا كزرع هاج [2] سوف ينحطم

---

(١) العوز : الحاجه (٢) هاجَ الزرع : جف وييس وآن حصاده

شاب الفؤاد قبل شيب لمتى [1] واعتادنى ضعف القوى قبل الهـرم
ويحى من التوبيخ من ربى غدا من ذلك الأمر الشديد والمستهم
ويحى إذا نادى المنادى بى ألا قم عبد سوء مسرع للعرض قم
ويحى إذا ماقال لى مقررا وخص شيئا بعد شيء ثم عم
ما قد صنعت فى فروضى والذى قضيت منها هل صفا لى هل سلم
فجئت ربى خاسرا قد أثقلت ظهرى ذنوب كالسحاب المرتكم [2]

قال الله تبارك وتعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ [3] وضع الكتاب لفصل القضاء ، ووضع الكتاب للحزن والبكاء ، وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتظهر القبائح ، وضع الكتاب لتصح الصحائح ، الله الله يا معشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب ، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب ، واجتهدوا فى بقية أعماركم قبل وضع الكتاب ، وسارعوا إلى المغفرة من ربكم قبل الخجل بين يدى رب الأرباب ، وقبل أن تطلبوا برد الجواب ، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب ، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب . وأنشدوا :

أبكى لذنبك طول الدهر مجتهدا إن البكاء معول الأحزان
لا تنس ذنبك فى الكتاب وعظمه إن الذنوب تحيط بالإنسان

مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم ، وكبرت عيوبهم وأحصيت عليهم فى الكتاب ذنوبهم ، مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار فى الليل والنهار ، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار ، وسودوا صحفهم بالخطايا والأوزار ، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة، وخالفوا السنة والجماعة ، وخسروا أنفسم قبل قيام الساعة. وأنشدوا

من كان يخشى الله جل جلاله فليكثر العبرات فى الخلوات
فلعله بعد التذكر والبكاء بدلت له العبرات بالحسنات

---

(١) اللمة : الشعر إذا جاوز شحمة الأذن (٢) المتراكم فوق بعضه
(٣) الكهف : ٤٩

عجائب الكتب

قال الله تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ (١) عباد الله عند وضع الكتاب عجائب ، وأحزان ومصائب ، وكروب ونوائب ، فواحد يوضع له الكتاب فيبكى ، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكى، وآخر يوضع له الكتاب فتجرى على وجهه نضرة النعيم، وآخر يوضع له الكتاب فتعلو وجهه ظلمة الجحيم . وآخر يوضع له الكتاب مختوما بسخط الرب الجواد . وآخر يوضع له الكتاب مختوما بالتوفيق والسداد .

اللهم وفقنا للطاعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، ونجنا من أهوال يوم الساعة ، وأدخلنا فى جملة أهل الشفاعة ، واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من ألواح الصبيان ، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان ، والهموم والغموم والأحزان ، فاجتهدوا فى البكاء معشر الإخوان ، وأكثروا الندامة فإنها توجب الغفران . وأنشدوا :

دعونى على نفسـى أنوح وأنـدب ... بدمـع غزير واكف (٢) يتصبب
دعونى على نفسـى أنـوح فإننـى ... أخاف على نفسى الضعيفة تعطب
وإنـى حـقيق بالتضـرع والبـكا ... إذا ما هدأ النوام والليل غيهب (٣)
وجالت دواعى الحزن من كل جانب ... وغارت نجوم الليل وانقض كوكب
كفـى أن عـينى بالدمـوع بخيلـة ... وإنـى بآفـات الـذنوب معـذب
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى ... إلى أين إلجائى إلى أين أهـرب ؟
وقد ظـهرت تلك الفضـائح كـلها ... وقـد قرب الميزان والنار تلهب
فيا طول حزنى ثم يا طـول حـسرتى ... لئن كنت فى قاع الجحيم أعذب
فقـد فاز بالملك العظـيم عـصابـة ... تبيت قياما فى دجى الليل ترهـب

---

(١) الكهف : ٤٩ (٢) وَكَفَ الدمع : سال

(٣) الغيهب : شدة الظلام بالليل

إذا أشرف الجبار من فوق عرشه | وقد زينت حور الجنان الكواعب
فناداهم سهلا وأهلا ومرحبا | أبحت لكم دارى وماشئتم اطلبوا

فبادروا رحمكم الله فى هذه الأيام الشريفة ، إلى محو السيئات من الصحيفة

ضرب مثل فى رقة القلب

يا أخى الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد فى النار عرق طرفها الآخر ، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة وندامة الذنوب التى حصلت فى الكتاب المكتوب الموضوع ، جادت العينان بواكف الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالإنابة والخشوع . وأنشدوا :

كتب بأدمعى فى صحن خدى | كتابا بالتذلل والخضوع
فقالوا : قد عفونا عنك لما | محوت قبيح فعلك بالدموع

حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال : رأيت رجلا واقفا على صبى من الصبيان فى المكتب وهو يمحو لوحا ، وكان اللوح قد كتب بالحبر ، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء ، فجعل الصبى يحك اللوح بالحبل والتراب ، فقال الرجل الواقف عليه : يا بنى مالك تحك اللوح بالحبل ؟ فقال : ليزول الحبر الذى ثبت فيه . فقال له الرجل : والحبل يابنى يزيل الحبر ؟ قال : نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك فى تنور البئر يؤثر فيه وهو حجر فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق ! فقال الرجل : ذلك بطول المدة ، فقال الصبى : لا يا نعم الرجل إلا بالحزم والاجتهاد وإنك يا نعم الرجل بعيد الذهن ، قال الرجل : كيف ذلك يابنى ؟ قال : لأنى قد قلت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحى الحبر الذى عليه ، فقال الرجل : يابنى كان على قلبى حبرا ؟ قال : ياعم وأى لون هو الحبر ؟ قال : هو أسود . قال الصبى : يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن ، وأى سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب ! فصاح الرجل صيحة وخر مغشيا على وجهه ثم أخذنى البكاء . فقال له الصبى : أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك . فقال الرجل : يا بنى

وما الدواء ؟ فقال له : البكاء . فقال : يا بنى والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب ؟ قال له : نعم ، والدليل على ذلك قول النبى ﷺ: « إن الدموع تطفىء بحار النار يوم القيامة عن الباكى »

الدموع تمحو الذنوب

فإذا محت الدموع بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار ، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار ، رضى عنك الملك الغفار ، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار ، وخلصت من عذاب البوار. فابكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم فى الشهور والأعوام ، وفى الساعات والأيام ، من الخطايا والإجرام ، واكتساب الربا والحرام ، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام ، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام . وأنشدوا :

وددت أن دموعى بحر فاسفحها [1] من مقلتى على ما فات من زمنى
واها على أسف منى على وهـل يجنى التأسف إلا غـلة الشـجن
والله لو صح تحقيق التأسف مـا ألفيت إلا مع النوام فى الحـزن
يا ليت لى عينا فى كل جارحة تبـكى على بدمع مانع الوســن

فضل البكاء

فالواجب – والله يا أهل الإسلام – على كل مسلم علم من نفسه ذنبا أن يكثر البكاء عليه عساه يمحو من كتابة مولاه ، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جناه ، فهو المنان الكريم ، المتفضل العظيم . اللهم يا أكرم الأكرمين ، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين ، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب ولا تباعة على منهاج أهل السنة والجماعة، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة . اللهم إن الطاعة والمعاص قدرك ، وفى يدك القلوب والنواصى ، فطهر قلوبنا بماء التوبة واغسلها من دنس الحوبة ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ، وفى أسماعنا وأبصارنا ، وجميع جوارحنا ما أبقينا ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا فإنك علـى كل شـىء قديـــر ولا حول ولا قـــوة الا بالله العلـــى العظيم .

---

(١) سفح الدمع منه:سال منه

٩ - مجلس فى ذكر الجنة وأوصافها
وما أعد الله لأوليائه من النعيم فيها

أيها المريد إنه ينبغى لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه فى جنته ، والاشتياق إلى ماوصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها ، واشتاق إلى نعيمها ، لهى عن الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها ، وترك طلب العلو فيها .

آيات فى الجنة

وقد قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ (١) وقال عز من قائل ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ﴾ (٢) وقال عز من قائل ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ (٣) وقال ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ (٤) الآية إلى ﴿ لغوب ﴾ (٥) وقال عز من قائل ﴿ فى جنات النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين ﴾ (٦) الآية إلى ﴿ مكنون ﴾. وقال عز وجل ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ (٧) الآية . إلى ﴿خالدين﴾

---

(١) القصص: ٨٣ (٢) الرعد : ٣٥ (٣) الحج : ٢٣ (٤) فاطر : ٣٤

(٥) فاطر : ٣٥ (٦) الصافات : ٤٣ - ٤٥ (٧) الزخرف : ٧١

أحاديث فى الجنة

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله ﷺ : « وما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها » [1] روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات »

روى عن أبى هريرة: رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم رجع فقال : يارب لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره فقال الله : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها فقال : يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال جبريل : يارب لايسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات ، فقال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال : يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها » [2] فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات ، ونافسوا فى أفعال الخيرات ، وتحملوا فى طاعة مولاكم المكروهات ، يسكنكم مولاكم الجنات ، ويبوئكم أعلا الغرفات ، ويرفع لكم الدرجات .

شجرة طوبى

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب فى ظلها مائة عام لم يقطعها ، بطحاؤها يا قوت وترابها مسك أبيض ، ووحلها عنبر أشهب ، وكثبانها كافور أصفر ، وبسرها زمرد أخضر ، وأفنائها سندس واستبرق ، وزهرها رياض أصفر ، وورقها برود خضر ، وثمرها حلل صفر ، وسقيها زنجبيل وعسل ، وعبقها زعفران مبهج ،

---

(١) رواه الترمذى (١٠/ ٦٥)   (٢) أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم والنسائى وابن حبان والبيهقى فى البعث   (٣) نوع من العود طيب الرائحة .

والألنجوج [1] يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والرحيق ، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه ، ومتحدث يجمعهم .

وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا ، وبرها خز أحمر ، وعبقرى أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة ، لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنا وبهاء ، ذللا من غير محنة ، نجب من غير رياضة ، رحالها من الياقوت الأخضر ، ملبسة بالعبقرى والأرجوان . ولجمها ذهب وكسوتها سندس وإستبرق ، فأناخوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم : أجيبوا ربكم جل جلاله فإنه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه ، وينظر إليكم وتنظروا إليه ، ويكلمكم وتكلموه ، ويحييكم وتحيوه ، ويزيدكم من فضله فإنه ذو الرحمة الواسعة ، وذو فضل عظيم .

رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ، ثم يسير بهم صفا واحدا معتدلا الرجل الى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولا تعدو أذن صاحبتها ، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم ، فإذا وقفوا بالجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم ، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة ، فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإجلال ، فيقول لهم الرب جل جلاله : عبادى عليكم السلام منى ، وعليكم رحمتى ومحبتى ، مرحبا وأهلا بعبادى الذين أطاعونى بالغيب والذين حفظوا وصيتى ، ورعوا عهدى ، وكانوا منى على كل حال مشفقين . فيقولون : وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك

---

(١) نوع من العود طيب الرائحة

ولا أدينا إليك كل حقك فَأْذَن لنا بالسجود لك ، فيقول لهم ربهم عز وجل : إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم ، وهذا حين أفضيتم إلى روحى ورحمتى وجنتى وكرامتى، ومبلغ الوعد وعدتكم فاسألونى ماشئتم وتمنوا علىّ أُعطكم أمانيكم ، فإنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ، ولكن أجزيكم بقدر رحمتى وكرامتى ورأفتى وعزى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى فاسألونى ما شئتم ، فما يزالون فى الأمانى حتى أن المقصر فى أمنيته يقول : ربنا تنافس أهل الدنيا فى دنياهم، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظى من الجنة كل شىء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها ، فإنا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت فى أعيننا تشاغلا بأمرك وإعظاما لك وإجلالا وإعزازا .

إكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم : لقد قصرتم فى أمنيتكم ورضيتم بدون حظكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم ، وألحقت بكم ما قصرت عنه أمانيكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى مالا تبلغه أمانيكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك ، فيقولون : ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولا وكلتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيعنا حظنا، وإذا بقباب فى الرفيع الأعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت، أبوابها من ذهب ، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس وإستبرق يفور من أعراصها وأفواهها ماء ، نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرى فإذا هم بقصور شامخة فى أعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذا لامتنعت الأبصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشا بالحرير الأبيض ، وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشا بالعبقرى الأحمر . وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشا بالسندس الأخضر . وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشا بالأرجوان الأصفر . مبوبة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان .

براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعا فيها الروح بجنبها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين ، على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة ، أسفلها سرير من ياقوتة ، وعلى كل سريرمنها قبة من ذهب مفرغة ، في كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس في الجنة لون حسنإلا وهو فيها ، ولا ريحة طيبة إلا عبق بها ، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليها أنها من دون القبة ، يتبين مخها في عظامها كما يتبين السلك الأبيض في الياقوتة الصافية ، ثم يأمر الله عز وجل رجلا منهم فيتحول في مركبه مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل ، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة ، وإما ياقوتة ، وإما درة ، وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهنئوهم ويحيوهم ، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وبجنبها الولدان المخلدون ، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة ، فلما رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم ، وشبكوا أيديهم في أيديهم ، ثم أجلسوهم بينهم . ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم .

مصافحة الملائكة

تقول الملائكة أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلا معكم ، ولا هزلنا إلا معكم ، فهنيئا لكم هنيئا بكرامة ربكم ، فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمنى ، وإذا على كل قصر منها باب يفضى إلى واد أفيح [1] من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض ، وكذلك جبال الجنة وهي معادن الجوهر والياقوت والفضة فارعة أفواهها في بطون تلك الأودية ، في بطن كل واحد منها أربع جنان : جنتان ذواتا أفنان ، فيهما عينان تجريان ، فيهما من كل فاكهة

---

(١) تفوح من روائح الجنة الطيبة

زوجان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وحور مقصورات فى الخيام ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى فى ملائكته فيقول لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعم ، قال كيف وجدتم ثواب ربكم ؟ قالوا : ربنا رضينا فارض عنا . فيقول لهم الجليل جل جلاله : برضائى عنكم نظرتم إلى وجهى ، وسمعتم كلامى ، وحللتم دارى ، وصافحكتم ملائكتى ، فهنيئا هنيئا عطائى لكم ، ليس فيه نكد ولا تكدير ، فقالوا : الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (١)

عدد الجنات وأسماؤها

روى عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهى سبع جنات ، دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وهى دار الرحمن تبارك وتعالى ، ليس كمثله شيء ، ولا يشبه شيء ، ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم . سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها ، مدائنها وقصورها ، وبيوتها وشرفها ، وأبوابها ودرجها ، وأعلاها وأسافلها ، وآنيتها وحليها ، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية ، والأنهار المطرزة بألوان الأشربة . والخيام المشرفة والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبقة ، والأزهار الزاهرة ، والمنازل البهية ، المعجبة .

الحور العين

فيها الأزواج المطهرة ، والعين الغنجات (٢) ، بريط النور (٣) معتجرات بوشح

---

(١) الحديث من أول قوله : روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى ٠٠٠٠٠إلخ أخرجه ابن أبى الدنيا ، وقال المنذرى : رفعه منكر . (٢) التكسر والدلال

(٣) الريطة : الملاءة البيضاء ، وقيل هى كل ثوب لين رقيق

الكرامة متزينات ، بالمسك متزملات ، حدق أعينهن كاحلات ، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكللة بالدر ، مركبة بالياقوت ، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة يقلن: نحن خالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا [1] ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام ، ونحن الأبكار السوام للعباد المؤمنين ، طوبى لمن كان لنا وكنا له . فذلك قوله عز وجل ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا * عربا ﴾ [2] عاشقات لأزواجهن ﴿ أترابا ﴾ [3] مستويات في الأسنان ﴿ وحور عين ﴾ [4] حسان جمال ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ [5] كأنهن الياقوت والمرجان مشيها هرولة ، ونغمتها شهية، بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة ، فذلك قوله عز وجل ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ [6] يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [7] وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حلة مختلفة الوشي والألوان ، حملها أهون عليها وأخف من شعرها .

صفة الحور

في نحرها مكتوب : أنت حبي وأنا حبك لست أبغي بك بدلا ولا عنك معدلا. كبدها مرآته وكبده مرآتها ، يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء وكما يرى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية

دار السلام

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها . وثمارها من اللؤلؤ والياقوت .

---

(١) نرحل (٢) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ (٣) الواقعة : ٣٧
(٤) الواقعة : ٢٢ (٥) الواقعة : ٢٣

جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة .

جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء ، بجميع ما فيها على هذة الصفة . والجنات كلها مائة درجة مابين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد . ملاطها [1] المسك ، وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ، وحصباؤها المرجان ، وترابها المسك . أعدها الله عز وجل لأوليائه ، يقول الله تبارك وتعالى : يا أوليائى جوزوا الصراط بعفوى ، وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصبت شجرة الخلد ، ولكن بنيت القصور التى أسست بالنعيم ، وشرفت بالملك والخلود .

درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فأسفل أهل الجنه درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام ، ويزوج خمسمائة حوراء ، وأربعةآلاف بكر ، وثمانية آلاف بيت ، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منها عن صاحبه ، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضى شبعه عمر الدنيا ، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضى ريه عمر الدنيا ، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقيها على بدنه فيقول العبد : الحد لله وتبارك ربى وتعالى فما عجبت كإعجابى بهذه الهدية . فيقول الملك : أعجبتك ؟ فيقول : نعم ، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول : أنا رسول ربك إليك تكونى لولى الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهى .

---

(١) الملاط : المونة

طعام الجنة

ويبلغ غداؤه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم ، فلا تطبخ بالنار ، ولا تقليها القدور ولذتها لذة الزبد ، وحلاتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك . يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها . وفي عشائه مثل ذلك .

قال رسول الله ﷺ : « يأكلون ويشربون ويتفكهون يصير طعامهم وشرابهم رشحا كرشح المسك يخرج من أجسادهم ». ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش .

دلال الحور

روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال : بينما ولى الله فى الجنة مع زوجتة من الحور العين على سرسر من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور ، إذ قال لها : قد اشتقت إلى مشيتك ، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر ، وينشىء الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور ، أحدهما نبت الزعفران ، والآخر نبت الكافور ، فتمشى فى نبت الزعفران ، وترجع فى نبت الكافور ، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يسطع نور فى الجنة فيرفعون رؤسهم فإذا هو نور حوراء . ضحكت فى وجه زوجها » .

وروى عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله ﷺ « : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ولكنه رشح كرشح المسك ، قد ألهموا التسبيح والتكبير والتحميد » [1] .

---

(١) أخرجه السيوطى فى البدور السافرة (١٥٩/ ٣)

لباس أهل الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بلغنى أن ولى الله فى الجنة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح ، تقول التى تلى جسده أنا أكرم على ولى الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه ، فتقول التى تلى وجهه بل أنا أكرم على ولى الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه .

وروى عن النبى ﷺ : أنه قال : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيلبسون منها ثيابا ، لا تبلى ثياهم ، ولا يفنى شبابهم »

أول من يدخل الجنة

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشيا ، ولا يسقمون فيها ولا يموتون ، ولا ينزفون ، آنيتهم من الذهب والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألوة [(١)] ورشحهم المسك » [(٢)]

مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله فى قوله عز وجل﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ [(٣)] قيل : سأله ابن أخيه فى ذلك ، فقال : يا ابن أخى على الخبير وقعت ، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا : على الخبير وقعت ، سألنا عنها رسول الله ﷺ كما سألتنا فقال : « هى قصر فى الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون دارا من ياقوتة حمراء ، وفى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير فراش لون على لون ، على كل سرير امرأة من الحور العين . فى كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة ، وعلى كل مائدة سبعون وصيفا

---

(١) نوع من البخور

(٢) أخرجه الشيخان بنحوه عن أبى هريرة (٣) التوبة : ٧٢

ووصيفة يعطى الله المؤمن فى غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام ، ويطوف على تلك الأزواج » [1]

طيور الجنة

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إنه لينظر إلى الطير فى الجنة فيخر بين يديه مشويا » [2] والطير أمثال الإبل ، فيقول الطير منها : ياولى الله أما أنا فقد رعيت فى وادى كذا وكذا ، وأكلت من ثمار كذا وكذا ، وشربيت من ماء عين كذا وكذا ، وسنى كذا ، وريحى كذا ، فكل منى ، فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع فى نفسه وقع الطائر على مايريد قبل أن يتكلم ، نصفه قديدا ونصفه شواء ، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة فى الأكل ، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور – وليس بهذا الكافور – وطعم الزنجبيل – وليس بهذا الزنجبيل – وعلى ريح المسك – وليس بهذا المسك – فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام ، ويأكل مقدار أربعين عاما ، ويعطى قوة مائة شاب فى الجماع ، ويجامع مقدار أربعين سنة ، له فى كل يوم مائة عذراء ، بذكر لا يمل ولا ينثنى ، وفرج لا يحفى ولا يمنى .

أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضى الله عنه : إن فى رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد ، وأن النيل نهر العسل ، ودجلة نهر اللبن فى الجنة ، والفرات نهر الخمر فى الجنة ، وسيحان نهر الماء فى الجنة ، وجيحان كذلك ، وهما بأرض الهند ، وهما نهرا الماء فى الجنة ، وصفهم الله عز وجل فى الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة .

وذكر وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « مكتوب على باب الجنة : إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها »

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لشبر فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » ،

---

(١) البدور السافرة (١٥٠/ ١١) (٢) السابق : (١٥٩ / ٤)

قال الله عز وجل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١)

سرر الجنة

قال ابن عباس رضى الله عنه : وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ (٢) قال : والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر ، وعلى السرير سبعون فراشا حشوها النور، وظواهرها السندس ، وبطائنها من استبرق ، ولو دلى أعلاها فراشا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاما .

أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهى الحجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترا من نور ، وذلك قوله عز وجل ﴿ هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ﴾ (٣) يعنى ظلال الأشجار ، ﴿ على الأرائك ﴾ يعنى الأسرة فى الحجال ، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاما فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه : يا ولى الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول : حبيبتى من أنت ؟ فتقول : أنا من اللواتى قال الله فيهن :﴿ ولدينا مزيد ﴾ (٤) قال : فيطير سريره ، أو قال كرسى من ذهب له جناحان فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها ، فإذا رفع رأسه رأى نورا ساطعا فى داره، فيعجب فيقول : سبحان الله أملك كريم زارنا ؟ ، أم ربنا أشرف علينا ؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عاما ، والملك فى حجبته فى الملائكة : لم يزرك ملك ولم يشرف عليه ربك عز وجل ، فيقول : ماهذا النور ؟.

---

(١) السجدة : ١٧ (٢) الواقعة : ٣٤
(٣) يس : ٥٦ (٤) ق : ٣٥

زوجة الدنيا

فيقول الملك : إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة ، وإنها طلعت عليك ورأتك معانقا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها ، فيرفع رأسه إليها فتقول : يا ولى الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول : حبيبتى من أنت؟ فتقول له : يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾.[1] الآية قال : فيطير سريره إليها فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل ، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة ، لأن أولئك أنبتن نباتا ، فيعانق هذه مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها ، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت ، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صفير كل طير فى الجنة ، فإذا مس كفها كان ألين من المخ ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة ، وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب ، خلقت من نور ، والحلل عليها أسورة من ذهب ، وأسورة من فضة ، وأسورة من لؤلؤ ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت ، وهو أخف عليها من النقش ، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ [2] وعلى الذراع الآخر مكتوب النور ﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ [3]

تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور:حبيبى أنا لك لا أريد بك بدلا، وكبدها مرآته ، وهى على صفاء الياقوت ، وحسن المرجان ، وبياض البيض المكنون ، ﴿ عربا أترابا﴾ [4]

---

(١) السجدة : ١٧ (٢) الزمر : ٧٤
(٣) فاطر : ٣٤ (٤) الواقعة : ٣٧

العرب : العاشقات لأزواجهن ، والأتراب : بنات خمس وعشرين سنة ، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ، ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل بر وفاجر ، فهى قائمة بين يديه ، فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور ، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور ، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور ، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور ، وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور ، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور ، ولو تفلت فى بحار الدنيا لعذبت كلها ، ولو اطلعت من سقف بيتها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر ، عليها تاج من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان ، وعلى يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها .

ضفائر الجمال

وتلك القرون : قرن من نور ، وقرن من ياقوت ، وقرن من لؤلؤ ، وقرن من زبرجد، وقرن من مرجان ، وقرن من در مكلل بالزمرد الأخضر والأحمر ، مفضض بألوان الجوهر ، موشح بألوان الرياحين ، ليس فى الجنة طيب إلا وهو تحت شعرها ، الواحدة تضىء مسيرة أربعين عاما ، وعلى يسارها مثل ذلك ، وعلى مؤخرها مائة ألف ذؤابة من ذوائب شعرها ، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها ثم تتدلى إلى عجزتها ، ثم تتدلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك ، وعن يمينها مائة ألف وصيفة كل قرن بيد وصيفة ، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة ألف وصيفة كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها .

الوصائف

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة معهن مجامر من در ، فيها بخور من غير نار ، ويذهب ريحه فى الجنة مسيرة مائة عام ، حولها ولدان مخلدون ، وشباب لا يموتون ، كأنهن اللؤلؤ المنثور كثرة ، فهى قائمة بين يدى ولى الله ترى إعجابه وسروره بها ، وهى مسرورة عاشقة له ، فتقول له : ياولى الله لتزدادن غبطة وسرورا ، فتمشى بين يديه بمائة ألف لون من المشى ، فى كل مشية تجلى فى سبعين حلة من النور ،

النور ، وأن الماشطة معها فإذا مشت تتمايل وتنعطف ، وتتكاسر وتدور ، وتبتهج بذلك وتبتسم ، فإذا مالت مالت القرون من الشعر معها ، ومالت الذوائب معها ، ومالت الوصفان معها ، فإذا دارت درن معها ، فإذا أقبلت أقبلن معها ، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة إذا أقبلت فهى مقبله ، وإذا ولت فهى مقبلة الوجه لا تفارق وجهه ولا تغيب عنه ، ويرى كل شىء منها ، إذا جلست بعد مائة ألف لون من المشى خرجت عجزتها من السرير وتدلى قرونها وذوائبها ، فيضطرب ولى الله لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا موت فيها لمات طربا ، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر إليها مخافة أن يذهب بصره ، فتقول له : يا ولى الله تمتع فلا موت فيها .وأنشدوا :

بحسبك يا عمار من دار بلغـــة	جنان بها الخيرات يزلفن فى الحلل
ويمشين هونا فى الجنان أمامهـم	خيام من الدر المجوف فى الكــــلل
إذا برزت حوراء حف بهــا البها	وأشرقت الفردوس والقـوم فى شغل
يعانقن أزواجـا لكــــل مطهــر	على فرش الديباج والعيش قد كمل
وطاف بها الولدان مـن كل جانب	ونودى ولى الله يجزى ، بمــا فعل

وقال غيره

يا خاطب الحـوراء فـى خدرها	وطـالبـا ذاك علـى قدرهــــا
انهـض بعـزم لا تكـن دانيـــا	وجـاهد النفـس علـى صـبرها
وجانـب النـاس وارفضـــهم	وحـالف الوحـدة فـى ذكـرها
وقـم الليـل بـدا وجهـــــه	وصـم نـهارا فـهو مـن مهرها
فلـو رأت عينـاك إقبالهـــــا	وقـد بـدت رمـانتا صدرهـــا
وهـى تماشـى بـين أترابهـــا	وعقدها يـــشرق فـى نحرهــا
لهـان فـى نفـسك هــذا الـذى	تـراه فـى دنـياك مـن زهرهــا

ضيافة الله

روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل الجنة الجنة ، وأهـل النـار النـار ، هبـط ربنـا الجليـل جـل جلالـه - بلا تكييف ولا تمثيـل

يتعالى ربنا عن ذلك - إلى مرج أفيح ، فمد بينه وبين خلقه حجابا من لؤلؤ ، وحجابا من نور ، ثم وضعت منابر النور ، وسرر النور ، وكراسى النور ، ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصَفْقَ أجنحتهم ، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل : من هذا الذى قد أذن له الله عز وجل ؟ فقيل : هذا المجبول بيده ، والمعلم الأسماء ، والذى أمرت الملائكة فسجدت له ، والذى أبيحت له الجنة آدم ﷺ ، أذن له على الله عز وجل ، قال : ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم ، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل : من هذا الذى أذن له الله عز وجل ؟ فقيل : هذا الذى اتخذه الله خليلا ، وجعل النار عليه بردا وسلاما إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، قال : ثم أذن الى رجل آخر على الله عز وجل ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم ، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل : من هذا الذى قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل : هذا الذى اصطفاه الله عز وجل برسالته ، وقربه نجيا ، وكلمه تكليما موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله ، بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوى تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم ، فقيل : من هذا الذى قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل : هذا أول شافع وأول مشفع ، وسيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وصاحب لواء الحمد أحمد ﷺ قد أذن له على الله عز وجل قال : فيجلس النبيون على منابر النور ، والصديقون على سرر النور ، والشهداء على كراسى النور ، وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الأبيض الأذفر .

وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ، يا ملائكتى انهضوا إلى عبادى فأطعموهم ، قال : فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولاعظم ، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا اسقوهم يا ملائكتى ،

قال : فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجد لذة آخرها كلذة أولها ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ [١] قال : ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا فَكهوهم فقربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذى أسماه الله ، أشد بياضا من اللبن ، وأطيب من عذوبة الشهد ، فطعموا وشربوا وفكهوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى . أكلوا وشربوا وفكهوا اكسوهم .

كرامة الله لعباده

قال : ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوا ، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب:مرحبا بعبادى وزوارى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا ، طيبوهم ، قال : فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر ، فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار [٢] ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا ، وعزتى وجلالى لأتجلين لهم حتى ينظروا إلىّ فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد ، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول : السلام عليكم عبادى أنظروا إلىّ فقد رضيت عنكم ، قال : فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول : سبحانك أربع مرات وخر القوم سجدا ، فناداهم الرب عز وجل : عبادى ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل ، ولا بدار نصب ، وإنما هى دار جزاء ، ودار ثواب ، وعزتى وجلالى ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى .

سوق الجنة

روى عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضى الله عنة ، فقال له أبو هريرة :

---

(١) الواقعة : ١٩ (٢) غبار

اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، فقال له سعيد : أو فيها سوق ؟ قال: نعم ، أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عزوجل ، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى فى روضة من رياض الجنة ، وتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، يكون أدناهم – وما فيها أدنى – على كثبان المسك والكافور ، وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلسا

رؤية الله تعالى

قال : أبو هريرة رضى الله عنه : فقلت يارسول الله هل نرى ربنا عز وجل ؟ قال: « نعم هل تضامون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » فقلنا : لا ، قال : « فكذلك لا تضامون فى رؤية ربكم تبارك وتعالى »[1] ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل : يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره سيئاته فى الدنيا فيقول : يارب ألم تغفر لى ؟ قال : بلى فبسعة مغفرتى نلت منزلتك هذه ، قال : فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط فيقول ربنا عز وجل قدموا إلىّ ماأعددت لكم من الكرامة ، قال : فنأتى سوقا من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان ، ولم تنظر إليه العيون ، ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا فيها ما اشتهينا ليس يباع فيها شيء ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضى حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها . قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا .

(١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة

المتحابون فى الله

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المتحابون فى الله فى الدنيا هم فى الجنة على عمود من ياقوتة حمراء ، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ، يشرفون على أهل الجنة ، إذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نورا كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا ، قال : فيقول أهل الجنة : أخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله ، فيخرجون فينظرون فى وجوههم مثل القمر ليلة البدر ، عليهم ثياب خضر ، مكتوب فى جباههم بالنور : هؤلاء المتحابون فى الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل الجنة إذا رأوا ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء ، فيها سبعون حلة ، لكل حلة سبعون لونا ليس منهم حلة تشبه الأخرى ، فإذا انصرفوا عن ربهم مروا فى أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء ، وفيها من الحلل والسندس والاستبرق ، والحرير والرفرف والعبقرى من در وياقوت ، وأكاليل معلقة ، فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاءوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئا ، وفيها صور كصور الناس من أحسن مايكون من الصور ، مكتوب فى نحر كل صورة منها : من تمنى أن يكون مثل صورتى جعل الله حسنه على صورتى ، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة . قال : ثم ينصرفون إلى منازلهم.

خواتم الجنة

وقال النبى ﷺ : « إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهى خواتم الخلد ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم فى داره دار السلام» .

نوق الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بينما أهل الجنة يتحدثون فى ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة (١) بسلاسل الذهب

(١) لها زمام وهو الخطام .

كأن وجوهها المصابيح من حسنها ، ذلك من غير تهيئة تجب من غير ربابة عليها رحائل [1] الذهب وكسوتها سندس وإستبرق حتى ترفع اليهم ، ثم يسلموا عليهم فيقولون : إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوروه وتسلمون عليه ، قال : فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفا فى الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها ، فإذا وقفوا بين يدى الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام ، فيقول لهم الجليل جل جلاله : وعليكم سلام منى وعليكم رحمتى وكرامتى ، مرحبا وأهلا بعبادى الذين أطاعونى بالغيب وحفظوا وصيتى ، فيقولون : لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك ، إئذن لنا أن نسجد لك ، فيقول : إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتم إلى كرامتى .

أمانى أهل الجنة

وبلغ الوعد الذى وعدت لكم فتمنوا فإن لكل إنسان منكم ما تمنى ، فيتمنون فيعطى كل واحد منهم ما يمنى ، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه مالم تبلغ إليهم أمانيهم ، وأنشدوا :

ياراغب الحور الجمـــم ... والدل والشكل وحسن الشيم
الناعمات الدائمات الرضى ... فى جنة الفردوس مأوى النعم
أرفض بدار زهرها زائـل ... واغتنم الصحة قبل السقـم
وابدر إلى الرؤية مستبصرا ... واعتنق التسهيد عند الظلم
واستغفر الله لما قد مضى ... واستشعر الخوف وطول الندم
تفز بما تطلب من لـذة ... وتأمن البلوى وعقبى النقـم

(١) جمع رحل وهو الإكاف الذى يوضع على ظهر الفرس والبعير .

١٠ – مجلس فى قوله تبارك وتعالى
﴿ كل نفس ذائقةُ الموت ﴾ (١)

قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : متنا وعزة الله ، فعند ذلك أيقن كل ذى عقل وروح أنه هالك . وأنشدوا :

أيضحك مـن للموت فيه نصيب ... وينعم عيشا إن ذا لعجيـــب
ويأكـل والأيـام تأكــل عـــمره ... وليس له جسم لذاك يـــذوب
ومـن عرف الرحمن لم يهن قلبه ... نعيم ولم ينفك عنه نحيـــب
بعـدت عن الورد الرضى بزلـــة ... وبى قطعت دون الوصول ذنـوب

قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ يموت كل صغير وكبير ، يموت كل أمير ووزير ، يموت كل عزيز وحقير ، يموت كل غنى وفقير ، يموت كل نبى وولى، يموت كل نجى وتقى ، يموت كل زاهد وعابد ، يموت كل مقر وجاحد ، يموت كل صحيح وسقيم ، يموت كل مريض وسليم ، كل نفس تموت غير ذى العزة والجبروت . وأنشدوا :

ألا كل مولـود فللموت يولـــد ... ولســت أرى حيا عليها يخـلد
تجرد مــن الدنيا فإنك إنمـــا ... خرجت مـن الدنيا وأنت مـجرد
وأنــت وإن خولت مالا وكـثرة ... فإنك فـى الدنيا على ذاك أوحـد
وأفضل شـىء نلـت منها فإنـه ... متاع قليـل يضمحل وينفـــد
فكم مـن عزيز أعقب الذل عـزه ... فأصبـح مذموما وقد كان يحمد
فـلا تحمـد الدنيا ولكن فذمهـا ... وما بال شىء ذمـه الله يحمـــد

---

(١) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء : ٣٥ ، العنكبوت : ٥٧

ذكر الموت

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أكثروا ذكر هاذم اللذات (١) ومفرق الجماعات ، وتوسدوه إذا نمتم ، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم ، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم » يعنى بما وكل به منكم ، ويفسد نعيمكم ، ويخرب مصانعكم ، وفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فإنه لا ينساكم ، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم . وأنشدوا :

يا جار أحبابه شهورا　　وجار أمواته دهورا
ليس سرورا يعود حزنا　　إذا تأملته سرورا

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : ما من مولود يولد إلا وفى سرته من تراب الأرض التى يموت فيها . وأنشدوا :

أمر على المقابر كل حين　　ولا أدرى بأى الأرض قبرى
وأفرح بالغنى إن زاد مالى　　ولا أبكى على نقصان عمرى

ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب فى دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها . وأنشدوا :

الموت لا شك آت فاستعد له　　إن اللبيب بذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به　　من التراب على عينيه مجعول

روى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله أى المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعدادا » (٢)

حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله : ألا تجلس معنا نتحدث ؟ فقال : إن ذكر الموت إذا فارق قلبى ساعة فسد علَىّ قلبى . وأنشدوا :

ما أغفل الناس عن وعيد　　قربه الليل والنهار

---

(١) يعنى الموت .　　(٢) رواه ابن ماجه .

والعار ما جرت المعاصي وليس في النائبات عـار
ويحك ما تصنع المنايـا تأتي فتخلي لهـا الديار
فلا قلوب لها عيـــون ولا عيون لهـا اعتبـا

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ، إلا أن يحوم عقاب[1] المنية عليه ، ويفرق سهامها إليه ، فإذا الندم لاينفع ، وإذا العذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيع لا يشفع ، وإذا الذى فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحابى به في النجاة لا يطمع ،فكأنى بك يا أخى وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك الولدان ، ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادى : قد مات فلان بن فلان . ثم نقلت عن الأحباب ، وحملت إلى أرماس التراب ، وأضجعوك في محل ضنك ، قصير السمك، مهول منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة ، عرفته مهول الصريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد وأنشدوا :

المـرء يخـدعـه منـاه والدهر يسرع في بـلاه
يا ذا الشبى لا تكـــن ممن تعبده هـــــواه
واعلـم بـأن المـرء مـــر تهن بما كسبت يـداه
والنـاس فـي غفلاتهـم والمـوت دائرة رحــاه
الحمـــد لله الـــذى يبقـى ويهلك ما سواه

سكرات الموت

روى عن النبى ﷺ أنه لما احتضر جعل يقول:« لا اله إلا الله إن للموت لسكرات » وروى عنه ﷺ أنه كان يقول وعنده قدح ماء عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالمـاء علـى وجهه ويقول مـرة بعـد مـرة « اللهم هوّن علـىّ سكرات المـوت » [2]

(١) العقاب : طائر من الجوارح (٢) رواه البخارى

وروى عنه ﷺ أنه قال : « لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا أجمعين »[1] لأن فى كل شعرة ألم الموت ، ولا يقع الموت ولا يحل فى شيء إلا مات .

وروى أنه قال : « لو أن قطرة وضعت على جبال الدنيا كلها لزالت »[2] وأنشدوا

تيقظ للذى لا بد منه فإن الموت ميقات العباد
يسرك أن تكون رفيق قوم لهم زاد بغير زاد ؟!

آلام الموت

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب : يا كعب حدثنا عن الموت، فقال : يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك ، أدخل فى جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى ، وأنشدوا :

ألا أيها المغرور والموت نحوه خلقت له تحدو إليه الركائب
أغرك حلم الله أم لست موقنا بأنك مبعوث غدا ومحاسب
بأيسر من مثقال حبة خردل وإنك مجزى بما أنت كاسب

روى عن الحسن رحمه الله أنه قال : لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا : إن الله تعالى اتخذك خليلا من بين سائر الأنبياء والرسل ، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو ، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت ؟

طعم الموت

فقال : أواه ، وجدته والله شديدا ، والذى لا إله غيره هو أشد من الطبخ فى القدور، والقطع بالمناشير ، أقبل ملك الموت نحوى بكلوب من حديد ، فأدخله فى

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا مرسلا . (٢) قال العراقى : لم أجد له أصلا .

كل عضو منى ، ثم استل الروح من كل عضو حتى جعله فى القلب ، ثم طعن فى القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت ، فلو أنى طبخت فى القدور سبعين مرة لكان أهون على . فقالوا : يا إبراهيم لقد هون الله عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع بالمخطئين !! كفى بالموت طامة . وإذا بجبريل ﷺ عندهم يسمعهم فقال لهم : يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت . وأنشدوا :

وما الناس إلا هالك وابـن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريـق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفـت ... له عن عدوّ فى ثياب صديـق

داود والذرة

ذكر فى بعض الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى محرابه فإذا بدودة كالذرة ، فقال داود فى نفسه : ما يعبأ الله بهذه الدودة، فأنطقها سبحانه وقالت : والله ياداود إنى أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون على الموت . وأنشدوا :

يحب الفتى طول البقاء وإنـــه ... علـى ثقـة أن البقـاء فنـاء
زيادته فى الجسم نقص حيـــاته ... وليس على نقص الحياة نمـاء
إذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه ... ويطويه من بعد الصباح مساء
جديدان لا يبقى الجميع عليهمـا ... ولا لهما بهذا الجميع بقـاء

ذكر فى بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم ﷺ لما مات : يا خليلى مت ؟ قال : يا إلهى مت ! قالها وردها عليه ثلاثا ، قال : يا خليلى كيف وجدت طعم الموت ؟ قال كسَفُّود (١) محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب . قال : أما إنا قد هونا عليك الموت . وأنشدوا :

أرى المرء يبكى للذى مـات قبله ... وموت الذى يبكى عليه قريـب
وما الموت إلا فـى كتاب مؤجـل ... إلى ساعة يدعى لها فيجيـــب

(١) حديدة يشوى عليها اللحم .

موسى وموعظته

وروى أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلاة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير . وفى رواية أخرى قال : وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وأنشدوا :

الموت لا والدا يبقى ولا ولـــدا هو السبيل إلى أن لا ترى أحدا
مات النبى فلم يخلد لأمتـــــه لو خلد الله حيا قبـــله خلـــدا
للموت فينا سهام غير مخطـــئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها ألا ينافس فيها أهلــها أبـــدا

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا » (1)

نوح وخوفه

وروى عن وهب بن منبه أنه قال : قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلا من الموت وهول المطلع .

وروى أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين : أدعوا الله أن يخفف عنى سكرات الموت . وأنشدوا :

قد سقاك الهوى شراب الأمانى فاستطبت المقام تحت التدانى
وتصاممت عن نداء الأمـــانى لاهياً عن وقائع الحدثـــان
وإذا عارضتك خــطرة ذكـــر بادأتـك الطباع بالنسيـــان

سكرات الموت

وفى بعض الأخبار : « للموت ثلاثة آلاف سكرة ، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف » ، وفـى بعـض الأخبار : « أن الدنيا كلها بـين يـدى ملك المـوت

---

(1) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

كالمائدة بين يدى الرجل يمد يده إلى ماشاء منها فيتناوله ويأكله » . بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعوانا الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع فى لقمة واحدة لفعل ، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا إذادوا فزعا منه حتى يرعدوا ، وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وفى كل ما خلق الله عز وجل البركة إلا فى الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة وانقضاء المدة . وأنشدوا :

للمنايا رحى عليك تدور ... كلنا جاهل بها مغرور
رحم الله من بكى للخطايا ... كل باك فذنبه مغفور

يا ابن آدم ما أغفلك ، وعن الصواب أبعدك ، كإنك بالموت قد فاجأك ، وملك الموت قد وافاك ، فيئس منك الطبيب ، وفارقك الحبيب ، وتفجع لفقدك كل قريب ، فوقعت فى الحسرة ، وجفتك العبرة ، وبطل منك اللسان ، بعد الفصاحة والبيان ، وأدرجت فى الأكفان وأزعجت عن الأوطان ، وصار القبر مأواك ، وإلى يوم القيامة مثواك . وفارقك الأهل والإخوان ، ووقع بهم عنك السلو والنسيان ، فإن كان لك منزل سكنوه ، أو كنت ذا مال اقتسموه . وأنشدوا :

يا عجبا للأرض ما تشبع ... وكل حى فوقها يفجع
ابتلعت عادا فأفنتهم ... وبعد عادا أهلكت بتبع
وقوم نوح أدخلت بطنها ... فظهرها من جمعهم بلقع (١)
يا أيها الراضى بما قد مضى ... هل لك فيما قد مضى مطمع

أذكر الموت

يا هذا اذكر ما وصفته ، واحفظ ما حكيته ، وعليك بالصوم والاجتهاد ، والطاعة لرب العباد ومراقبته فى الليل والنهار ، والتضرع إليه فى ظلمات الأسحار ، يا هذا عمرك أنفاس معدودة ، وعليك رقيب يحصيها ، لا تنس الموت فإنه لا ينساك.

---

(١) خراب

المبادرة المبادرة ، إنما هى أنفاس لو حبست عنك لانقطع عنك عملك آخر الأبد ، وخروج نفسك آخر الأمد ، وفراق أهلك آخر العدد. وأنشدوا :

إذا ما الموت جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

فاذكر حالك أيها الغافل ، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل ، قد زال عزك عنك، وسلب مالك منك ، وأخرجت من بين أحبابك ، وجهزت لترابك ، وأسلمت إلى الدود ، وصرت رهنا بين اللحود ، وبكى عليك الباكون قليلا ، ثم نسوك دهرا طويلا ، فتغيرت منك المحاسن والمحلى ، وتحكم فى أعضائك البلى ، وقطعت الأكفان، وسعى إليك الديدان ، فبلى منك اللسان ، وسالت الحدق كأنك لم تكن قط ممن رأى ولا نطق . وأنشدوا :

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعدها عن كل شىء

ابن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك ، وحال بينك وبين ما تريد ، وأنت فى النزع والكرب الشديد ، لا والد يدفع عنك ولا وليد ، ولا عدة تنجيك ولا عديد ، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد . أليس ذلك نازل بك على كل حال ، أى وعزة الكبير المتعال ، فإنك الآن حين ينفعك البكاء والإستكانه ، قبل حلول الحسرة والندامة . وأنشدوا :

يا من يموت ويسأل ... عما يقول ويفعل
إن الموكل بالنفو ... س إذا أتى لا يهمل
والنار منزل من عصى ... والنار بئس المنزل

موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل ، بينما أنت فى فسحة ومهل ، وتب الى مولاك من قبيح الخطايا والزلل ، قبل أن يقال : فلان عليل ، أو مدنف [1] ثقيل ،

(١) مريض .

فهل إلى دوائه سبيل ، أو على طبيب دليل ، فتدعى لك الأطباء ، ويجمع لك الدواء ، فلا يزيدك ذلك إلا بلاء ، . وقد اجتمع عندك الإخوان والأحباء ، والأهل والأقرباء و كثر حولك البكاء ، ثم يقال : حشرج [1] ونفسه توشك أن تخرج ، وأنت تعاين الأمر العظيم ، بعد اللذة والنعيم ، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم ، وحل بك القضاء ، وخرجت الروح من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فيا لها من سعادة أو شقاء . وأنشدوا :

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحم ومبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين ، قبل عرق الجبين ، وانتشارالعرقين ، وقبل مد الشمال وقبض اليمين ، وتضعيف قوتك بالأنين ، ويكثر حواليك البكا والحنين ، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال فى الشهور والسنين ، ثم أنت فى قبرك لملك رهين ، إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين . قد تغير جسمك فى الجنادل والتراب ، بعد تنعمك بدقائق الشباب . وأنشدوا :

من لم يطأ منا التراب برجله ... وطىء التراب بنضرة الخد
لو كشفت للناس أغطية البلى ... لم يعرفوا المولى من العبد
من كان بينك فى التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد

أسماء العباد

ذكر فى بعض الأخبار أن لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها إسم عبد من عبيده ، فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التى فيها اسمه فى حجر ملك الموت فأخذ روحه فى الوقت . وأنشدوا :

إنى لعبت وحادى الموت فى طلبى ... وإن فى الموت شغل لى عن اللعب
لو شمرت مهجتى فيما خلقت له ... ما اشتد حرصى على الدنيا ولاكلبى

---

(١) ترددت روحه فى حلقومه وأوشكت على الخروج .

سبحان من لا شيء يعدله إن الحريص على الدنيا لفى تعب
لا تغتر بديار لا مقام بها واقصد لدارك إن الموت فى الطالب

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ما من يوم الا وملكان يناديان : يا أهل الدنيا ولدتم للموت ، وتبنون للخراب ، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم » وأنشدوا :

عجبت لجازع باك مصاب بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلا كأن الموت كالشيء العجاب
وسوّى الله فيه الخلق حتى نبى الله فيه لم يحابى
له ملك ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب
لمن نبنى ونحن إلى التراب نعود كما خلقنا من تراب
ألا ياموت لم أر منك بُدّاً أتيت فلا تحيف ولا تحابى
كأنك قد هجمت على مشيبى كما هجم المشيب على الشباب

قيل مر رجل على خراب فسمع إنسانا ينشد هذه الأبيات .

قل للذين بنوا ديارا عاليه وتنافسوا والموت منهم دانيه
شيدتموها راغبين وأنتم تردوا القبور وتتركوها خالية
أين الملوك وأين ماقد جمعوا وجيوشهم وعبيدهم وزبانيه
تحت التراب تقطعت أوصالهم وأكفهم بعد الأعنة باليه

ثم قرأ : ﴿ قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون ﴾ (١)

نوح وزهده

ذكر فى بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام ، قال: فوجده قد عمل خُصًا (٢) على البحر ، فقال : إيش هذا يا نوح ؟ فقال : يا جبريل هذا لمن يموت كثير ، فقال له جبريل عليه السلام : لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والآجُرّ والحجر ، فقال نوح عليه السلام : ما كان على هؤلاء إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا . وأنشدوا :

(١) ص : ٦٧ - ٦٨ (٢) كوخ أو بيت صغير .

لوكنت تعقـل يا مغرور مـا برقـت عيناك مـن خوف ومـن حـذر
ما بال قـوم سهام المـوت تخطفهـم يفاخـرون برفع الطـين والمـدر

عيسى والجمجمة

روى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقذفها برجله وقال : تكلمى بإذن الله تعالى : قالت ياروح الله أنا مالك زمام كذا وكذا ، بينما أنا جالس فى ملكى ، وعلى رأسى تاجى ، وحولى جنودى وحشمى ، إذ بدا لى ملك الموت فأزال منى كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسى ، فياليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة ، وما كان من ذلك الأنس كان وحشة .. فما ظنك يا عاصى بصفحة ملك الموت إذ بدت وعاينتها عند كشف الغطاء ، فتنظر إليها بطرف كليل وقلب وجل ، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت فإحدى البشارتين: أبشر يا عدو الله بالنار ، أو : أبشر يا ولى الله بالجنة . وأنشدوا :

يخيل لـى بكـاء القـوم حولـى وقولـهم : ألا أزف الرحيـــل
ومـا يغنـى البكـاء إذا تقضـى لدى عـمرى وإن كـثر العويـل
فـخـذ للـموت أهبتـه فإمـا نجاة بعـد أو هـول طويــل

عمرو بن العاص عند موته

روى عن عبد الله بن عـمرو بن العاص رضى الله عنهـما أنه قال لابنه عند الموت: ليتنى ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت يخبرنى بما يجد ، فقال له ابنه : قد نزل بك الموت فصف لى الذى تجد ؟ فقال لى : يا بنى كأن جنبى فى تخت، وكأن غصن شوك يخرج من قدمى إلى هامتى ، وكأنى أتنفس من سَمّ (1) إبرة . ثم مد يده وقال : اللهم لا قوى فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر ، اللهم إنى مقر مذنب مستغفر . ثم مات رضى الله عنه . وأنشدوا :

للمـوت فاعمـل بجـد أيها الرجـل واعلـم بأنـك مـن دنياك مـرتحلُ

---

(1) ثقب الإبرة .

إلى متى أنت فى لهو وفى لعـــب تمسى وتصبح فـى اللذات مشتغل
كأننى بك يا ذا الشيب فى كـــرب بين الأحبة قد أدى بـك الأجـــلُ
لما رأوك صريعا بينهـــم جزعـــوا وودعوك وقالوا قـد مضى الرجــلُ
فاعمل لنفسك يا مسكين فى مهـل مادام ينفعك التـذكار والعمـــلُ
إن التقى جنان الخلـــد مسكـنه ينال حورا عليها التـاجُ والحُلـــلُ
والمجرمين بنـارٍ لا خمـــودَ لهــــا فى كل وقتٍ مـن الأوقات تشتعلُ

سليمان وملك الموت

روى أن ملك الموت كان صديقا لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً ، فدخل يوما وعنده رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذى مع سليمان نظرا نكرا ، فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يا نبى الله من هذا الداخل عليك آنفا ؟ فقال : ملك الموت ، فقال له : لقد رأيته يحد النظر إلىّ ، ولكن لى إليك حاجة ، قال : وما هى ؟ قال : تأمر الريح أن تحملنى إلى الهند . فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند ، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندى مذ أيام رجلا فنظرت إليه نظرا منكرا ؟ فقال ملك الموت : كنت أعجب منه ، أُمرت بقبض روحه فى ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام . فقبض روحه فى ذلك اليوم بالهند . وأنشدوا :

الموت بحر يهاب المـرء مـــورده وكل يوم له من كأسه جـرعُ
لا صحة المرء فى الدنيا تؤخـره ولا يقدم يوما مـوتـه الوجــــعُ
وكل يوم علينا فـى فجائعــــه طير يحوم فلا ندرى بمن يقـع

سعيد بن المسيب والجنى

روى أن سعيد بن المسيب دخل يوما مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت فى أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبى ﷺ ثم بكى وجعل يقول :

ألا ذهـب الحملـةُ وأسلمونـى فـوا أسـفا علـى فقـد الحماة
ألا ذهـب الحمـاةُ وأسلمونى فـوا أسفا علـى فقـد الحمـاةِ

فأجابه هاتف مـن ركن المسجد بصوت محزون ، مـن كبد مشجون ، وهـو يقول :

فدع عنك الثقاة فقد تولـوا ... ونفسك فابكها حين الممات
فكل جماعة لا بـد يومـا ... يفرق بينهم وقع الشتـات

فقال سعيد : من أنت فقد زدتنى حزنا ؟ فقال : أنا من مؤمنى الجن ، كنا فى هذا المسجد سبعين رجلا فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ، ولم يبق منهم غيرى كما لم يبق من الإنس غيرك ، وإنا بهم لاحقون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأنشدوا :

جرت الرياح على جميع ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى بـه ... يوما يصير إلى بلى ونفادِ

صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلى فقرأ هذه الآيه﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (١) وجعل يتدبرها ويرددها ، فسمع قائلا يقول : يا هذا كم تردد هذه الآية ؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن مارفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياءً من الله تعالى ، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية . وأنشدوا :

ليس ينجو المقصوص من ملك المو ... ت إذا جاءه ولا الطيـار
للمنايا وإنمـا للمنايـا ... خلق الطفل والشيوخ الكبارِ
كم رأينـا مـن سادةٍ وملـوكٍ ... ما على الأرض منهم ديـار

العبد و ربه

حكى عن بعض العارفين أنه قال : إن الله سبحانه وتعالى يسر إلى عبده سرّين يخبره ذلك بإلهام يلهمه ، أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه يقول لـه : عبدى قـد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نقيا نظيفا ، وسر عنـد خروج روحه يقـول لـه:

(١) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء : ٣٥ ، العنكبوت : ٥٧

عبدى ماصنعت فى أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب ؟ وأنشدوا :

يا من تقدم جـــده وأبــــوه ... وصديقه سكن الثرى وأخـوه
وغدا إلى دار البلى أترابـــه ... ومضى إلى حفر القبور بنـوه
ورأى مصارع إخوة وقرابـــة ... بين الثرى فى برزخ سكـنوه
ألا أتيت قبورهم فسألتهـــا ... عنهم وعن ما فى القبور لقـوه
فلتخبرنك أن أحكام البلـــى ... تجرى عليهم هموا وطنـــوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الـــذى ... عملوه مكتوبا كما عمـلوه
ما زادت الحفظاء فى أعمالهـم ... مثقال خـردلة ولا نقصـــوه
يا معشر الإخوان إن سبيلكـــم ... كسبيلهم فى كل ما سلـكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهـم ... وكأنه قد حـــل فانتظـــروه
ومحجب قد غرهم بحجابـــه ... لما أتاه المـــوت ما حجبـوه
لكنهم سجوه فـــوق سريـره ... وتكفلوه بأربـــع حملـــوه
ساروا به حتى إلـــى دار البلـــى ... بيت له تحت الثـــرى قبـروه
حتى إذا مـــا غيبته أكفهـــم ... بين الجنادل فى الثرى تركوه
وتفرقوا عـــن بابه وتبدلـــوا ... بابا سواه وغيـــروا ونســـوه

عمر بن الخطاب وعظته

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنكم لا تذكرونه فى قليل إلا كفى وأجزى ، ولا فى كثير إلا قلله .

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت ، وبادروا آجالكم قبل الفوت ، تفوزوا بالجنان فى دار الرحمن . وأنشدوا :

لملك المـوت فـى الدنـيا ديـــون ... تحـل فـليـس يمطلها المـطول
وكل العالمـين بهـــا ملـىّ (١) ... فليس له علـى أحـد جـميل

---

(١) جدير .

سواء إذ يحل على غريم [1] عليه ذوو التعزز والذليل

فالله الله معاشر المسرفين لا تفتروا بالعز والمال ، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل ، ولا يرحم الحقير الذليل ، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال ، من قبل أن يأتى يوم لا حيلة فيه لمحتال . يا إخوانى إلى كم هذه الغفلة ؟ إلى كم هذا التمادى فى البطالة والإغترار بالمهلة ؟ وأنشدوا :

يأيها الناس كان لى أمــــل قصر عـــن بلوغـه الأجـل
ما أنا وحدى نقلت حيث تروا كـــل إلـى مثلـه ينتقــــل
فليتق الله ربـــــــه رجـــل أمكنـه فـى حياتـه العمـل

حث النبى أصحابه على ذكر الموت

روى أن النبى ﷺ كان فى بيت بعض نسائه إذ سمع صوتا فى مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك ، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتى قام على رؤوسهم فقال : « أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا ، أفلا تذكرون مكدر اللذات فى أثناء حديثكم ؟ » قالوا : وما مكدر اللذات يا نبى الله ؟ قال : « ذكر الموت » فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم .

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصابيح الإسلام ، وقادة الأنام ، السادة الكرام ، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحِمَام [2] وقد أفنوا أعمارهم فى طاعة ذى الجلال والإكرام ، وقطعوا أيامهم فى العمل بالسنة والأحكام ، فكيف بمن تمادى فى المعاصى والإجرام ، والطغيان والآثام ، وأكلوا الربا والحرام ، وأموال الضعفاء والأيتام ؟ وأنشدوا :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ونحن فى غفلة عما يراد بنـــا
لا تطمئن إلى الدنيا وزهرتهـــا وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران مافعلــــوا أين الذين هموكانوا لنا سكنا
سقاهم الدهر كأسا غير صافيــة فصيرتهم لأطباق الثرى رهنـــا

---

(١) مَدين . (٢) الحمام : مرض الموت .

فالله الله معاشر المذنبين لا تشغلوا عمن يطلبكم ، ولا تنسوا من لا ينساكم ، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتى ساعة السكرات ، والندم على مافات، فهيهات هيهات ثم هيهات هيهات . وأنشدوا :

إسمع فقد أسمعك الصوت | إن لم تبدر فهو الفوت
بل كان ما شئت وعش سالما | آخر هذا كله الموت

يا أخى إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعته ، ولا ينجيك ما اكتسبته ، فامهد لنفسك قبل مفارقة الأحباب ، والجيران والأصحاب ، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب ، وبيوت الوحشة والعذاب ، إلا أن يعفو الملك الوهاب ، فتفكروا يا أولى الألباب ، يا معشر الشيب والشباب . وأنشدوا :

مضى أمسك الماضى شهيدا معدلا | وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن تك بالأمس اجترحت [1] إساءة | فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فعل الصالحات إلى غد | لعل غدا يأتى وأنت فقيد
إذا المنايا أخطأتك وصادفت | حميمك فاعلم أنها ستعود

ذكر الموت والعمل

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ماأكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك فى عمله » فيا إخوانى أكثروا لعل الله أن يهونه عليكم ، ويرحمكم عند نزوله بكم ، واجعلوا الموت عند منامكم (مهادا) ، وعند قيامكم سهادا . واستعدوا بكثير الحسنات ، واجتناب الأوزار والسيئات . فرحم الله امرأ رحم نفسه ، ونظر إليها وذكر رسمه . وأنشدوا :

نغص الموت ويحكم كل طيب | ودهانى بفقد كل حبيب
كم وكم قد رأيت من حدث | السن عزيز كغصن بان رطيب
حس بالموت فانثنى بانكسار | واضعا خده بذل عجيب
قائلا إخوتى سلام عليكم | إذ دنت شمس مدتى بالمغيب

(١) اقترفت .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد والرغبة » يأخى لوكان عندنا علم أنه لا يموت منا إلا رجل واحد لا يعلم من هو فينا، لكان الواجب علينا أن لا ترقأ لنا دمعة خوفا من الموت ، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد . وأنشدوا :

يلقى الفتى حذر المنية كارهـــا ... منهـا وقد حدقـت به لو يشعر
نصبت حبائلها [(١)] له من حوله ... فإذا أتاه يومـه لا ينــذر
إن إمرأ أمسى أبـــوه وأمـــه ... تحـت التراب لواجـب يتفكـــر
تعطى صحيفتك التـــى أمليتهـا ... فتـرى الذى فيها إذا ما تنشـــر
حسناتها محشوة قد أحصيـــت ... والسيئـات فأى ذلـك أكثـــر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها ، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية، وقتل القرون الخاليه ، وهدم القصور العالية ، عطل عشارهم ، وخرب ديارهم ، وهدم منازلهم ، وقطع آثارهم ، وقطف أعمارهم ، ولم ينفعهم ماجمعوا ، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا قد صاروا فى القبور رميما ، ولقوا من الموت والأهوال أمرا عظيما ، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحدا من المخلوقين ، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين .

حكاية فى الزهد

روى عن عمرو بن مرة أنه قال : ذكر رسول الله ﷺ رجل فأثنوا عليه ، فقال رسول الله ﷺ: « كيف زهده فى الدنيا وتركه لما يشتهى منها ؟ » قالوا: إنه ليصيب منها . قال : « فكيف ذكره للموت ؟ » قالوا: ما سمعناه يكثر ذكره . قال : « ليس صاحبكم هناك » فمن لا يكثر ذكر الموت ، ولا يترك الرغبة فى حطام الدنيا ، فلا خير فيه والله أعلم . وأنشدوا :

إنمـــا الـدنيـا بـــلاغ ... ليـس فـى الـدنيـا ثبـوت
إنمـا الـدنيـا كـبيـــت ... نسـجتـه العنكبـــوت

---

(١) شباكها .

لـيــس للطـالـــب فيـــهـــا كـــل يـــوم غـــيـر قـــوت
كـــل مـــن كـــان عـليـــهـا عـــن قـــليـل ســـيـمـــوت

فالله الله بادروا العمر اليسير ، والأجل القصير ، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب ، ويذب [1] الرقاب ، ويرد كل مخلوق إلى التراب ، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المآب ، ويسوق الفاجر العاصى إلى أليم العذاب، فتفكروا فى الموت يا أهل الفناء والذهاب . وأنشدوا :

هل للفتى من عثار الدهر مـــن واق أم هل له من حمام الموت مـــن راق
قد رجلونى [2] ،ما بالشعر من شعث ولبسونى ثيابا غيـــــر أخـــلاق
وكفنونى وقالوا أيمــــــا رجـل وأدرجونى كأنى طـــــى مخـراق
هون عليك ولا تولع بإشفـــــاق فإنما مالنا للـــــوارث البـــــاقى

عظة ابن مسعود

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عد غدا من أجله ، فربّ مستقبل يوما لايستكمله ، ومؤمل غدا لا يبلغه ، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره . فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها ، وللنجوم قد آن أفولها .

الداء والدواء

روى أن رجلا جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقال : يا أم المؤمنين إن بى داء فهل عندك دواء ؟ قالت : وما داؤك ؟ قال: القسوة ، قال : بئس الداء داؤك ، عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت . فالله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب الرزية ، لا تنسوا الموت الذى كتبه الله على العباد ، مخرب الأقطار والبلاد ، وكونوا منه على حذر واستعداد ، يا أبدان الأسقام ، ويا أعراض الحمام ، وأنشدوا :

مـــن كــان يعلم أن المــوت مدرجــه والقـبـر منـزلـه والبـعـث مخرجـه

---

(١) يقطع . (٢) ترجيل الشعر : تسريحه بالمشط .

وأنه بين حيات ستنهشه — يوم القيامة أو نار تنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج — وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا — لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

عظمة عمر بن عبد العزيز

روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كان يقول : أيها الناس ما الجذع مما لابد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى فيه ، وما الحيلة فيما لا يزول ، وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد الأصل ، فكل ما هو آت قريب ، أيها الناس إنما أنتم فى الدنيا أغراض (١) تتنصل فيكم المنايا ونهب للمصائب ، ومعدن للنوائب ، مع كل أكلة غصص ، ومع كل شربة شرق ، ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر فيكم معمر لا يهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الحتوف (٢) على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن ؟ فالله يا إخوانى لا تركنوا إلى طول الأمل ، ولا تنسوا اقتراب الأجل ، فالموت لابد منه . وأنشدوا :

آه على سفرة بغير إياب — آه من حسرة على الأحباب
آه من سكرة بغير شراب — آه من ركبة بغير ركاب
آه من مضجعى وحيدا وفريدا — بين فرش من الحصى والتراب

يا إخوانى هل رأيتم أحدا خلد فى الدنيا حتى تكونوا مخلدين ؟ ، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ؟ ، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين ، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين . وأنشدوا :

ليس دوام البقاء للخلق — لكن دوام البقاء للخلاق
غلب الموت حيلة كل محتا — ل واعى بدائه كل راق
عطفت شدة الزمان فأدته — إلى فاقة (٣) وضيق خناق

---

(١) الغرض : الهدف يرمى إليه بالسهام (٢) الهلاك (٣) فاقة : حاجة .

القرآن والموت واعظان

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقا وصامتا ، فالناطق القرآن والصامت الموت » مساكين فلا بالقرآن عملتم ، ولا فى الموت تفكرتم ، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ماعندكم من الموت خبر ، ولا أنتم منه على حذر ، قلوبكم خالية من خوف الرحمن ، عامرة بخدوع الشيطان ، كأنكم قد أمنتم الموت وطوارق الحدثان ، وأنشدوا :

ركبت جموح الغى فى سبل الصبا لم تدر أن النائبات تنوب
وجررت أذيال البطالة لا هيا كأنك لم يكتب عليك ذنوب
أمليت كتاب الشمال صحائفا بكثرة ما تأتى ولست تتوب
ومهما يغب عنك الحمام لمدة ستبلغها حتما وأنت كئيب
فقل لى إذا وافى على غير أهبة بأى جواب إن دعيت تجيب

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآبائكم وأحبابكم ، وجيرانكم وإخوانكم ، فإن فى ذلك بلاغا لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون ما تأكلون ، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتا ، وصاروا بين أطباق الثرى خفوتا ، قد قسم الوارث أموالهم ، ونكح العدو والصديق عيالهم ، وأهان العدو أطفالهم ، قد هتكت منهم الأستار ، واستوحشت منهم الديار ، وتحدثت عنهم الأخبار . وأنشدوا :

رأيت الموت لا يبقى خليلا على خل وإن عاش زمانا
فكن منه على حذر فإنى رأيت الموت لا يعطى أمانا
أنسنا غرة منه كأنا بما نعنى به يعنى سوانا
وكم للموت من دار ودار أبان [1] عميرها عنها فبانا
فكم ذى نخوة وعزيز قوم أذل الموت عزته فهانا

---

(١) أبعدَ

كـأنا قــد نظـرنا عــن قــريب إلــى مـاقـد وعـدناه عــيانا

شدة الموت

روى عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال : « هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف » (١) فيا معشر الموقنين بنزوله ما هذه الفترة ، وما هذه السكرة ؟ من ذكر الموت قل فرحه وحسده ورغبته .

روى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف بباب المسجد فأخذ بأعضاد (٢) الباب ثم صاح بأعلا صوته : « يا أيها الناس الموت الموت جاءكم الموت بالوحية (٣) سعادة أو شقوة، جاءكم الموت بما جاء به الروح والراحة ، والكرامة الرابحة ، فى جنة عالية ، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزى والندامة ، والمكرمة الخاسرة فى نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعيهم لها وغبتهم فيها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، فسابق ومسبوق »

فالله الله يا إخوانى كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين . وأنشدوا :

أراك بما ترضى به النفوس والهــــوى ويغضــب منـه الله صـرت تديــن
وقلبك لا يزداد إلا قســـــــاوة فداركـه بالذكرى عسـاه يلــين
فإن كنت فى شك من الموت فاعتبــر بمــن قضـى يزداد منك يقـين
كأنى بك استغرقت فى غمراتـــــه وجـاءك مـن بعد الحراك سكون
وقد حشرجت فى الصدر منك وأسبلت بأدمعـها تجـرى عليك عيــــون
فقل لى إذا وسدت ويحك فى البلـــى وهيـل علـيك الترب كيف تكون

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا مرسلا ورجاله ثقات .

(٢) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل وشماله .

(٣) الوحى : العجل ، السريع

تمنى الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت ، وتأهبوا لأهوال غُصَصِ الموت روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره » [1] فإنا لله وإنا إليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة ، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته ، وما ربحت تجارته . وأنشدوا :

نودى بصوت أيما صوت ... ماأقرب الحى من الموت
كأن أهل الحى فى غيهم ... قد أخذوا أمنا من الموت
كم من صحيح عامر بيته ... لم يمس إلا خارب البيت
كم وكم حى بكى ميتا ... فأصبح الحى مع الميت

دعاء مجرب

اللهم يا أكرم الأكرمين ، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين ، بتوبة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة ، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة ، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصى ، وفى قبضتك القلوب والنواصى ، فطهر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من دنس الحوبة [2] ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ما أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وخير المرسلين ، واحشرنا تحت لوائه أجمعين ، على منهاجه وسنته غير مبدلين ولا مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين ، يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والله أعلم .

---

(١) رواه أحمد والبزار بسند حسن .

(٢) الحوبة : الإثم

المجلس الحادى عشر

فى موت الأنبياء والأولياء الصالحين

وقوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (١)

معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور ، على الملك الغفور ، فاستعدوا لذلك المقام ، واجتنبوا الأوزار والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحِمَام

صفة الموت

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الموت غصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى » (٢) وأنشدوا :

يا مـن سينـأى (٣)مسرعـا	كـما نأى عنـه أبـوه
مـثل بقلبـك قولهـم	جـاء اليقـين فلقنـوه
وتحـللوا مـن ظلمـه	قـ بل الفـراق وودعـوه

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم فى الباطلات ، ولا تفنوا أيامكم فى الجهالات، واذكروا الموت مفرق الأحباب ، وقاطع الأنساب ، ومذب الرقاب ، وقاصم

---

(١) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء : ٣٥ ، العنكبوت : ٥٧

(٢) لم أجده مرفوعا ، وذكره الغزالى فى الإحياء بكتاب ذكر الموت من كلام كعب الأحبار رضى الله عنه

(٣) يبتعد

الجبابرة والأرباب ، مهلك الآباء والأمهات ، وقاتل الإخوة والأخوات ، ومبيد الجيران والقرابات ، الموت يقطع أموالكم ، ويغير أحوالكم ، ويرمل نساءكم ، وييتم أطفالكم ، فلا يبقى منكم خليلا ولا حبيبا ، ولا جاهلا ولا أديبا . وأنشدوا :

الموت أفنى مـن مضـى   والموت يفنـى مـن بقـى
والموت يجمع فـى الثرى   بـين المنعـم والشقـى

يامسكين أنفقت مالك فى بنيان الدور ، وتشييد القصور ، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور ، ثاويا (١) فيها إلى يوم النشور . وأنشدوا :

ألا للخراب بنى العامرونا   وللموت ما ولد الوالدونـا
وعما قليل يرى الآخرون   عجائب ما قد رأى الأولونا
ويشقى أناس بما جمعوا   ويسعد بالقلة الزاهدونـا
ولا يرحمون إذا ما بكـوا   ولا يرتجى الرحمة الظالمونـا
ويسأل قوم هناك الرجوع   فلا يرجعون ولا يكرمونـا

اعلم أن المنية خير من الحياة الدنية ، يا ابن آدم الرقاد والله تحت التراب ، خير لمعصيتك لرب الأرباب .

عظة الموت

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « كفى بالموت واعظا ، وكفى بالعبادة شغلا ، وكفى باليقين غنى » واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبى بعد نبيكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم ، ثم يجمعون فى عرصة القيامة ، لوقوع الحسرة والندامة ، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون ، ويحال بينكم وبين ماتشتهون ، ويحيق بكم ما كنتم به تستهزؤن . وأنشدوا :

كل حـى وإن بقــى   فمـن المـوت يستبقـى
فاعمل اليوم واجتهـد   بـادر اليـوم يـا شقـى

---

(١) يقال ثوى بالمكان إذا أقام به

(٢) رواه الطبرانى وفيه الربيع بن بدر وهو متروك .

أبو العتاهيه الشاعر

ذكر عن أبي العتاهيه رحمه الله أنه دخل يوما على الرشيد فقال له الرشيد : أنشدني ، فقال: اجعل لي الأمان ، قال: أنت آمن، فأنشأ وأنشد :

لا تأمن الموت في طرف [1] ولا نفس — وإن تسترت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة — لكل مدرع منا ومترس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه — وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها — إن السفينة لا تجرى على اليبس

فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يؤاخذ منكم أحدا ، ولا يرحم والدا ولا ولدا، فاجعلوه بين أعينكم منصوبا ، فإنه لا يترك الفرح كئيبا مكروبا ، فيقيننا يقين من يموت ، وأعمالنا أعمال من لا يموت ، كأن يقيننا بالموت مشوبا بالشك ، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجا بالإفك ، ماهذه حال من أيقن بالحمام ، يعصى مولاه في الليالي والأيام ، . وأنشدوا :

نحن من العمر في ظنون — وفي يقين من المنون
ثمت لا نذكر المنايا — أليس ذا غاية الجنون

مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت في المنام رجلا وهو في برية وأمامه غزالة يجرى خلفها وهي تفر منه ، وأسد كأعظم ما يكون خلفه وقد هم أن يلحقه ، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه ، ثم يجرى خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله ، فوقفت الغزالة تنظر إليه وهو مقتول ، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة،فخرج آخر ففعل كذالك،قال:فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة،فقلت: إن هذا لعجب!،

---

(١)طرفة عين

فقال الأسد: م تعجب ؟ وما تدرى من أنا ؟ ومن هذه الغزالة ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا ، وهؤلاء أهلها يجدُّون فى طلبها وأنا أقتلهم واحدا بعد واحد حتى آتى على آخرهم ، فاستيقظ فزعا مرعوبا ، وأنشدوا :

حتى متى وإلى متى نتوانى [1] ؟ وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حثيثا مسرعا إن لم يزرنا بكرة [2] مسانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية وكأنما يعنى بذاك سوانا
غلب اليقين على التشكك فى الردى [3] حتى كأنى قد أراه عيانا
يامن يصير غدا إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخلانا
إن الأماكن فى المعاد عزيزة فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزها قبل الممات ولا تكن مهوانا [4]

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوارٍ والعارية لا تبقى ، يرجع الكل إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين ، فشقى وسعيد ، ومنعم ومعذب . وأنشدوا :

وما أهل الحياة لنا بأهل ولا دار الفناء لنا بدار
وما أموالنا إلا عوار سيأخذها المعير من المعار

ملاقاة الأرواح

روى عن النبى ﷺ أنه قال :« إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب فى الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول : بخير تركته والله على طريقة حسنة . فيقولون : يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه ، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول : قد هلك ، فيقولون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير

(١) نتكاسل (٢) فيالصباح (٣) الردى : الموت . (٤) لا تستهن بالموت .

طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية [1] بئست الأم وبئست المربية » [2]

أعمال الأحياء والأموات

قال رسول الله ﷺ : « تعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا خيرا استبشروا به وقالوا: اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا : اللهم راجع بعبدك » قال رسول الله ﷺ : « فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم » فالله الله عباد الله اجتهدوا فى اكتساب الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات ، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات ، واعملوا فى صحتكم قبل السقم ، وقدموا فى شبابكم قبل الهرم ، فإن الموت إذا جاء لا يرجع، وسهامه إذا فَرّقَهَا لا تدفع ، وكأسه إذا أدراها لا تنزع ، حياضه مورودة ، وساعاته معدودة ، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة . وأنشدوا :

المـوت حـتم حوضـه مـورود	والمـوت يفنـى جميعنا ويبيـد
والموت يحكم فى النفوس بحتفها [1]	ولـه علـى تنفيذ ذاك جـنود
والموت يفسـد مهجة المـلك الذى	قـد عززتـه عساكـر وجـنود
وقلـوبنـا فى كـل ذا مـشغوفـة	حـبا لـدار زهـرها مـعقود
وإلى مـتى تهوى الذى هو هلكـها	وإلـى متـى لا تنثنـى وتـعود

الله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب البلية ، ويا معادن الرزية ، أفيقوا من هذا الوسن، قبل أن تزودوا من أموالكم بحنوط [2] وكفن . إذا تبرأ منكم الحبيب ، وأنكر معرفتكم القريب ، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبى وغريب . وأنشدوا :

المـوت باب وكـل النـاس داخـلـه	فليت شعرى بعـد الباب ما الـدار ؟
الـدار دار نـعيم إن عـملت بـما	يرضى الإلـه وإن خالـفت فالنـار

---

(١) يعنى إلى النار ، وانظر أقوال أئمة التفسير لقوله تعالى ﴿ وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية ﴾

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد بنحوه كما فى الجامع للسيوطى (٧٦)

(٣) الحتف: الهلاك (٤) الحنوط : مايخلط من الطيب لأجساد الموتى خاصة .

يا أخى بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع ؟ فبادر مادمت فى فسحة من العمر ، قبل أن يضيق عليك الأمر ، لو صيح بك الليلة أجب الداعى أما كنت نادما على ما قدمت ؟ وباكيا على ما فرطت ؟ . وأنشدوا :

المـوت بـحر طامح مـوجه	تذهب فيـه حيلة السابـح
يا نفس إنـى قائل فاسمعى	مقالة مـن مشفق ناصـــح
ما يعجب الإنسان فـى قبره	مثل التقـى والعمل الصالح

فالله الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه نزل بكم فأرمل النسوان ، وأيتم الولدان ، وفرق الإخوان ، فوالله يا أيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان ، لو لم يكن ماء ولا ظلال ، ولا جواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولا جحيم ولا عقاب ، لكان فى الموت وسكرته ، والقبر وظلمته ، واللحد وضغطته ، مايمنع العاقل اللبيب ، عن كسب الخطايا والذنوب ، فكيف ومن وراء ذلك هول مهول ، وشرح يطول ، من الصور ونفخته ، والنشور وروعته ، والصراط ورقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه ، فما يكون جوابك أيها المغرور ، إذا وقفت بين يدى العالم الغفور ، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؟ فأظهر لك قبائحك ، ونشر لك فضائحك ، واستشهد عليك جوارحك ، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين ، عفا الله عنا أجمعين ، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين آمين رب العالمين . وأنشدوا :

من كان يرجو أن يعيش فإننى	أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو انها	عرضت لكان سبيله أن يعشقا

قبض أرواح الصالحين

ذكر فى بعض الأخبار عن بعض السلف الأخيار عن النبى المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه – وهو التقى لأنه بالتقوى كرم عليه – دعا بملك الموت فقال : اذهب يا ملك الموت إلى عبدى فلان فأتنى بروحه

ليرتاح عندى ، فحسبى من عمله أنى قد بلوته فى السراء والضراء فوجدته حيث أحب ، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به، ويهبط فى أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك إلا ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولى ، وليس منهم ملك يدرى ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا ومعه ضبائر من الريحان – يعنى حزماً من الريحان – من ريحان الجنة ، فإذا هبطوا أحدقوا بولى الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه ، ونفث فى وجهه سم الموت فصرعه ويقول له : ياولى الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار،وليست لك بوطون ،ولا بد لك يا ولى الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك ، قال :فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكبّ عليه الذين جاؤوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التى أرسلهم الله بها إليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من ضبائر الريحان الذى جاؤوا به ، فإذا خرجت نفسه لفها ملك الموت فى ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشّروه عند جسده عند أهله.

ملائكة الرحمة

فإذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام فى سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج [١] به حتى يضعه بين يدى الجبار تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى – ليس كمثله شيء – لجبريل عليه السلام : اذهب فدع ولى الله فى سدر [٢] مخضود [٣] وطلح [٤] منضود [٥] فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاءوا مع ملك

(١) صعد (٢) السدر : شجرة النبق

(٣) ليس به شوك

(٤) قيل : هو الموز، على المشهور

(٥) متراكم الثمر

الموت فيجلسوا صفين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار ، وإذا أدلى فى قبره وحثى عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاء الصوم فكان عن شماله وجاءه ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكانا عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلسا فيجلس فى ناحية من نواحى قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتى عن يمينه ، فتقول له الصلاة : إليك عنى [1] لا سبيل لك عليه ، إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتى عن شماله فيقول الصيام : إليك عنى لا سبيل لك إليه إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتى عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة : إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، قال : فلما لم ير شيئا انقمع ودخل فى الموضع الذى خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء: أما إذا كفيتمونى عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب .

سؤال الملكين

قال : ثم يخرج الله إليه منكرا ونكيرا وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنيابهما ، ويطآن فى أشعارهما ، كلامهما مثل الرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، وأنفاسهما مثل لهب النار، وألوانهما مثل الليل المظلم ، فيقولان : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : الله ربى ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان له : قد علمنا أنك ستكون مؤمنا ، فيفتحان له باب إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النقمة والعذاب ، قال : فيرفعان ذلك الباب دونه ، ثم يقولان له : لا تخف يا ولى الله من هذا الباب أبدا ، ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ، فينظر ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم ، الذى

---

(١) ابتعد عنى .

لا زوال لـه ولا انقطاع ، فيقولان لـه : يا ولـى الله هـذا دارك وقـرارك ومـنزلك .

نعيم القبر

قال : فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها ويوسعان له قبره مد بصره ، ثم يقولان له : ياولى الله نم، فينام نوم العروس فى حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وحرمه ، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصر على ذنبه إلى هذا الولى الذى صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه ، وأن أعماله الصالحة كانت جنودا حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلا إليه ؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلا إليه ، فلو لم يكن بطاعة الله عاملا ، ولم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلا ، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل ، فالهلاك والحرق له حاصل ، والعذاب والذل إليه واصل ، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ، ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه ، فقد تعرض لهلاكه وعقابه ، لأنه لم يجعل حائلا بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه فى كتابه ، فإنما هو تحذير من عذابه . وأنشدوا :

المـوت أهنأ للمطيع وأصلـح ... والمـوت أطيب للتقى وأنجـح
والمـوت أقرب للجنان طريقـة ... والعبـد يكرمه الإلـه ويمنـح

سليمان وملك الموت

ذكر فى بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه ، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان لم ير سليمان قط أتم خلقا منه ، فقال : يا عبد الله ما أدخلك دارى ؟ قال أدخلنيها ربها ، أدخلنى من هو أملك لها منك ومنى ، فعلم عند ذلك أنه ملائكة الله ، فقال له : مـن أنت من ملائكة ربـى ؟ قـال : أنا مـلك الموت . قـال : فسمعوا مـن كلامه جلبـة فصعق سليمان مـن خوفه ومـن كان معه فـى البيت ، فقال ملك الموت : يارب إن عـبدك

سليمان ونبيك سألك أن تأذن لى بالدخول عليه،وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى، فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلىّ،فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت:أن ضع يدك فى صدر سليمان ففعل،فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى،قال سليمان:يا ملك الموت أترى خلق الله فى السموات والأرض مثلك؟ فقال ملك الموت:يا نبى الله والذى بعثك بالحق إن رجلى الساعة على منكبى ملك،وذلك الملك هو الموت،قد خرق قرناه السموات السبع،وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحا فاه رافعا صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطا يديه،لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش،وأن فوقه مَلَكاً قائما قد أدخل رجليه تحت منكبى هذا الملك،وهذا من فوقه مسيرة ألف عام فاتحا فاه،وأن شفتيه العليا ملتصقة بالعرش،والسفلى تحت الثرى،لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما فى جوفه وأن لله مَلَكاً عنقه مثنى تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلى هذين الملكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه،لوأذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله فى السموات والأرضين فى نفسه سوى العرش،وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل،وأن لله ملكاً باسطاً كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعا صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش،فقال سليمانﷺ:يا ملك الموت أكفف عنى فلقد وصفت أمرا أتخوف أن تطير روحى،ولا تثبت نفسى، ولا أطيق سماعه،فكف ملك الموت،فعندها قال سليمان عليه السلام:يارب متى ألتقى مع الأحبة،يارب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا،فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام . وأنشدوا

الموت مر والعيش هم	فأى هذين لزم
وقد تعجبت إذ هنا لى	عيش وعندى بالموت علم
أنقل رجلى من كل دار	خوف المنايا والأرض سم
والروح مستوفز [1] بجسمى	له على الإنتقال عزم

(١)الوفز والوفزة:العَجلَة

فكأنكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم ، ونغص عليكم شهواتكم، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق ، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق ، ولا أخ شقيق ، ولا والد شفيق .

نداء الموت

روى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال : ما من يوم إلا وملك الموت ينادى يا أهل الدنيا عجلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم ، أتركوا ما جمعتم ، وخربوا مابنيتم ، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة ، زينتم الدور ونسيتم القبور ، أذكروا القبر ووحشته ، والموت وسكرته ، والصراط ودقته ، الموت سكرة فى سكرة ، وحيرة فى حيرة ، وجذبة يا لها من جذبة . فالمسكين يكابد غصص المنون ، داهش العقل [1] كالمحزون . فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم . وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنية ، وحلول الرزية ، ووقوع البلية . حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تزاد ، ولا حياة تعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكثرون عليك البكاء والنواح ، فلا عثرة تقال ، ولا رجعة تنال ٠ وأنشدوا :

ألا إن أيـام الحـياة مراحــــل ... طريق الفتى منها إلى الموت سـائل
يسر بما يمضى لمـا هـو آمــل ... ويأتى الردى دون مـا هـو آمــل
وما يومـه إلا غريـم محكـم ... إذا مـا اقتضاه نفسـه لا يماطل
عجبت لمن يبغى السلامة جاهدا ... ومـــر الليـالى كـلهن غــوائل
ونحن بنو الأيام نظلم نفوســـنا ... ونرجع وهـى القاتـلات الثواكـل
ومن لحظ الدنيا بعين بصـيرة ... رأى عينها فى نفسه وهو شائل [2]

عظة من الغف

أيها الإنسان – وكلنا ذلك الإنسان – استيقظ مـن غفلتك ، وهب مـن رقدتك

---

(١) متحير العقل .   (٢) يقال : شالت نعامتهم إذا ماتوا وتفرقوا .

قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجميع الدواء ، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء ، ثم يقال : فلان قد أوصى وجميع ما له قد أحصى . قد تبرأ من الدنيا وعلائقها ، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها . ثم ضعفّ جنانك ، وثقل لسانك ، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك [1] ، وعظمت كروبك ، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك ،واشتدت الأحزان ، وعلا صرخ النسوان ،وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك : هذا ولدك الصغير وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتها الصغرى ، فلا ترد عليهم جوابا ، ولا يستطيع لسانك خطابا، ثم اشتد بك النزع والسياق ، اذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف ، يجازيك على ماقدمت فى سالف الأيام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام ، وأمر بك إما إلى جنة عالية ذات نعيم وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود ، وزودت من مالك حنوطا وكفنا، ونزلت فى رمسك بعملك مرتهنا ، وانصرف أهلك لقسمة ما خلفت من الأموال ، وما سعيت فيه من الحرام والحلال . وأنشدوا :

أبقيت مالك ميراثا لوارثه ... فليت شعرى ما أبقى لك المال ؟
القوم بعدك فى حال يسرهم ... فكيف بعدهم صارت بك الحال ؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد ... واستحكم القيل فى الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم ... وأدبرت عنك والأيام أحوال

قال رجل من الصالحين : رأيت رجلا قد مات وورائه يختصمون فى ميرائه قبل أن تخرج جنازته ، فقلت هذه الأبيات المتقدمة .

نداء الملك

ذكر فى بعض الأخبار أن تحت العرش ملكا ينادى كل يوم وليلة : الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا ، وأكرموها قبل أن لا تكرموا . واذكروا الموت وما بعده من عظيم الأهوال ، واستعدوا له بذخائر الأعمال . وأنشدوا :

---

(١) الخطب : الأمر الشديد العظيم .

أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاتبه ... وأعتب دنياه على من يثالبه
ونحن نرجي الخلد فى غير دارنا ... وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنية منهل ... نسير إليه والليالى ركائبه
كفى سالبا للمرء يوم وليلة ... ومن يلبس الأيام فهى سوالبه
فلا تأمن الدهر الخئون فإنما ... هو اليوم سلم ثم حرب عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثا ، وأنما خلقكم لتعبدوه وتوحدوه ، وليميتكم ويبعثكم بعد الموت ، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته، وما خلق الدنيا إلا للزوال ، وجعلها دار ابتلاء واختبار ، وسجنا لأوليائه ، وجنة لأعدائه ، فراحة الأولياء الموت ، وعذاب أعدائه الموت ، لأن الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم ، والعيش المقيم ،والأعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الأليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور. وأنشدوا :

ومنتظر للموت فى كل ساعة ... يشيد ويبنى دائما ويحصن
له حين تبلوه حقيقة موقن ... وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان كإنكار وكالجهل علمه ... بمذهبه فى كل ما يتيقن

حكاية واعظ

ذكر أن شيخا من تيماء كان يجلس إليه أصحابه ، فإذا كان عند قيامهم عنه قال: قوموا قيام من قد يئسوا من المعاودة حذرا من القاطف للنفس ملك الموت ، ثم يبكى ويبكوا حوله . وأنشدوا :

وكن مستعدا لداعى المنون ... فكل الذى هو آت قريب
وقلبك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟
إن من الشعر لحكمة !!

خشية عيسى من الموت

روى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده مـاءً

من خوف هوله ! . يا أخى يا غافل مثلى يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟! فالله الله يا إخوانى لا تغتروا بصحة الأجسام ، ومداومة الأيام ، فإن الموت يأتى فى ألهى ما أنت عليه فى الدنيا وألذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمنا ... أتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة ... فرارا ولا منه بحيلته امتنع
وقرب من قبر فصار مقيله ... وفارق من قد كان بالأمس قدجمع
فلا يترك الموت الغنى لماله ... ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

حديث فى ملك الموت

روى عن النبى ﷺ أنه قال « إن ملك الموت ينظر لوجه العباد فى كل يوم سبعين مرة ، فإذا ضحك العبد الذى بعث لقبض روحه يقول له : يا عجبا لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك » (١) فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه ، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين ، وهو يضحك ويلهو . وأنشدوا :

ضحك الفتى من عجيب جهاله ... والموت يطلبه حثيثا مسرعا
والموت لا يدع الجهول لضحكه ... إلا رماه بسهمه فتفجعا
فتفلقت أوصاله لنزوله ... وتفتت العظم الصليب توجعا
وبكى لفرقة ماله وعياله ... ومضى إلى دار البلى متضرعا

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل ، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل ، فإن للموت غاد ورائح ، وماس وصابح ، وأنت يا أخى منه على يقين وتحقيق، فلم تحد (٢) عن منهاج الطريق ؟

---

(١) أخرجه ابن النجار عن أبى هدبة عن أنس (٢) حاد عن الطريق : انحرف ومال عنه

نداء الموت

ذكر فى بعض الأخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل : أين لسانك الفصيح ما أسكتك ؟ ، أين صوتك الشجى ما أخرسك ؟ أين ريحك العطر ما أنتنك ؟ أين حركاتك ما أسكنك ؟ ، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟ الويل لك إن كنت عاصيا ، والبشرى لك إن كنت طائعا ، وتناديه الملائكة إذا وضع فى القبر : يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك (1) خلقت من التراب ، وأعدت للتراب . وأنشدوا :

خلقت من التراب بغير ذنب ... وعدت إلى التراب ولى ذنوب
فمالى لا أجاهد فى خلاصى ... بعزم للمعاصى لا أتوب ؟
ومالى أثقلت ظهرى ذنوب ... ومنها لا أمل ولا أنيب ؟
وملى لا أرق لسوء حالى ... ومن نفسى على غدا رقيب ؟
ومالى مبعد مُقصى طريد ... وفى كل القبائح لى ضروب ؟
وكم بالبر تسويفى ومطلى ... ولا أدرى متى تأتى شعوب؟ (2)
فيا من ليس لى رب سواه ... عليم بالذى أدعو يجيب
تجاوز يا إلهى عن ضعيف ... بغفران لعلى عسى أتوب
وهب لى ذلتى وعظيم جرمى ... فأنت الواحد الفرد القريب

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت ، وتفكروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف ، والندامة على ماقد سلف ، إلا أن تنزل به المنية ، غدوة أو عشية ، فعظ نفسك قبل حلول الرزية. وقيل فى قول الله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب﴾ (3) قيل الأجل القريب عند كشف الغطاء ، يقول العبد عند الموت : يا ملك الموت أخرنى يوما أعمل فيه صالحا لنفسى ، فيقول ملك الموت : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول : أخرنى ساعة ، فيقول : فنيت الساعات فلا ساعة ، فيقول : اتركنى أتكلم

---

(1) العفص : الثنى ، والمعنى أنها قهرته رغما عنه (2) الشعوب : الموت . (3) المنافقون : ١٠

فيقول : فرغ كلامك فلا كلام . فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال ، ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره، فإذا كان فى آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله ، كقوله عـز وجل : ﴿ فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ (١) فالله الله بادروا قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل من صالح العمل ، وفراغ الأنفاس ، وورود الأرماس ولا ينفعك حبيب ولا حميم ، ولا ولد ولا والد رحيم ، قد أحاطت بك الخطوب ، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك ، ونكح العدو أو الصديق عيالك . وأنشدوا :

أرى الأزواج تنكح إن هلكت ... ويقسم وارثى ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل ... إذا انقطع الرجا منى ومت
وينسانى الصديق فما يبالى ... أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بى رجال من سفاه ... وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل إلا على ما ... من الأعمال فى الدنيا عملت
فياذا العرش عفوا عن ذنوبى ... وعن زللى وما كنت اجترمت
وشفع فى نبيك حين أدعى ... غداة العرض إن تفعل نجوت

روى عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما رؤى ضاحكا مستبشرا حتى قبضه الله تعالى .

٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر فى بعض الأخبار أن الله تعالى خلق فى الأرض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة ، فجعل فى البحر ثمانية آلاف قبيلة ، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الريح ، ليس منها دابة صغرت أو كبرت فى الأرض أو بين السماء

---

(١) المنافقون : ١٠

والأرض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى ، فملك يهيء لها رزقها بإذن الله ويسوقها إليه ، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة ، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها ، فسبحان من له الملك والتدبير .

عباد الله : فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم ، فإن الموت يطلبكم بالليل والنهار ، والعشى والإبكار ، فاجتهدوا فى الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات . قبل نزول الموت والندم ، فالموت لا يترك ملكا ولا أميرا ، ولا حاجبا ولا وزيرا . وأنشدوا :

قد صرف البواب والحاجب ... وقهرمان [١] الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم ... بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهد[٢] من بعده ... إلفا سواه وكذا الكاعب [٣]
وجد فى تفريق ما لم يزل ... يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة ... يا زاهدا فيها ويا راغب
فإنها أم لأبنائها ... منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين

ذكر فى بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفا على نفسه فدعى لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته ، ثم حضرها فعوتب فى ذلك فقال : لقد استحييت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه . يا مسكين مثلى اعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار . فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه . وأنشدوا :

---

(١) القهرمان : كلمة فارسية ، وهو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه.

(٢) نهد الثدى إذا ارتفع عن الصدر وصار له حجم .

(٣) كعبت الجارية : نهد ثديها .

أفى كـل يـوم للمنيـــة أقـرب وكل الذى آتيه يحصى ويكتب
فيا سـوأتا قـد آن وقـت ترحلـى وها أنا فى الميدان ألهو وألعـــب
فإن لم تجد بالعفو منك عن الذى جنتـه يـدى إنـى إذا لخيـــب

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفا على نفسه ما ترك ذنبا إلا ارتكبه ، ولا شرا إلا اكتسبه ، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال : إنه قد نزل بى ماترى فإذا مت فادفنى فى زاوية من زوايا بيتى ، فقد أذيت جيرانى فى حياتى ، وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتى . فرؤى بعد موته فى المنام فى حالة حسنة ، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : يا عبدى هجروك جيرانك حنقا [1] عليك ، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك ، فوعزتى وجلالى وجودى ومجدى وارتفاعى فوق علو مكانى ما ضاقت رحمتى عنك ، عبدى هذه خلع مغفرتـى ، ومنازل جنتـى ، وخاتم أمانـى ، وسجل إحسانى ، وأنا الغفـور الرحيـم .

حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله : قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين . فالله الله يا أهل الذنوب مثلى بادروا قبل نزول السكرات ، ووقوع الحسرات، واجتهدوا فإن الموت آت ، وكل آت فهو قريب ، قد آن وكلما آن فقد حان . وأنشدوا :

أآمـــل أن أخـلـد والمنـــايا يثبن إلـىّ مـن كـل النواحى
ولا أدرى إذا أمـسيت حـيا لعلـى لا أعيـش إلـى الصباح

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها ، وساعاتكم مناهل تردونها ، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار ولا يؤخر من فقدت ساعته ، وفرغت أيامه وأوقاته .

حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عـن بعض السادة الأخيار أنه قال : خرجت يـوما لزيارة القبور فإذا بقوم

(١) الحنق : شدة الغيظ .

يحملون جنازة ، فتقدمت إليها وصليت بهم ، ثم شهدت دفنها فنعست نعسة فأتانى آت فقال لى : قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه ، فانتبهت مرعوبا فأخبرت بذلك أم الميت ، فقالت : الحمدلله رب العالمين ، والله لقد كان مسرفا على نفسه ، فلما نزل به الموت بكى وقال لى : يا أماه ضعى خدى فى الأرض والتراب ، ففعلت ذلك ، فقال : ضعى قدمك على خدى ، وادعى الله واستوهبينى منه فلعله يرحمنى ، واقلعى فص خاتمى وتصدقى بثمنه فعسى الله يرحمنى ، فقلت لها : قد غفر الله ورحمه ، ثم أخبرتها بالذى رأيت . فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم ، فعساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم ، فذلك عليه يسير ، وهو على كل شيء قدير . وأنشدوا :

رأيت المرء تأكله الليالى ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
ولا تجد المنية حين تأتى ... على نفس ابن آدم من مزيد
فلا تغفل – فديتك – عن منون ... تدور رحاه بالهول الشديد

فكأنكم بالأعمال قد انقضت ، وبالدنيا قد مضت ، فاستعدوا بذخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال ، وقد نودى فيكم بالتحويل ، وقد قرب منكم الرحيل .

شاب عاص غفر له

حكى عن بعض الخائفين أنه قال : كان فى جوارى شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة ما رأيته صاحيا من السكر قط ، وعهدى به البارحة وقد رفع صوته على أمه فى ساعتى هذه . فأخبرتنى أنه أصبح ميتا من غير علة ولا مرض ، وسألتنى فى كفنه ، فزجرتها وقلت : الحمد لله الذ أراحنا منه ، فمضت مدحورة فرق لها قلبى وقلت : إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد ﷺ ، فبعثت من ساعتى فى طلبها ، وعزيتها وصبرتها ، واشتريت لها كفنا ، وحضرت جنازته ، فعرفنى بعض أصحابنا أنه رآه فى المنام وأنه سأله ما فعل الله به فقال : قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتى الحمام ، فرأيت شخصا ميتا مقعدا ، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال : غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لى وأنا فى الجنة مع التعلق بالسنة ، غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا مسلمين ،

وختم لنا بخواتم الصالحين ، إنه على ذلك قدير . وأنشدوا :

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل ... والخمر يجرى رحيقا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرا فى مغانيها
أحمد دلالها والرب بائعها ... وجبريل ينادى فى نواحيها
من يشترى الدار فى الفردوس يغمرها ... بركعة فى ظلام الليل يحيها
أين الملوك التى عن حظها غفلت ... حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذى عمر ... كذلك الموت يفنى كل من فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها ... والناس فى غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ... ما طاب عيش لها يوما ويلهيها
تلهو وتأمل آمالا تسر بها ... شريعة الموت تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفس بما رزقت ... من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيمانا مكررة ... ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن فى صخرة صما ململمة (١) ... فى البحر راسية ملس نواحيها
رزقا لعبد يراه الله لا نفلت ... حتى تؤدى إليه كل مافيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها ... لسهل الله فى المرقى مراقيها
حتى ينال الذى فى اللوح خط له ... فإن أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازل فى الآفاق خاوية ... أضحت خرابا وذاق الموت بانيها

عظة للاستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل ، إلى الوقوف بين يدى الملك الجليل ، فأنفاسكم

(١) حجر ململم : صلب مستدير .

معدودة عليكم ، وملك الموت قاصد إليكم ، يركبكم بكلكله (١) ، ولا بد لكم من منهله . يقطع آثاركم ، ويخرب دياركم . فرحم الله عبدا نظر لنفسه ، وقدم لغده من أمسه ، قبل حلوله فى رمسه . وعمل فى العمر اليسر ، لليوم العبوس القمطرير ، وسأل المغفرة من السميع البصير ، الذى هو على كل شيء قدير ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

الموت ينتقى الخيار

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتى كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق » (٢) فإنا لله وإنا إليه راجعون الذى ذهب عنا الأخيار وبقينا فى غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا أحد منا يقطع عن عصيانه . ما هذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة الموقنين ، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين .

عمل الملكين

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا : ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل : سمائى مملوءة بملائكتى يسبحونى ، فيقولان : فأذن لنا أن نسكن الأرض ، فيقول عز وجل : أرضى مملوءة من خلقى ، فيقولان : يا ربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل : قوما عند قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وهللانى واكتبا ثواب ذلك لعبدى إلى يوم القيامة » فالحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلا ، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات . وأنشدوا :

على كل حال وشر يكون   فقد مات مثلك فى مثلها

---

(١) الكلكل : الصدر

(٢) أخرجه الرامهرمزى فى الأمثال عن أبى هريرة،وفيه يحيى بن عبيد الله بن موهب ليس بثقة.

فمـا لك تلعـب بالترهـات وتخدع نفسك من عقلـها
من الرشد فـى برها بالعـقوق وترضى بذلك مـن جهلـها
وأنت تخالف فـيها العـذول وتطوى لسانك عـن عذلـها
ودولـة ذى العـز مقطوعـة وأنـت تغفـل عـن عذلـها

إلى متى هذا الصدود ، عن طاعة الملك المعبود ، والغفلة عن بحر الموت المورود ، فارحموا أنفسكم قبل التلف ، وابكوا عليها قبل الأسف ، فإن السفر بعيد ، وهول المطلع فظيع شديد ، والزاد قليل، والهم والحزن طويل ، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل، يا أخى لكل حى قوت ، وأنت يا مسكين قوت الموت ، فاعمل للموت قبل الفوت . وأنشدوا :

أرانـى فـى انتقاص كل يـوم ولا يبقى على النقصان شئ
طوى العصران ما نشراه منـى فأتلـف جثتـى نـشر وطـىّ
فإن أك قـد فنيت ومات بعضى فإن الحرص باق فـىّ حـىّ
وطيـر المـوت حائمة لقتـلـى مـدلاة علـى وفـى عـىّ

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من أكثر الفكرة فى الموت هون الله عليه سكراته ، وجعله منه على حذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد » فالله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون ، فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبدا ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا . فتفرغ يامسكين فى اليسير من الأيام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

المبادرة بالتوبة

روى عن النبى ﷺ أنه قـال « أيهـا الناس بادروا بالتـوبة قـبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه »..

السنى والزنديق

ذكر فى بعض الحكايات أن رجلا من أهل السنة لقى رجلا زنديقا قد نحل جسمه وتغير لونـه وأذابه الخوف ، وكان السنى قويا سمينا ، فقال له الزنديق : يا هـذا

صف لى بعض ما تعتقده ؟ فقال : أعتقد الموت وغصصه ، وسكراته وأهواله . فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشيا عليه ، فمكث ما شاء الله ، ثم أفاق فقال له : زدنى ، فقال : ثم من بعد الموت القبر وظلمته ، واللحد وضجعته ، ومنكرا ونكيرا ؟قال: وما منكر ونكير ؟ فقال : ملكان أسودان أزرقان يطآن فى شعورهما ، ويحفران الأرض بأنيابهما ، وبيد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد فى قبره ، قال : وثم ما بعد ذلك ؟ قال : هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط ، قال : وما الصراط ؟ قال : هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة ، وأحد من السيف ، وأحر من الجمر ، عليه حسك وكلاليب ، قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية ، ولو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنها وهوامها ودوابها من حر نفسه ، قال له: وما الزبانية ؟وما جهنم ؟ قال: الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب ، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة ، السنة أربعة آلاف شهر ، الشهر أربعة آلاف يوم ، اليوم أربعة آلاف ساعة ، الساعة أربعة آلاف نظرة ، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا . هى سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه ، قال له الزنديق : لقد عجبت من قلة عقلك ، هذا كله تعتقده وأنت سمين !! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذى ذكرته إلا بالموت وحده وقد طال حزنى وذاب جسمى ، وإنما أنت من عدد الأنعام التى لا تعقل . فالله الله إخوانى اشكروا الله على مابه أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلى جميع خلقه محمداً ﷺ ، وأخرجكم به من الضلالة ، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ، ثم أتحفكم بطيبات رزقه ، وفضلكم على كثير من خلقه ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه ، فإن الموت لا بد منه ، وقد وعظكم الله .

وقال رسول الله ﷺ : « كفى بالموت واعظا » [1] فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه ، فإنه لا يدرى متى يقدم عليه وأنشدوا :

وللمــوت سلطان عليك مــسلط إذا حم لم يصــرف بنهى ولا أمــر

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى عن عمار بن ياسر ، وإسناده ضعيف

ودارك إمـا شـقوة أو سعـــــادة   ومالك من باب إليها سـوى القبـــر
كفـى عظة بالمـوت إن ركـــابه   على سفر يهوى إلى حيث لا يدرى

رفق ملك الموت بالمؤمنين

روى أن النبى ﷺ كان جالسا عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له : « يا ملك الموت ارفق بصاحبى » فقال له : يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق [(١)] . فالله الله لا تغفلوا عمن ليس يغفل عنكم ، ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم ، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال ، وهدانا وإياكم لصالح الأعمال ، إنه الجواد الكريم المفضال .

(١) رواه الطبرانى فى الكبير مطولا وفيه عمر بن شمر الجعفى والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمهما وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلى قوله«أنا بكل مؤمن رفيق»(قاله الهيثمى)

المجلس الثانى عشر
فى ذكر القبور

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ (١) السورة مكية ، التكاثر : يعنى فى الدنيا . روت زينب بنت جحش عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا قرأ قارىء ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ يدعى فى ملكوت السموات والأرض بمؤدى الشكر لله »

حكاية فى الخوف من الله

روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رجل باليمن يقال له يعلى ، وكان مشركا ليس له من الدنيا إلا قطيفة توارى عورته ، ويأوى بالنهار إلى ظل شجرة ، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب ، فسمع بخروج النبى ﷺ فأقبل إلى النبى ﷺ وكان شابا ، ترفعه أرض وتضعه أخرى ، حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة (٢) يطعم القبضة من العجوة والكسرة من خبز الشعير،وكان لا يفارق مجلس النبى ﷺ حتى تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبى ﷺ يقول « لا فاقة بعد القرآن ،ولا غنى بعد النار » (٣) فقال: يارسول الله زوجنى، قال: « أعندك مال ؟ ! » قال : عندى أربع سور من القرآن ، ومن كان عنده الوحى وكلام الله فهو غنى ، قال النبى ﷺ : « صدقت ، فانطلق إلى بنى سلمة – حى من الأنصار –

---

(١) التكاثر : ١ – ٢ (٢) هم قوم من الفقراء المسلمين أقاموا فى صفه (خيمة) بمسجد رسول الله ﷺ
(٣) أخرجه ابن شيبة عن الحسين مرسلا .

واستخار الله فأول جارية تستقبلك فهى زوجتك » فانطلق الشاب لا يدرى إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة ، فقال : يا جارية أى حى هذا ؟ قالت : بنو سلمة ، قال الشاب : الله أكبر ! أنت امرأتى تعالى ، قالت : ما أسفهك ! قال : لست بسفيه، ولكن أمرنى بذلك رسول الله ﷺ قالت الجارية : إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، ولكن حتى أسمع منه ، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبى ﷺ فإذا أبوها وأخوها ، فقالا : أين تذهبين ؟ فقالت : إن الشاب تعلق بى ، وزعم أنى امرأته ، فأنكرت ذلك عليه ، فقال : كذا أمرنى رسول الله ﷺ فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه ، فقالا : سمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعا حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال : يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتى ، فقال النبى ﷺ: « نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته » قال : قد فعلت ، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبى ﷺ وأصحابه ، فقال النبى ﷺ : « لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان » فقال : يارسول الله قد جعلت أوقيتى لها أيضا ، فقال النبى ﷺ للشيخ والدها : « جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا » قال الشيخ : سمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله ، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش ، وإلى بساط ممدود ، وإلى زوجة جالسة ، وإلى سراج يزهر ، وإلى طعام قد هيء له ، فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان فى مجلسه فصلى فيه ركعتين شكرا لله عز وجل لما رأى ، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته ، ثم جعل يقوم خلال ذلك فيصلى ركعتين ، ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء والآخرة ثم رجع إلى منزله ، فلما عاين أهله وما هيء له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته فى الليلة الأولى ، وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين ، حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك ، حتى تمت له ثلاث ليال فجاء الشيخ فى اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه ! ، فقالت : لا أدرى مازوجى ما يعرف غير الصلاة ، وهو الليل كله يحمد الله

ويثنى عليه ويصلى ، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ : « مامنعك من أهلك ! » فقال : يا رسول الله تذكرت شأنى وكنت مشركا باليمن لم يكن لى مأوى إلا جحر كجحر الكلب آوى إليه الليل ، والنهار أتبع ظلال الشجر والحيطان حين أخرج من جحرى ، فهدانى الله للإسلام وعلمنى أربع سور من القرآن ، فشرح الله صدرى بها ، ونور بها قلبى ، فلما زوجتنى هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشا قط منذ كنت ، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لى سراج قط ، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سورى الأربع فزهدنى الله فيها وما عندها ، فقال النبى ﷺ : « وأى سورة هى ؟ » قال ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف ﴾ (١) ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما هدأوا قال الشاب : يارسول الله خصنى منك بدعوة ، فقال : « اللهم اغفر له الكثير ، واشكره على اليسير ، واغنه برحمتك » فلم تأت عليه جمعة حتى قيل للنبى ﷺ : إن الشاب قد مات ، فقال النبى ﷺ : « لا إله إلا الله ، إذا فرغتم من غسله أخبرونى » فأخبروه ﷺ فقال : « هنيئا لك بالجنة » ، ثم سأل زوجته هل نال منها شيئا ، قالت: لا والذى بعثك بالحق نبيا ما نال منى شيئا .

حكايات عن الصالحين فى الخشية من الله

قال ميمون بن مهران : دخلت على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ (٢) فقال : إنما يزورون المقابر بالموت ، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار .

وقال زر بن حبيش عن على رضى الله عنه قال: كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ يقول : شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته ، واللهو : ماشغل ، وأكثر ما يقال فى البطالة . ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ بيوتكم . ويقال : إن حيين من قريش تفاخرا وتعاددا بالأموات كان منا فلان وكان منا فلان ، ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ (٣) يقول : سوف تعلمون إذا متم ﴿ ثم كلا ﴾ يقول :

---

(١) التكاثر : ١ - ٣ . (٢) التكاثر : ١ - ٢ (٣) التكاثر : ٣

﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ (١) فى قبوركم ، وهووعيد مع وعيد ، فمعنى الأول غير معنى الثانى ، وليس ذلك بتكرير . قال الفراء : والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف ، فهذا من ذلك . ثم قال : ﴿ كلا ﴾ أى كلا لا يؤمنون بالوعيد ، ثم استأنف وقال : ﴿ لو تعلمون علم اليقين ﴾ (٢) يقول محض اليقين ، وهو الذى لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة كقوله ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ (٣) فالتكرار فى قوله تعالى ﴿ لترون الجحيم ﴾ (٤) فى القيامة إذا برزت ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ (٥) إذا دخلتموها. قال الفراء: هذا تكرار التغليظ ويقال﴿ لترون الجحيم ﴾ أى لترونها رؤية علم ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ بالمشاهدة ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ (٦) يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم ، فزعم قوم أن الآية فى الكفار ، وقال آخرون : بل هى على العموم فى المؤمنين .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « نعمتان مغبون (٧) فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ » (٨) .

روى أبو هريرة عن النبى ﷺ « أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد » (٩)

وعن محمود بن لبيد قال : لما نزلت ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ : أى نعيم !! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا . قال : « أما إنه سيكون » (١٠) ابن مسعود وقتاده وسعيد قالوا : الأمن والصحة . مجاهد قال : الخبز والماء والملح . إبراهيم النخعى : من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره . الحسن قال : كانوا يعدون من

---

(١) التكاثر : ٤ (٢) التكاثر : ٥ (٣) النازعات : ٣٦

(٤) التكاثر : ٦ (٥) التكاثر : (٧) (٦) التكاثر : (٨)

(٧) مقصرون فى شكر هاتين النعمتين .

(٨) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد عن ابن عباس .

(٩) رواه الترمذى وقال : غريب ، وابن حبان . (١٠) رواه أحمد .

النعيم في الدنيا أن يتغذى الرجل ويتعشى . على رضي الله عنه: النعيم الرطب والماء البارد . أبو أمامة قال: النعيم خبز البر والماء العذب... وقال النبي ﷺ : « طيب النفس من النعيم ».. أبو الدرداء رضى الله عنه قال : النعيم الشعير والماء العذب . محمد بن على قال : النعيم العافية . وقال أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ : مر بنا رسول الله ﷺ ليلا فدعاني فخرجت إليه ، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر رضى الله عنه فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق بنا رسول الله ﷺ حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحبه أطعمنا بسراً [1] فجاء بعذق [2] فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال : « لتسألن عن هذا يوم القيامة » فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر ، وقال له يا رسول الله إنا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك ، وخرقة تلف بها عورتك وجحر تدخل فيه من القر والحر » [3] ..على بن أبى طلحه عن ابن عباس قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [4] قال الله تعالى ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قيل معناها ألهاكم التكاثر فى الدنيا بجمع الحطام ، واكتساب الآثام ، والتمادى فى الإجرام . وأنشدوا :

أرضيت دارا لا بقاء لها ... تعد الشرور وتنصب الفتنا
ما يستقيم سرور صاحبها ... حتى يعود سروره حزنا
عجبا لها لا بل لموطنها ... المغرور حين يعدها وطنا
فالحمد لله اللطيف بنا ... ستر القبيح وأظهر الحسنا
ما تنقضى عنا له منن ... حتى يجدد بعدها مننا

يا أخى اشتغلت باللذات ، وأفنيت عمرك بالترهات ، وعصيت إله الأرض والسموات، ونسيت بيوت الوحشة والحسرات . فيا له من بيت ما أظلمه ، ومن صندوق ما أغمه . منزل الوحشة ، وبيت الغمة والوحدة . وأنشدوا :

---

(١) البُسر: البلح قبل أن يرطب (٢) العذق : قنو النخل (العرجون) . (٣) رواه أحمد (٤) الإسراء: ٣٦

وربـما عوقـص ذو صـحـة　　أصـح ما كان ولـم يـسقم
يا وضـعا للمـيت فـى قـبره .　　خـاطبك القـبر ولم تفهم

حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة ، ومنازل الضيق والغمة فى ضيق وكربات ، وغم وحسرات ، وأهوال مقطعات . من ظلمات القبور ، وسؤال منكر ونكير ، والخلود فى البرزخ إلى يوم النشور ، فانظر لنفسك أيها المغرور ، فإن القبر لـه شـأن يتلـوه شئـون. وأنشدوا :

لا تغرنك الحياة الدنيا وقـــدم　　واحذر القـبر إن للـقبر شـانا
إن فيـه لمـا يحـاذر ذو اللـــب　　إذا كلـن ذا تـقـى ومعـانا
إننـى موقـن بمـا فى كتابـى　　عـاجلا تكسـونى الأكـفان
فإذا ماوضعت فى ظلمة اللـحد　　وبـدلت مـن مـكان مكـانا
وإذا لـم يدركنـى ربـى بعـــفو　　ألـق فـــى القـبر ذلـة وهوانا

صفة القبر

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ألا وإنه ليتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود »(1) الله الله ياإخوانى اعملوا لهذا الضيق ، وجدوا فى العمل باجتهاد وتحقيق . وأنشدوا :

كأنى بإخوانى علـى حافة القـبر　　يهيلونه فوقـى وأدمعهـم تجـرى
عفى الله عنـى حين أتـرك ثـاويا　　أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة ، واعملوا ليوم النقلة ، واستعدوا لظلمة القبر مادمتم فى فسحة ومهله ، ولا تقطعوا أيامكم بالمحال ، وجنبوا أعماركم سوء الفعال ، فإن الموت نازل بكم ، والقبر أمامكم . وأنشدوا :

إنـى أبـثـك مـن حـديثـى　　والحـديث لـه شـجـون
ضـيعت مـوضـع مضجعـى　　وقـتا ففـار قنـى السـكون

---

(1) أخرجه الترمذى عن أبى سعيد وقال : غريب وضعفه العراقى فى تخريج الإحياء

قـــل لـــى فأول ليلــــــة   فى القبر كيف ترى أكون ؟!

أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتى على الميت فى قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه ، فمن تفقد ميته فى أول ليلة بشىء من الصدقة ، وإلا فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميته ما يجد من الغم والوحشة ، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها . وأنشدوا :

بالله يـا عــين بوحـــى   وابكى علـــى ونوحـــى
غـــدا أوســـد قبـــرى   غـــدا أزور ضـريحـــى
غـــدا نـزوح [1] الأحبـة   وتمـنعـــى أن تـروحـــى

ذكر أن المـيت إذا وضع فــى قبــره وقال المشيعون : إنصرفوا آجركم الله يقــول الميت – إن كان من أهل الشقاء – يا ليتنى مع من انصرف لعظم ما يعاين من الهول المطلع . يا أحبابى فإذا كان لأحدكم بيت ولـم يبسط فيه على مايجلس جلس علـى التراب والأرض ، كذلك من لم يقدم لقبره عملا صالحا لنفسه بقى مستوحشا وحيدا فريدا فى رمسه . وأنشدوا :

أنـا فـــى القـــبر رهــين   قـــد تبـرأ الأهل منـــى
أسـلمونـــى بذنوبـــــى   حيث أن لم يعفوا عنـى
فارحـم الـيـوم مـشيبـــى   وارحـم اللهـم سنـــى
وارحـم اللهـــم ضـعفـى   لا تخيـب الـيوم ظنـــى

عظة للنبى ﷺ

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :كان النبى ﷺ يعظنا أحيانا فيقول « تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادى كل يـوم سبع مرات فيقول : يا ابـن آدم الضعيف ارحـم نفسـك فـى حياتـك قبـل أن تلقانـى ، فإنـك إذا لقيتنـى وكنـت عامـلا

---

(١) نزح عن المكان : غادره

بطاعة مولاك رحمتك ورأيت منى السرور ، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك ، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة ، وأنا بيت الضيق مع العقارب يا ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فإن ممرك عليّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة ، فإن نجوت منى نجوت من كل شدة تتخوف منها ، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شابا لشبابه ، ولا صغيرا لصغره ، ولا كهلا ولا شيخا لكبره ، ولا أرحم إلا من رحم نفسه » (١) . وأنشدوا :

عجبت لمن يتم له السرور ... بدار كل ما فيها غرور
وكيف يلذ ساكنها بعيش ... ويعلم أن مسكنه القبور

يا ابن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك ، ولبان خشوعك ، وثارت دموعك ، خوفا من القبر ووحشته ، ومن اللحد وضغطته ، ومن هول المطلع وروعته . فمهد لنفسك يا مسكين بينما أنت حى وبينما يقبل منك شى قبل طى الكتاب ، وغلق الباب ، ونزول الحجاب ، والرحيل إلى التراب . وأنشدوا :

لا تأمن وإن أمسيت فى حرم ... إنا المنايا تفاجىء كل إنسان
واسلك طريقك واثبت غير منحرف ... حتى تلاقى الجزا من عند رحمن
فكل خل وإن أشفقت تتركه ... وكل مال وإن أكثرته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان

ففكروا رحمكم الله فى أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وأخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب ، وذوى المودة والأجانب . قد استوحشت من أنفسكم الديار ، وانقطعت بينهم الآثار ، وبقوا رهنا فى الأجداث (٢) بالأوزار . قد هجرهم الحبيب وسلا عنهم القريب ، وقد ضيقت عليهم اللحود ، وسالت عيونهم على الخدود ، وتمزقت عنهم الجلود ، ودبت فى أجسادهم الهوام والدود ، وبقيت أرواحهم فى البرزخ (٣) إلى اليوم الهائل الموعود . لم ينفعهم

(١) أخرجه الديلمى مختصرا عن ابن عباس

(٢) القبور . (٣) البرزخ : الفاصل بين شيئين ، وهو هنا الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة

ما جمعوا ، ولا حصنهم ما بنوا وشيدوا ، ولا منعهم كل ما صنعوا . صارت القبور لهم قرارا وفرت الأحباب عنهم فرارا . فانتبهوا يا معشر الإخوان ، واجتهدوا فى طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان . وأنشدوا :

هى الأحداث تطرق أو تعاد ... وكل للمنية فى مهاد
وما يبقى الحمام إذا يوافى ... شديد البطش جبار القياد
فكم أسرى إلى ليث هصور [1] ... وجبار من الأجناد عاد
فقل لأخى السلامة عش مليا ... فإن الكون داعية الفساد
وكن فى العمر لقمان بن عاد ... وهاك حمام لقمان بن عاد
فإن المرء فى أيدى المنايا ... أسير ما له منهن فاد

العبرة بالقبور

يا أخى إذا أردت أن تدرى كيف حالك من بعدك فاخرج إلى القبور وانظرها وقد عفت ، ومثل قبرك بين القبور.ثم انظر ماذا تحتاج إليه فى قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح،فأما ما سوى ذلك فما لك حاجة فى شىء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالا فى قبرك وحسرة،وانظر حالك الذى أنت عليه،إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه ، وإن كان لا يصلح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وارجع إلى ما يصلح . وأنشدوا :

كم تناسى القبور يا مغرور ... حفر ما بها لعاص سرور
وتعامى عنها وأنت تراها ... ورحاها على الأنام تدور
فاتق الله حق تقواه واحذر ... كل هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل ... للتى عاجلا إليها تصير
تلك دار البقاء فكل تقى ... فى رباها مكرم محبور
ولعاص مصر إن لم تنله ... رحمة الله مبعد مثبور [2]

---

(١) ليث : أسد ، هصور : شديد . (٢) مثبور : من الثبور وهو الهلاك .

دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقأ [1] دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول : ترى يا أحبائى ما لقيتم فى بيوت الحسرات ، آنس الله غربتكم ، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم ، وهون ما قدر عليكم مولاكم إنه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير . ثم يأخذ فى البكاء والنحيب . فالله الله ابكوا قبل أيام البكاء ، واندبوا قبل يوم الأسى . وأنشدوا :

لاه بدنياه والأيام تنعاه ... والقبر غايته واللحد مأواه
يلهو ولو كان يدرى ما أعد له ... إذا لأحزنه ما كان ألهاه
أو ماجنت يده لو قد تعرفه ... ويلاه مما جنت كفاه ويلاه

واعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مقفولة ، والأعمال فى أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشى إلى الجنة أو النار محمولة . وأنشدوا:

يا أيها الرجل المزخرف قبره ... ولعله فى جوفه مغلول
يا أيها الرجل المقيم بمنزل ... فيه للحوادث ما أقام نزول
ألا يغرك ملكه ونعيمه ... فمالك يفنى والنعيم يزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

يا إخواننا مضى الإخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور ، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور

حكاية عن الأصمعى

يحكى عن الأصمعى رضى الله عنه أنه قال : مررت بأعرابى وهو واقف على مقبرة فقلت له : يا أخا العرب ما هذا الموضع الذى أنت فيه ؟ فقال :

هذى منازل أقوام عهدتهم ... فى رغد عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل ، والقبر يناديه كل

---

(١) ترقأ : تنقطع وتجف .

يـوم يقول لـه لا بد لك منـى فماذا قدمت لـى مـن عمـل صالح ؟. وأنشدوا :

أجـار الـد هـر لـيس لـه جـوار ... وحـسن الظن بالدنيا اغـترار
إذا مـا رمت يومـا كـان يومـا ... ونقـص البـدر غايته السـرار
ودع حـرص الجبان علـى حـياة ... وأجمل إن عـمرك مسـتعار
وذو الآمـال مـنها فـى غمار (١) ... وعند المـوت ينكشف الغمار
ويرجـو المـرء أن يبقـى سليـما ... ويـأبى الليـل ذلك والنهار
وهـل تخطـى المنية نفـس حـى ... وهـاديـها رواح وابتـكار

حكاية عن الحسين

قيل : كان الحسين رضى الله عنه إذا رأى القبور قال : ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهى فى بطونها . فالله الله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فإن القبر بيت العمل ، فاعملوا ولا تغفلوا. وأنشدوا :

يـا مـن بـدنياه اشتـغـل ... وغـره طـول الأمـل
المـوت يـأتـى بـغـتـة ... والـقـبـر صـندوق العـمل

أخى : لو رأيت الميت فى قبره بعد ثلاثة أيام لا ستوحشت من فقده بعد طول الأنس بناحيته ، ولو رأيت كيف تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاء الأكفان بعد حسن الهيأة وطيب الريح ونقاء الثوب . وأنشدوا :

باتوا على قلل (٢) الأجبال تحرسهم ... غلـب الرجـال فلـم تنفعهم القلل
واستنزلوا مـن أعالـى عز معقـلهم ... وأسكنوا حـفرا يا بئـس مـا نزلـوا
ناداهـم صارخ مـن بعـد ما دفنـوا ... أيـن الأسـرة والتيـجانُ ,والحـلل
أيـن الوجوه التى كانت محـجبة ... مـن دونها تضرب الأسـتار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهـم ... تلك الوجـوه عليها الـدود يقتـتل
قد طال مـا أكلوا دهرا ومـا نعـموا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

---

(١) الغمار : شدائد الموت (٢) قمم وذُرَى

فيا معشر الشباب ، تأهبوا للغدو إلى التراب ، فإن الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فإنه يمهد للقبر . وأنشدوا :

ما للشيوخ وللغد ... وإلى الملاهي والبكور
وهم غدا أو قبله ... أو بعده حشو القبور

نداء القبر لساكنيه

عباد الله ، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلا وقبره يناديه بكرة وعشية إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور ، فمن فكر فيه وفي وحشته ، وضيقه وغمته ، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها ، وأبدله الله خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ، وجعل القبر خيرا من داره ، فأكثروا ذكره في الآناء والأوقات ، وأطيعوا جبار الأرضين والسموات ، عساه يجعله لكم روضة من رياض الجنات ، ويقيكم فيه الذل والحسرات. وأنشدوا :

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يا مغرور معتبر
كانوا ملوكا تواريهم قصورهم ... دهرا فوارتهم من بعدها الحفر
الدود يأكل أقواما منعمة ... نعم ومن دونها الألواح والمدر
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط ... هيهات ضلت وحارت فيهم الفكر

بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوما إلى القبور وجعل ينظر إلى امتداد القبور ويفكر في الأحباب والإخوان ، والأصحاب والجيران . ثم بكى حتى طال بكاؤه وبلت دموعه لحيته ، ثم جعل يقول :

زرنا منازل قوم لا يزورونا ... إنا لفي غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم ... جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونا
الموت أحدق بالدنيا وعزتها ... وفعلنا فعل قوم لا يموتونا
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم ... فالحاملون لعرش الله باكونا

فالله الله جدوا فى العمل فإن القبر أمامكم ، والموت يطلبكم يفرق ما جمعتم ، ويخرب ما قد بنيتم ، بقطع الأنفاس ، وينقلكم إلى ضيق اللحود والأرماس ، فمن قدم إلى القبر عملا صالحا وجده روضة من رياض الجنان ، ومن لم يكن له عملا وجده حفرة من حفر النيران ، فاستعدوا له يامعشر الأصحاب والإخوان .

روى عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال:مررت بالمقابر فإذا مكتوب على قبر:

تمر أقاربى جنبات قبرى   كأن أقاربى لم يعرفونى
وذو الميراث يقتسمون مالى   وما يألون إن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وراحوا   فيا لله أسرع ما نسونى !

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور ، وطاعة الشيطان المثبور ، واعملوا لضيق اللحود والقبور .

حكاية عن أحمد بن أبى الحوارى

حكى عن أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله أنه قال : خرجت يوما للقبور فذكرت الموت فى نفسى والبلاء فرأيت شابا بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له : من أين أقبلت أيها الفتى ؟ ، فقال : من هذا المبرز [1] ، قلت : وأى شيء قلت لهم ؟ ، قال : قلت لهم: متى ترحلون ؟ فقالوا: حين تقدمون ! . ثم ولى عنى وهو يبكى فتبعته فقلت له : أين تريد ؟ فقال : ألتمس العيش ، فقلت له : كيف تلتمس العيش بين القبور ! ، فقال : وأى شيء هو العيش عندكم ؟ قال : المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان ، فولى عنى وهو يقول : أف لعيش يعقب أحزانا ، وندامة وأشجانا ، فقلت : وأى شيء هو العيش عندكم ؟ قال : إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله ، والوقوف بفناء الله ، والخضوع بين يدى الله ، والتلذذ بحلاوة مناجاة الله ، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد ، من الله تعالى وجميل العوائد . قلت له : أخبرنى عن الصادق لله فى

---

(١) المكان المرتفع البارز .

حبه متى يشتاق إلى لقائه ؟ ، قال : إذا نزع الله حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه بين خلقه . حينئذ يشتاق إلى لقائه . قال : قلت له : أخبرنى عن غاية الرضا بالله تعالى ؟ قال : إذا كنت راضيا بكل ما قدر الله تعالى وقضاه ، وأحكمه وأمضاه ، وأنه هو المتفضل ، على المتقين بفضله ، والخاذل لمن شاء بعدله ، قلت له : أخبرنى عن غاية العبادة ؟ قال : تجمع الهموم فتجعلها هما واحدا حتى يستوى عندك العمران والخراب ، وتكون خائفا من الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قلت له : كيف النجاة من مخالفة الناس ؟ قال : إنما الناس رجلان : عاقل وجاهل ، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، وقام مجتهدا بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك ، وأما الجاهل فلا يبالى كيف ما كان عليه . فعليك بالبرارى والقفار ، والاستئناس بالواحد القهار ، قلت : فمن أين القوت ؟ قال : تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه ؟ ويضيعك حتى تتهمه فى رزقك إنه رؤوف رحيم لا يسلمك ؟ !! ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لى فما رأيت أنور قلبا منه . ووجد على قبر مكتوب :

تناجيك أجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت
فيا جامع الدنيا لغير بلاغة [1] ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل تذول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل ، ولا يشفق على من غره الأمل ، ولا يحن على من ضيع أيام المهل . وأنشدوا

ما حال من سكن الثرى ما حاله ؟ ... أمسى وقد صرمت [2] هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه ... يوما ولا لطف الحبيب يناله
أضحى وقد درست [3] محاسن وجهه ... وتفرقت فى قبره أوصاله [4]
واستبدلت منه المحاسن غبرة ... وتقسمت من بعده أمواله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والملل يذهب صفوه وحلاله

---

(١) البلغة من الطعام مايكفى لسد حاجة الإنسان (٢) قطعت
(٣) درست : بليت (٤) أعضاؤه ومفاصله

عيسى والمدينة الخربة

روى أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصرا من قصورها فنادى : يا خراب الأخربين أين أهلك ؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا. فاجتهد ولا تفرط ، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم .

وأنشدوا :

قف بالقبور وقل على ساحتها ... من منكم المغموم فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قفرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد ... لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن ... تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة ... يفضى إلى ما شاء من راحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب ... فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحة ... فى شدة التعذيب من لدغاتها

عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم ، وتنتهون من نوماتكم ، وتصحون من سكراتكم ، وتملون من شهواتكم ، وتدعون الكثير من لذاتكم . وتذكرون هول المقابر ، والمصير إلى ضيق الحفائر ، فإن ملك الموت لا يأتيكم إلا على ألذ ما تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم ، فبادروا قبل مبادرته بكم . وأنشدوا :

بناء الفتى فى لوه وعنائه ... متبختر يختال فى لذاته
قد غره الأمل الكذوب ... فهمه فى كل مايدنيه من شهواته
إذ جاءه ملك النفوس بسكرة ... تركه ملقى الجسم بين ثقاته
فتقطعت أسبابه وتخرمت ... وتنكر المعروف فى حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى ... شق الجيوب عليه حين وفاته

ابن عباس وابن الخطاب

ذكر فى بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم قتل فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، قال : بماذا ؟ قال : آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس ، وجاهدت مع رسول لله وهو عنك راض ،

ولم يختلف في خلافتك اثنان ، وقتلت شهيدا . فقال له عمر رضى الله عنه : أعد عليّ ما قلت، فأعاد عليه ، فقال :والذى لا إله غيره لو أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع (١) ، فإذا كان هذا هو قول عمر رضى الله عنه إمام السنة ، وحبيب الأمة ، وسراج أهل الجنة فى الجنة ، قال هذا عند الفراق والإنقطاع وأشفق من هول المطلع ، فكيف بأهل اللهو واللعب ، والبهتان والكذب ، أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم فى الذنوب ، وأفنوا أيامهم فى معصية علام الغيوب ، وغفلوا عن القبور ، ولم يفكروا فى هول يوم النشور ؟ ! والله أعلم وأنشدوا :

أرانى كل يوم فى انتقاص ... وبعد لا يزول وطول هجر
وأيامى تمر بغيرشىء ... وعمر المرء فى الأيام يسرى
ألا خطوا على قبرى كتابا ... وقولوا قبر ذى ظلم وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيرا ... وكل فتى على ذا النهج يجرى
وقولوا حين أدفن أى عبد ... أتى مولاه فى ذل وفقر

حكى عن داود الطائى رحمه الله أنه مر على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها ... إذا أنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لذيذ الكرى ... وأنت بيمناك قد وسدوكا

قال داود : فلما سمعت تذكرت فى الأحباب والأخدان ، والأصحاب والخلان ، لا يرى لهم آثار ، ولا على الأرض منهم ديار :

أمر على القبور وأرتقيها ... كأنى ليس لى فيها حبيب
وأكره أن أسائلها فإنى ... أراها حين تسأل لا تجيب

عظة نفيسة

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذى بقى من أعماركم ، ثم تنتبهون إلى القبور ، وتخرجون من سعة

(١) رواه البخارى .

القصور والدور . والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخوانى المسلمين جدوا واجتهدوا ، بالعمل الصالح فاستعدوا ، وقدموا لأنفسكم ما تجدوه فى المقابر ، وابكوا عليها قبل حلولها فى الحفائر . وأنشدوا :

لكـل أنـاس مـقـبر بفنائهـم ... فهم فى انتقاص والقبور تزيـــد
وفى محشر الموتى أمام قبورهم ... فمـا منـهم مـن للحياة يعـــود

وأنشدوا :

المرء رهن مصائب لا تنتـهـى ... حتى يوارى جسمه فى رمســه
فمؤخر يلقى الردى فى أهـلـه ... ومقدم يلقى الردى [1] فى نفسه

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك ، وتذكر أهلك وجيرانك ، وتذكر أحبابك وأخدانك أين الذين كانوا لك فى الدنيا أحبابا ، وفى أيام حياتك أصحابا ؟ صحبتهم وصحبوك، وذهبوا عنك وتركوك ، وأوحشوا الأهل والأحباب ، وفارقوا القرابة والأصحاب ، قد ضمت أجسادهم المقابر ، وغيرت أبشارهم [2] الحفائر ، وبقيت أرواحهم تنتظر يوما تبلى فيه السرائر ، فمنهم من يجازى بنعيم وخلود ، ومنهم من يرد النار وبئس الورد المورود ، أين لقمان بن عاد ؟ أين ثمود وشداد ، أين فرعون ذى الأوتاد ؟ ، وأين من طغى فى البلاد وأظهر فيها الفساد ؟ ، ذهبت والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد . تذكر أيها الغافل أين الملوك والأكابر، وأين الطغاة الجبابر ، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر ، حولتهم والله النوائب إلى الحفائر ، وبقوا مرتهنين بأعمالهم فى ظلمات المقابر ، ونزلوا على ماقدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم ، وغير البلاء أحوالهم . قد سالت العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتا للهوام والدود، وقسمت من بعد دفنهم فى التراب أموالهم ، ونكحت من عدوهم عيالهم .وأنشدوا :

هل كان قبلك للذات مرتاحـا ... لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
لله عبـد جنـى ذنبـا فأحـزنـه ... فظل حيراناً يذرى الدمع سفاحا

---

(١) الموت . (٢) جلودهم ، وأشكالهم .

فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به		فـرب دمـع جرى للخير مفتاحـا
ورب عـين رآهـا الله باكـيـة		خوف القبور ستلقى الروح والراحا
مـستعبـر قلـق مسـتيقـظ فطـن		كـأن فـى قلـبه للنـور مصباحـا
يا صاحبى دعا التسويف ويحكما		واستـبدلا بفـساد الديـن إصلاحا
لا تأمنـن وقـوع المـوت إن لــه		لأنفسا مـن جميع الخلق مجتاحا
أن لـم يبيتهـم ناداهـم سـحـرا		وإن تأخـر عـن تبـكيرهـم راحـا
لا يتـرك المـوت بيـتا حـشوه فـرح		إلا أعـاضهـم (١) ذلا وأتراحا (٢)
أهـل القبـور أبينـوا عـن قـبوركم		هـل تستـطيعون لـى بالرد إفصاحا
مـاذا لقـيتم ومـاذا بعـد قـيل لكم		لما فقدتـم مـن الأجساد أرواحـا ؟
يعــزز علـى بأبــدان منعــمـة		أمسـى بهـا الدود جـوالا وسواحا
الناس فـى غفلـة عـما يراد بهـم		من كان ذا بصر فالصبح قد لاحا

حكاية عن ابن السماك

حكى عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوما جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه : معشر الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه ؟ ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره ؟ ، ألا شاب عازم قد بارز لمنيته ؟ ، ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته ؟ ، ألا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقى من رمقه ؟، ماذا يتنظر من دفن أباه ، وقبر أمه وأخاه ؟ مافرح من القبر مأواه ، والتراب فراشه وغطاه . وأنشدوا :

ألا أنــما الدنيـا بــلاء وفـتنــة		وبينا الفتى فيها مهاب مـسود
إذا انقـلبت عنـــه وزال نعيمهـا		فأصبح مـن ترب القـبور يمـهد
فكـن خائفا للموت والـقبر بعـده		ولا تك ممـن غره اليـوم أو غـد

حكى عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال : دخلت على مريض وهو فى شدة السكرات فقلت له : كيف تجدك ؟ فبكى ، ثم قال :

(١) أبدلهم . (٢) الترح : الحزن .

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي　　غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا　　خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صورتي　　غداة أتي يومي علي وساعتي

إخواني ما هذا لمن مضى ، بل الله لمن مضى ولمن بقى ، لابد من القبر ووحشته ، ومن الموت وسكرته ، فانظروا لأنفسكم مادام النظر ينفعكم ، وتفكروا فى وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم ، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة ، وحيث لا تقال العثرة [1] . فإن الأيام غرور ، وهي طريق إلى القبور . وأنشدوا :

ما للمقابر لا تجيب　　إذا دعاهن اللبيب
حفر يستر فوقهن من　　الجنادل والكثيب
فيهن أطفال وولدان　　وشبان وشيب
كم من حميم لم يكن　　نفسي بفرقته تطيب
غادرته في بعضهن　　مجندلا وهو الحبيب

حكاية عن بعض الصالحين

حكى أن رجلا من الصالحين رحمه الله حضر جنازة ، فلما وضعوها في قبرها وانصرف أهلها ، وقف على قبر صديق له فناداه ياحبيب ، يا فلان الصديق فلم يجبه أحد ، فأنشأ يقول :

أحبيب مالك لا تجيب مناديا　　أنسيت بعدى جملة الأحباب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال للحبيب وكيف لى بجوابكم　　وأنا رهين جنادل [2] وتراب
أكل التراب محاسنى ونسيتكم　　وحجبت عن أهلى وعن أحبابى
فعليكم منى السلام تقطعت　　منى ومنكم عقدة الأنساب

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسكم ، وأبكوا طول حياتكم أيام وحشتكم ، وبعد رقدتكم ،

---

(١) أقاله م عثرته : أقامه من كبوته　　(٢) صخور .

وطول غربتكم وانفرادكم فى قبوركم ووحدتكم ، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته ، وينورها بنور مغفرته ، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة ، وينجيكم فيها مـن كل عذاب ومحنة ، إنـه المنان الكريم ، المتفضل الرحيم .

موعظة ابن عباس

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره ، وتفرق النـاس وأهله ، فمن أكثر مـن ذكره وجده روضة مـن رياض الجنة ، وما من يوم إلا والأرض تنادى بخمس كلمات : يا ابن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى ؟، يا ابن آدم تضحك على ظهرى وسوف تبكى فى بطنى، يا ابن آدم تفرح على ظهرى وسوف تحزن فى بطنى ؟ ، يا ابن آدم تذنب على ظهرى وسوف تعذب فى بطنى ؟، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهرى وسوف يأكلك الدود فى بطنى ؟ ، يا ابن آدم كم من محسود فى حياته يود إذ نزل فى حفرته لو كان كل ماجمعه وخلفه لأعدائه وحساده ؟ ، . فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم ويكون هو فى قبره أو رمسه مثبورا . وأنشدوا :

أخـلق [(١)] المـوت جـدتـى ومـحـا حسنــى البلـى
صـرت بـين النعــيم فــى مـنزل البعـد والقـلـى [(٢)]
وجـفانـى [(٣)] أحــبتــى حين غـيبت فـى الفـلا

يا أخى تفكر فى تلك الأكفان ، وتغير الروائح وصولة الديدان ، ونهش العقارب والحيات ، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات . وانظروا إلى أحبابكم فى بسط الأرماس ، كيف عدموا الأناس والحراس ، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الأنفاس . وأنشدوا :

أتعمى عـن الدنيا وأنت بصـير وتجهل ما فيها وأنت خبـير
وتصبح تبنيـها كأنـك خـالد لقد كان فيما قد بلوت نذير
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن يخبـرنا أن ا لبقـاء يسـير

---

(١) جعلها خلقة أى بالية (٢) القلى : الجفاء (٣) من الجفوة

فدونك فاصنع كما أنت صانع فإن بيـــوت المتقـين قبـــور

حكاية عن الحسن البصرى

يحكى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت فى لحدها فقال : يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوبا حية ، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذى نسب فرحا ، ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال : هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم ، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به ، عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم فى الأثر . أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غدا ، والباقى بعدك هو الميت فى أثرك ، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعا فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعا فى سكراته ، وحللتم جميعا فى القبور ، إلى يوم النشور . فالله الله تفكروا فى طول البلاء فى ظلمات بين أطباق الثرى . وأنشدوا :

أخى ما بال قلبك ليس ينقـى كأنـك لا تظـن المـوت حـقا
أيا ابـن الذيـن فـنوا وبـادوا أمـــا والله مـا بـادوا وتبـقـى
ومـا أحد بزادك منك أحصى وما أحـد بـزادك منـك أشقـى
ومـا للنفـس عنـدك مسـتقر إذا مـا استكملت أجـلا ورزقـا

تفكروا فى الملوك العتاة ، والجبابرة الطغاة ، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها ، وسكنوا المشيد من قصورها ، كانوا أشد منكم قوة وآثارا ، وأقوى أجساما وأطول أعمارا خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب ، وعمر ديارهم من بعدهم الأصحاب ، وانصرم عنهم الليل والنهار ، ونزلوا على ما عملوا من الأوزار ، فلو أبصرتموهم بعد قليل فى ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود ، وتمزقت الخدود ، وضيقت على أبدانهم اللحود ، واتخذ الخليل من بعدهم خليلا ، وصارت أبدانهم للدود مقيلا ، فتفكر يا أخى وكن إلى التوبة مسرعا عجولا ، ولا تطع الشيطان إنه كان للإنسان خذولا ، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان ، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران ، ويدخلكم برحمته الجنان . وأنشدوا :

إعمـــل لمثـواك فـى الضـريح وانـدم علـى فعـلك القبيـــح

ولا تقصر وفيك روح فسوف تبقى بغير روح
واقرح الخد من دموع بالجد من قلبك القريح (١)
والتمس الصفح قبل يوم تنقل فيه إلى الصفيح (٢)
يا نفس إنى غدا طريح والتراب يحثى على الطريح
نوحى فلو قد حواك قبر لم تقدرى فيه أن تنوحى

أحبابى قوموا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى ، لعل الله يرحمنا فى ظلمات القبر وعسى ، فإن القبر ينادى فى الصباح والمسا .

قيل : وقف بعض الصالحين فى المقابر وأنشأ يقول :

أغضاب أحبابنا أم رقود فإلى كم يكون هذا الصدود ؟
إن تكونوا قوما نياما فهبوا كم تناموا عنا ونحن قعود
أو تكونوا هجرتمونا بذنب كان منا فإننا لا نعود

حكى عن بعضهم رضى الله عنه أنه قال : مات لى صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة ، فرأيته بعد موته فى المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول :

أنا لكم إخوتى نذير من هول ما ضمت القبور
عاينت ما لم تعاينوه وأنما يتلى الخبير
إن الذى حل بى جليل جدا فقد أعذر النذير
فإنما أنت فى غرور فلا يغرنك الغرور
فإن قدامك المنايا والقبر والبعث والنشور
إما الى جنة وإما إلى جحيم لها سعير

فالله الله يا معشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام ، فإن أمامكم وحشة القبور بعد سكرات هول الحمام ، فمن ضيع فى البطالة والجهالة أيامه ، وكثرت فى صحيفته أوزاره وآثامه ، فمقام الحسرة غدا فى القبر مقامه . وأنشدوا :

أبصر وتب يا رجل قد أزف التنقل

---

(١) المجروح ، والقرح : الجرح . (٢) الصفائح والصفاح : حجارة رقاق عراض

إلـــى مـــحـل — تـذهب فيـه الحيـل
مـالك فيــه مؤنـس — إلا التــقــى والعمــل
أى غـلام قــام فــى — مـحرابــه يبتـهــل
يقـول فــى سـجدتـه — ودمـعــه ينهمـــل
يـا ظــاهر يا بــاطـــن — يا مـــالك لا تعـــجل
إغفــر ذنوبـــى كـــلها — فشـــأنــك التفضـــل
وتـــب علـى توبـــة — فهـــى المنــى والأمــل

نباش القبور

روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال : يا ابن عباس: ما أذل العاصين بين يدى الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى ! يا ابن عباس . ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل ! . قال : ثم خرج . فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى نباش (١) وإنما يتستر بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم . قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعينى وألمسه بكفى . فقال له الرجل : إن شئت لأرينك ذلك . فقال : قد شئت . فلما هجم الليل إذ الفتى قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غل حتى توسط المقابر ، ثم رمى بطرفه شاخصا وقال : سلام عليكم أهل مضايق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم ، وما أوحش طريقكم ، فليت شعرى ما حالكم ، ارتهنتم بأعمالكم ، وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعرى أندم الحياة حل بكم ، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم ؟ . سبقتمونا فلبيتم ، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون ، وللمنهل الذى وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه . ثـم نزل فــى قبر قــد احتفــره لنفســه فوضـــــع

(١) ينبش القبور .

خده على شفير اللحد وجعل ينادى : يا ويلتى إذا دخلت فى قبرى وحدى ، ونطقت الأرض من تحتى ، فتقول لى : لا مرحبا ولا أهلا ، ولا سعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهرى ، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى لأضيقن عليك أرجائى ، ولأذيقنك مكروه بلائى . ويلى إذا خرجت من لحدى ، حاملا وزرى على ظهرى ، وقد تبرأ منى أبى وأمى . بل ويلى من طول كذبى إذا أسمعنى منادى ربى : أين فلان ابن فلان فأبرزت من بين جيرتى ، وقد بدت إلى الناس سريرتى ، وقمت عريانا ذليلا ، وقاسيت كربا طويلا . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدى جبار السموات والأرض ويلى إذا وقفت أمام ربى فقال لى : عبدى استترت بمعصيتى عن المخلوقين ، وبارزتنى بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخرى ويا ذخيرتى ومن هو أعلم بطويتى وسريرتى ، يا من عليه اعتمادى فى حياتى ، ومن إليه ألجأ بعد مماتى ، لا تخذلنى بعد الموت ، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت .... فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادى : لبيك لبيك حبيبى ما أنبشك للذنوب والخطايا ، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا ، ثم التفت إلى الذى سهى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش ، فأرشده إلى ابن عباس ، فما أحبه إليه وآثره لديه ، ياليت كل النابشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكى طويلا ... ونداوى بالدمع داء جليلا
فعسى الدمع أن يبرد منا ... بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا
وننادى الأحباب كيف وجدتم ... سكرة الموت بعدنا والمقيلا
لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا ... سكرة تترك العزيز ذليلا
بدلوا بعد القصور قبورا ... ثم بعد اللباس ردما ثقيلا

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل ، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الأجل ، واشعلوا فى قلوبكم نيران الخوف والوجل ، وتزودوا للقبر بينما أنتم فى فسحة ومهل ، فإن الموت آت ، والعمر فات ، والطريق طويل ، والزاد قليل ، وهول القبر هائل ثقيل .

وأنـشـدو :

إضرع فى دجى الليـل إلـى مولاك يكفيــكا
ولا تأمـن هجوم المـوت إن المـوت يأتيـكا
كأنـى بالـذى يهـواك فـى القـبـر يدليكــا
وقد أفردت فـى لحـدك فـــردا بمسـاويـكا
وأسلمك الذى قد كان فـى الدنـيا يصافيـكا
فيا سـؤلى ويـا ذخـرى وكل الخلـق راجيـكا
ويـا مـن ليس منا أحد يـحصـى أيـاديــكا
تجـاوز عـن مقال ثــم حقــق أملـى فيــكا

يا أخى قم بين يدى مولاك إذا دخل الليل البهيم ، وأسأله لعله يكفيك فى قبرك العذاب الأليم .

حكاية عن ابن الأسود

حكى عن الحجاج بن الأسود أنه قال : رأيت فى المنام كأنى دخلت فى المقابر فإذا أهلها نيام فى قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم ، فمنهم النائم على التراب ، ومنهم النائم على القباطى ، ومنهم النائم على السندس ، ومنهم النائم على الاستبرق ، ومنهم النائم على الحرير ، ومنهم النائم على الديباج ، ومنهم النائم على الياسمين والريحان ، ومنهم النائم كالمتبسم فى نومه ، ومنهم حائل [1] اللون ، ومنهم من قد أشرق نوره ، ومنهم من قد اشتد كربه ، ومنهم من قد اغتم فـى ضيق القبر ووحشته. فبكيت فى منامى مما رأيت ثم قلت : يا رب لو شئت لسويت بينهم فى الكرامة ! فنادانى مناد من بينهم : يا حجاج هذا الذى تراه من تفاضل الأحوال إنما هى منازل الأعمال ، ولكل امرىء منهم ماقدم . فاستيقظ فزعا مرعوبا . وأنشدوا :

تحرك إن قدرت وقم طويلا فسوف يطول نومك فى التراب
وحقق ما تقول فأنـت عبـد تساءل ثم تطلب بالجـــواب
وكفر ما عملت وكن مجدا وتـب لله تسعـد بالمتـــاب

---

(١) متغير اللون .

عباد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلا التوبة ، والندم على ما سلف وحسن الأوبة (١) لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر ، وما طويتم عليه خفيات السرائر ، وينور لكم فى ظلمات الأجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر . وأنشدوا :

نعت نفسها الدنيا إلينـا فأسمـعـت ... ونادت ألا جدوا الرحيل وودعـت
وزمت (٢) مطايانا إلى برزخ البلـى ... وساقت بنا سوقا حثيثا فأسرعـت
سـلام علـى أهل القبـور أحبتـى ... لقـد بليت أجسامهم وتقطعت
فـما مـوت الأحـياء إلا ليبعثـوا ... يقينا وتجزى كل نفس بما سعت

عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيبون ، والموت والقبر فلا تذكرون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب السامعون والواعظون . وبقى الجاهلون والغافلون . فلا سامع يعى ويسمع ، ولا واعظ يداوى وينفع . كل قد شغل بالأمانى والغرور ، ونسى الرحيل إلى القبور . ووجد على قبر مكتوبا :

لا تثـق بالحـياة مـن بعـد قـبرى ... كـل حـى مـصيره كمصيرى
كنت فـى نعمة وفـى خفض عيش ... فمضى وانقضى كـيوم قصـير
ثـم أفـردت فـى القـبور وحـيدا ... وجفانى الصديق فـوق القـبور

حديث فى منكر ونكير

روى أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء : « كفى بالموت طامة » فقال جبريل عليه السلام : ما بعد الموت أطم منه وأعظـم . فقال رسول الله ﷺ : « وماذا يا جبريل ؟ » قال : الملكان الأزرقان والأسودان يطآن فى شعورهما ، ويخرقان بأنيابهما ، بيد كل واحد منهما عمود لو ضرب به الجبال لقلعها من أصولها ، أعينها كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، يبتلى بهما كل مؤمن وكافر فيأتيانه فى قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله ، ويريانه مقعده من الجنة أو النار . فقال ﷺ : « أما الكافر لهما أن يروعانه (٣) ويفعلان به ذلك ، وأمـا المؤمن

---

(١) الرجوع إلى الله (٢) الزمام : الخطام ، وهو حبل يقاد به البعير (٣) يفزعانه

فكيف ؟ » قال : جبريل عليه السلام كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة (١) من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه فى الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفورا له ثم لا يرى روعة بعدها أبدا .

غرور

ذكر أن بعض الملوك (٢) بنى قصرا وشيده فأعجب بذلك وسر به ، فلما كان فى بعض الليل سمع قائلا يقول :

كأنى بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيد القصر من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادى بليل معولات حلائله (٣)
فخذ عدة للموت إنك ميت ... وإنك مسئول فما أنت قائله ؟

فأجابه الملك وهو يقول :

أقول بأن الله حق شهدته ... فذلك قول ليس تخفى فضائله

فأجابه الهاتف وهو يقول :

تزود من الدنيا إنك ميت ... وقد أزف الأمر الذى أنت نازله

فأجابه الملك وهو يقول :

متى حدثنى هديت فإننى ... سأفعل ما قد قلته وأعاجله؟

فأجابه الهاتف وهو يقول :

تقيم ثلاثا بعد عشرين ليلة ... إلى منتهى شهر وما أنت كامله (٤)

قال : فلم يتم الشهر حتى مات . وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى:

تمنت نفسه قصرا مشيدا ... يلذ به ليعمره جديدا
فلما تم عاجله حمام ... فأخرجه إلى جدث فريدا

---

(١) راحة (٢) هو المهدى بن منصور
(٣) تبكى عليه زوجاته . (٤) قلت : وفيه نظر ، فلا يعلم الغيب إلا الله

فقل لذوى الترجح فى الأمانى   ولا يبغون فى التقوى مزيدا
تهابوا الموت إن له مجالا   فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختطف الملوك ذوى المعالى   ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

الملك الزاهد

حكى عن عباد المهلبى أنه قال : كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغرورها فبنى دارا وشيدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت . وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه ، فمكث بذلك زمانا حتى فرغ من أمر الناس ثم أجلس نفرا من خاصة إخوانه فقال لهم : أترون سرورى بدارى هذه وقد حدثنى نفسى أن أتخذ لكل واحد من أولادى مثل هذه فأقيموا عندى أياما أستمتع بحديثكم ، فأقاموا عنده أياما يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبنى ، إذا سمعوا ذات ليلة هاتفا يقول بصوت جهير :

يا أيها الرجل الناسى منيته   لا تأمنن فإن الموت مكتوب
على الخلائق إن سروا وإن كرهوا   فالموت حتم لذى الآمال منصوب
لا تبنين ديارا لست ساكنها   وراجع النسك كيما يغفر الحوب (١)

قال : فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا ، ثم قال لأصحابه : هل تجدون ما أجد ؟ قالوا وما تجد ؟ قال أجد مسكة على فؤادى وما أراها إلا علة الموت ، ثم أمر بالشراب فأهريق (٢) وأمر بالملاهى فأخرجت ثم قال : اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أنى تائب إليك من جميع ذنوبى ، نادم على مافرط فى أيام مهلتى . ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول : الموت ، حتى خرجت روحه ، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه وأنشدوا :

يا عجبا للناس لو أبصروا   وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها   فإنما الدنيا لهم معبر

---

(١) الإثم   (٢) هرق الشراب : صبه .

والموعد الموت وما بعده حشر فذاك الموعد الأكبر
عجبت للإنسان فى فخره وهو غدا فى وحشة يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر !؟
أصبح لا يملك تعجيل ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى ربه فى كل ما يقضى وما يقدر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غدا إذا ضمهم المحشر

موعظة للبهلول

حكى عن بعض السادات أنه قال : نظر إلىّ بهلول وأنا أبنى دار فقال : لمن هذا الدار ؟ فقلت : لرجل من كبار أهل الكوفة ، فقال : أرنيه، فأريته إياه ، فناداه : يا هذا لقد تعجلت البناية قبل العناية ، إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر ، اشتراها عبد أزعج للرحيل ، كتب على نفسه كتابا ، وأشهد على عقد ضمائره شهودا ، هذا ما اشترى العبد الجافى من الرب الوافى ، اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع ، فما أدرك المشترى من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك ، شهد على ذلك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك فى إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ، ولهذه الدار حدود أربع ، فالحد الأول ينتهى إلى مبادىء الصفا، والحد الثانى إلى ترك أخلاق الجفا ، والحد الثالث ينتهى إلى مدارج أهل الوفا ، والحد الرابع ينتهى إلى السكون والتسليم والرضا فى جوار من على العرش استوى ، ولهذه الدار شارع ينتهى إلى دار الخلد والسلام،وخيام قد ملئت بالولدان والخزام (١) ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام ، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام . يا لها من دار لا ينقضى نعيمها ولا يبيد كريمها ، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود ، وجعل بلاطها من البهاء والنور ، وملىء خيامها من جوار بهن كمل السرور ، من العين الحور ، ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور ، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه ،وجعل البهلول

(١) نبات طيب الرائحة له زهر أحمر .

ينادى خلفه ويقول :

يا ذا الذى طلب الجنان لنفسه لا تهربن فإنه يعطيكا

وأنشدوا :

طاب المقام وطاب فيه نعيمه فى دار عدن والجليل يراه

فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور ، وتشييد القصور ، فعما قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور . وأنشدوا :

سلام على أهل القبور الدوارس (1) كأنهم لمن يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا من كل رطب ويابس
فيا معشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن .

حديث فى هدية أهل القبور

فإنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد عشر مرات وأهدى ثوابها للموتى ، غفر الله تعالى للموتى وأدخل فى قبورهم النور والسرور ، ويكتب الله تعالى للقارىء بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات »

الصدقة والدعاء للميت

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « أهدوا إلى موتاكم » قيل : وما نهدى يارسول الله إلى الموتى ؟ قال : « الصدقة والدعاء » ، وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور ، فيقف على شفير القبر فيقول : يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك أقبلها ، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر وحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شىء » . فالله الله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور ، ويغتبطون بها فى القبور .

---

(1) درس : بلى وفنى .

رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء فى الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الأحباب إلى رأس أربعين سنة ، فمن أيأسهم أيأسه الله رحمته ، ومن فرّحهم أكرمه الله تعالى بتحيته . وفقنا الله وإياكم إلى الأعمال الصالحة ، وأعاننا وأياكم على طلب الرغائب والخيرات ، آمين برحمته فإنه مجيب الدعوات ، وقاضى الحاجات ، ومقيل العثرات . وصلى الله على من أخرجنا من الظلمات إلى النور المطهر من الآفات ، المجتنى من أطيب الثمرات ، وعليه منا أطيب السلام والتحيات ، مادامت الأرض والسموات ، آمين آمين فهو مجيب الدعوات وقاضى الحاجات ، غافر الذنوب والزلات ، آنس الله وحشتى ووحشتكم فى القبور ، وآنس روعتى وروعتكم يوم النشور ، وأحلنا وإياكم برحمته دار السرور . آمين آمين

المجلس الثالث عشر
فى فضل الصيام

قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (١) أيها الغافل عن الثواب الكثير ، والساهى عن الملك الكبير، واللاهى عن لباس السندس والحرير ، المتقاعد عن اليوم العبوس القمطرير ، النائم عما أتى به محمد البشير النذير ، الذى أنقذنا الله به من جهنم وحر السعير . يا غافل يا ساهى أتاك شهر رمضان ، المتضمن للرحمة والغفران ، وأنت مصر على الذنوب والعصيان ، مقيم على الآثام والعدوان ، متمادى فى الجهالة والطغيان ، متكلم بالغيبة والبهتان ، متعرض لسخط الرحمن ، قد تمكن من قلبك الشيطان ، فألقى فيه الغفلة والنسيان ، فأنساك نعيم الخلد والجنان ، فظللت تعمل أعمال أهل النيران ، فإن كنت يامسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان ، والحلول فى دار الخلد والأمان ، والخلاص من دار العقوبة والهوان ، وأنت مطعمك حرام ، ولباسك حرام ، ولسانك لا يفتر عن قبيح الكلام، وبصرك حديد إلى ماحرم من الحرام عليك ذو الجلال والإكرام، ويدك ممدودة إلى ما نهاك عنه الملك العلام ، وقدمك تسعى إلى ما هو إثم وحرام ، وأنت فى جميع أمورك وأفعالك مخالف للقرآن والأحكام ، تارك لسنة محمد عليه الصلاة والسلام ؟! فجسمك من الجوع متعوب من الفجر إلى الغروب ، ويلحقك النَّصَبُ واللغوب (٢) ، وصومك عن مولاك بالطرد محجوب ، وأخاف أن تكون فى النار على وجهك مكبوب ، لمخالفتك لعلام الغيوب. فخمص - ويحك - بطنك(٣) عن أكل الربا والحرام ، واحبس لسانك عن الوقوع فى جماعة الإسلام ، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام ، وهو النظر إلى ما لا يحل لك من حرم.

---

(١) البقرة: ١٨٣ (٢) التعب (٣) يقال فلان خميص البطن عن أموال الناس أى عفيف عنها.

الأنام ، وامتثل ما أمرك به أحكم الحكام ، وقم بين يديه فى الليل البهيم إذا هجع النوام ، وتضرع إليه إذا ادْلَهَمَّ الليل بداجى الظلام . وحينئذ يصح لك القبول لشهر رمضان ، وتفوز بالنعيم الأبدى فى دار السلام ، وتنجو من الأهوال والعذاب الغرام ، فليكن - ويحك - بصرك من النظر إلى المحارم معدولا ، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولا وبطنك من أكل الحرام محمولا ، وقلبك بالفكرة فى الحسنات والمعاد مشغولا ، وذكر مولاك وسيدك في لسانك مجعولا ، ومالك فى طاعة العزيز الجبار مبذولا ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ (١) وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان خذولا ، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوما جهولا ؟. وأنشدوا :

قل لأهل الذنوب والآثـــام	قابلوا بالمتاب شهر الصيـــام
إنه فى الشهور شهر جليـــل	واجب حقه وكيد الزمـــام
وأقلوا الكلام فيه نهـــــارا	واقطعوا ليله بطول القيـــام
واطلبوا العفو من إله عظيـــم	ليس يخفى عليه فعل الأنـام
كم له فيه من إزاحة ذنـــب	وخطايا من الذنوب عظـــام
كم له فيه من أياد حســـان	عند عبد يراه تحت الظـــلام
كم له فيه من عتيق شهيــد	آمن فى القيام خزى المقـــام
إن دعـاه مذلل بخضــــوع	وخشوع ودمعه ذو سجام (٢)
أين من يحذر العذاب ويخشى	أن يصلى الجحيم مأوى اللئام
أين من يشتهى التلذذ بحور	فى جنان الخلود بين الخيـام
إلتمس فى ليلة القدر واتــرك	إلتماسا لها لذيـــذ المنـــام
واجتهد فى عبادة الله واسأل	فضله عند غفـــلة النـــوام
يا لها خيبة لمن خاب فيـــه	عن بلوغ المنى بدار الســلام
يا إله الجميع أنت بحالـــى	عالم فاهدنى سبيل القـــوام
وأمتنى على اعتقاد جميـــل	واتباع لملـــــة الإســـلام

---

(١) الإسراء : ٣٦ (٢) انسجم الدمع : سال

فاالله اللهعباد الله اغتنموا شهر المتاب ، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب ، ومن العفو عن الأوزار وعتق الرقاب . وهو شهر لياليه أنور من الأيام ، وأيامه مطهرة من دنس الآثام ، وصيامه أفضل الصيام ، وقيامه أجل القيام . شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شهر جعله الله مصباح العام ، وواسطة النظام ، وأشرف قواعد الإسلام ، المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام ، شهر أنزل الله فيه كتابه ، وفتح للتائبين فيه أبوابه ، فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا عمل إلا مرفوع ، ولا خير إلا مجموع ، ولا ضرر إلا مدفوع ، شهر السيئات فيه مغفورة ، والأعمال الحسنة فيه موفورة ، والتوبة فيه مقبولة ، والرحمة من الله لملتمسها مبذولة ، والمساجد بذكر الله فيه معمورة ، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة . وأنشدوا :

أين أهل القيام لله دأبــــا ... بذلوا الجهد فى رضا الجبار
أنتم الآن فى ليال عظـــام ... قـدرها زاد على الأقـــدار
فاستزيدوا من العبادة فيهـــا ... تأمنوا اليوم من عذاب النـار
أين من ركب الذنوب اغترارا ... لا يخافون سطوة القهــــار
قد أهل الهلال من رمضـان ... شهر زلفى وتوبة وإدكـــار
فاذكروا الله فيه ذكرا كثيـــرا ... واستجيروه مـــن عذاب النار
وارجعوا عن ذنوبكم بمتـاب ... صادق واقلعوا عن الإصــــرار
رب من كان مسرفا مستمـرا ... فى خطاياه مكـــثر الأوزار
ثم إن الإله تاب عليــــــه ... فاقتضى حمده سبيل الخيار
فاعملوا أيها المسيئون وادعـوا ... ربكم جهرة وفى الأســـرار
واحذروا غفلة القنوط وداووا ... داءها بالرجوع للغفــــار
تجدوا الله فى المعاد كريمـا ... ماحيا للذنوب والإصــــرار

إخوانى هذا شهر ليس مثله فى سائرالشهور،ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة فى سائر الدهور،الذنب فيه مغفور ، والسعى فيه مشكور ، والمؤمن فيه محبور (١) الشيطان مبعد مثبور (٢) والوزر والإثم فيه مهجور ، وقلب المؤمـــن بذكـــر الله

---

(١)محبور: السرور (٢)الثبور: الهلاك

معمور ، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم ، شاهد لكم وعليكم ، مؤذن بشقاوة أو سعادة ، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول ، من عند رب لا يحول ولا يزول ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول ، فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام ، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام ، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام ، مع النظر إلى وجه ذى الجلال والإكرام ، ومرافقة النبى عليه الصلاة والسلام ، وأنشدوا :

ألا داع إلـى الله المجيـــب	بقلب مـن معاصيه معيـــب
ألا بـاك لأيـام تقضــــى	بلا عمل ولا قول مصيـــب
ألا باك علـى أمـد بعيـــد	يؤديه إلى أجل قريـــب
فـإن المـوت يندبنا ويبغـــى	نفوسا ليس تألم للذنـــوب
تنـادى للترحل كـل يـــوم	ولا تصغى إلى الداعى القريب
كـأن يقيننا بالمـوت شـــك	ونلغى الحق بالإفك المريـــب
وشـهر الصـوم شاهـده علينـا	بأعمال القبائـــح والذنـــوب
فيـا رباه عـفوا مـنك والطف	بفضلك للمحير والكئيـــب
وهـذا الصـوم لا تجعلـه صوما	يصيرنا إلى نـار اللهيـــب
سـلام الله ماهبـت عليـــه	قـبول أو شـمال أو جنـــوب

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة ، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة ، لأنه شهر عظيم ، زكى مبارك كريم ، من أطاع فيه الملك الجبار ، واتبع فيه السنة والآثار ،غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار ، وخاصه برحمته من عذاب النار،وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار،مع مجاورة النبى محمد المختار ، صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار ، ومن عصى فيه الملك القهار ، وخالف القرآن والآثار ، وعمل بأعمال الفجار ، ولم يوقر شهرا عظمه الإله الستار ، غضب عليه مقدر الأقدار ، ولعنه كل شيء يختلج بالليل والنهار ، هكذا روى عن الصادق المصدوق محمد المختار ، قال الله الملك الجبار :

تقسيم الصوم

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون ﴾[1] الصيام ينقسم على أحد عشر ضربا : صيام الفرض ، وصيام الظهار[2]، وصيام القتل[3] ، وصيام الوطء فى رمضان ، وصيام كفارة اليمين[4] وصيام فدية الأذى[5] ، وصيام التمتع والقران[6] وصيام إفساد الحج ، وصيام كفارة قتل الصيد[7] ، وصيام النوافل ، وصيام النذر .

والأيام المنهى عن صيامها ستة : يوم الفطر ، ويوم الأضحية ، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ، ويوم الشك .

الصوم اللغوى

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ الصوم ضربان : صوم لغوى ، وصوم شرعى ، فالصوم فى اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم . وذم أعرابى قوما فقال : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفواحش . قال الله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام : ﴿ فقولى إنى نذرت للرحمن صوما ﴾[8] يعنى صمتا . يقال : صام النهار إذا إرتفعت الشمس ، ويقال : صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة . قال الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

أى خيل تصهل وخيل لا تصهل .

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة فى بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم فى رمضان وفى غير رمضان ، فصوم اللسان ترك الكلام إلا فى ذكر الله تعالى . وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه ، وصيام

---

(١) البقرة : ١٨٣ (٢) راجع أقوال المفسرين للآية ٤ من سورة المجادلة

(٣) راجع أقوال المفسرين للآيه ٩٢ من سورة النساء (٤) ثلاثة أيام

(٥) ثلاثة أيام أيضا ، انظر تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة

(٦) راجع أقوال المفسرين للآية ١٩٦ من سورة البقرة.

(٧) راجع أقوال المفسرين للآية ٩٥ من سورة المائدة. (٨) مريم ٢٦

العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى ، لأن النبى ﷺ قال : « من نظر الى امرأة نظرة حراما حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضى الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب » وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم .

عقاب نظرة الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فَسُئل عنها ، فقال : نظرت يوما إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى ، فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت ، وقد نشر الخلائق فى صعيد واحد ، وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها ، وقال الله تعالى لى : جز ياعبدى فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهى فأثر فيه هذه اللمعة ، فقال الله تعالى : يا عبدى نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك . هذا فى المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ولم يغض البصر ؟ ، وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك حق ولا ملك ، وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل رضى . وصيام البطن أن تخمصه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلما . وصيام القدمين أن لا تسعى بهما فى غير طاعة الله عز وجل ، لأنه قد قال رسول الله ﷺ : « من مشى فى إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله فى النار ، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر به إلى النار » وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال :

عقوبة الزنا

« من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كائنة من كانت من النساء فتح الله عليه فى قبره ثلاثمائة باب من جهنم ، يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم ، وشهب من نار فهى تحرقه ، وهو معذب مما يلقى من حيات جهنم وعقاربها ، ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ، ثم يؤمر به إلى النار، وهو يؤذى أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب » وقال ﷺ: « من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام »

وقال ﷺ: « عفوا تعف نساؤكم »[1]، وما من رجل زنى بإمرأة إلا جلد بين يدى الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطا من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو فى مشيئة الله عز وجل .

آفات الزنـــا

وقال ﷺ : « الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات – يعنى فى الدنيا – وثلاث مؤخرات – يعنى فى الآخرة – فأما التى فى الدنيا فإنها تذهب بالبهاء ، وتورث الفقر ، وتقصر العمر ، وأما التى فى الآخرة فإنها توجب سخط الله ، وسوء الحساب ، والدخول فى النار » .

وقال ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على أناس أمامهم موائد حسان وعليها لحم مشوى كأحسن ما يكون من الشواء ، وحولهم جيف أنتن ما يكون من الجيف وهم يأكلون فى الجيف ويتركون الشواء ، فقلت: حبيبى جبريل من هؤلاء ؟، قال : الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحل الله لهم ، وأقبلوا على ماحرم عليهم ، فاليوم يطعمون بما يكرهون ، ويحرمون ما يشتهون » ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرّم الفوحش وحدّ الحدود ، وكذلك من عمل عمل قوم لوط حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع ، ثم يؤمر به إلى النار ، فإذا دخل النار أمر به فأدخل تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد فى تلك المسامير ، فلو وضع ما على عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة ألف أمة لماتوا جميعا ، وهو أشد من النار عذابا ، ومن تاب ورجع فى حياته فإن الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته . فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر فى رمضان وفى غيره .

فالله الله عباد الله صوّموا جوارحكم عن المنكرات ، واستعملوها فى الطاعات تفوزوا بنعيم الأبد فى قرار الجنات ، والتمتع بالنظر إلى جبار الأرض والسموات .

---

(١) أخرجه أبو عمر بن فضالة فى أماليه عن ابن عباس .

الصوم الشرعى

والصوم الشرعى هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر ، ويجوز صوم رمضان بنية من أوله ، فهذا حد الصيام فى اللغة والشريعة .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ (1) فيه أقوال كثيرة ، وأصحها أن المعنى : فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التى سلفت من قبلكم ، قال مجاهد : هم أهل الكتاب .

روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئا إلى الليلة المقبلة ، وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة ، ورخص الله تعالى فى ذلك لهذه الأمة .

وقيل إشارة الله تعالى بقوله ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ إلى الأمم الخالية، وهذه الآية مدح لأمة محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبى إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان ، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم . وقيل إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى ، وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام ، حتى بعث الله محمدا ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان ، فبقى الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم ، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع أربعون رجلا فى الأمر منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه جامعوا نساءهم بعد النوم .

حكاية الأنصارى

وجاء رجل من الأنصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بنى النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته : على رسلك (2) حتى أسخن طعاما صنعته ، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له : الخيبة الخيبة ، حُرِّم عليك والله الطعام والشراب فبات طاويا (3) وأصبح

(1) البقرة ١٨٣ (2) على مهلك (3) جائعا

صائما وعمل فى أرضه فأصابه من التعب ما غشى عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادى بين رجلين فقال له : « مالى أراك أبا قيس طليحا ؟ » والطليح هو الضعيف - وفى لغة أخرى هو التمايل - فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه [1] ، وكانت قصة الأنصارى أولا ، وكانت قصة عمر والأربعين رجلا رضوان الله عليهم آخرا ، فأنزل الله تعالى فى قصة عمر وبدأ بها ، لأن الجناح [2] فى الوطء هو أكثر منه فى الأكل .

قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله فى قصة عمر رضى الله عنه وفى الأربعين رجلا الذين وقعوا فى الوطء هذه الآية﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾[3] إلى قوله تعالى﴿وابتغوا ماكتب الله لكم﴾ [4]وقال الله تعالى فى قصة صرمة بن قيس﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾[5] وهذه رحمة الله تعالى لأمة محمد ﷺ . وقيل : إن النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان فى الإنجيل فكانوا يصومون شهرا فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام ، فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام ، فكانوا يصومون أربعين يوما ، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحما فأوجع فاشتكى فجعل عليه إن برىء يزيد فيه سبعة أيام فبرأ فزادوا فيه ، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا : اجعلوه فى حين لا حر ولا قر [6] فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم ، للإله الكريم الحكيم ، وجعلهم من أصحاب الجحيم ، وجعل ثوابهم لأمة النبى الرؤوف الرحيم

---

(١) قصة صرمة بن قيس فى صحيح البخارى وسنن أبى داود بغير اللفظ الذى ذكره المصنف .
(٢) الإثم (٣) البقرة : ١٨٧
(٤) البقرة : ١٨٧ (٥) البقرة : ١٨٧
(٦) برد

الأعرابى المجتهد

روى عن النبى ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » فقال : هل علىّ غير هذا ؟ فقال : « لا إلا أن تطوع » قال رسول الله ﷺ : « وصيام شهر رمضان » قال : هل علىّ غيره ؟ قال : « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له : هل علىّ غيرها ؟ قال : « لا إلا أن تطوع » قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال النبى ﷺ : « أفلح إن صدق » (١)

ثواب الصيام

وروى عنه ﷺ أنه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) فارغبوا رحمكم الله فى هذا الثواب العظيم ، والملك الجسيم ، وصوموا واحتسبوا ثوابه عندالرب الرحيم ، فإنه شهر أنزل فيه القرآن ، من عند الملك الرحمن ، على النبى محمد عليه الصلاة والسلام . فارغبوا فى فضله ، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولى العقول والألباب ، ولا تملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا .

فضل الصلاة على النبى

وقال رسول الله ﷺ : « أخبرنى جبريل عليه السلام قال : يامحمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعده الله ، فقال النبى ﷺ : آمين ، ثم قال جبريل عليه السلام : من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله . فقال رسول الله ﷺ : آمين ، ثم قال جبريل : يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فأبعده الله ، فقال

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والدارمى ومالك وأحمد .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمزى وابن ماجه والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة

رسول الله ﷺ : آمين » (١) . فالله الله إياكم والموت أن يفاجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره ، وقد فاز العاملون وخسر المبطلون .

صيام الدهر

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » (٢) . وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ (٣) سماهم باسمه ورسمهم برسمه ، وشرفهم حين عرفهم فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ سهل عليكم بذلك موارد الخطاب . فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين ، وأجلّ صفات العارفين ، وأعلا مقام المحبين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ ثم زاد بيانا فقال: ﴿ أياما ﴾ ثم زاد بيانا فقال: ﴿ معدودات ﴾ ثم زاد بيانا فقال : ﴿ شهر ﴾ ، ثم بين أى شهر فقال : ﴿ شهر رمضان ﴾ ، ثم بيّن ورفّق ويسّر فقال : ﴿ كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود من الفجر ﴾(٤) ثم بيّن تمامه فقال ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (٥) ، فكأنه سبحانه وتعالى قال : كتب عليكم الصيام أياما فى السنة ، ووعدتكم عليها المقام فى الجنة ،كتبت عليكم الصيام شهرا ، ووعدتكم الثواب دهرا . كتب الله الصيام على عبيده ، وكتب الرحمة على نفسه ، كتب الصيام أياما معدودات ، وكتب لكم على نفسه الحصول فى الدرجات ، كتب عليكم أن تصوموا شهرا ، وكتب لكم بالحسنة عشرا .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صام رمضان فى إنصات وسكون ، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش

---

(١) رواه الطبرانى ورجاله ثقات عن كعب بن عجرة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان عن أبى أيوب .

(٣) البقرة : ١٨٣ (٤) البقرة : ١٨٧ (٥) البقرة : ١٨٧

إلا فرسخ أو ميل » شك عطاء بن يسار فى هذا الحديث .

وروى عنه ﷺ أنه قال : « لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » . الإشارة فى قوله تعالى ﴿ أياما معدودات ﴾ كأنه سبحانه وتعالى يقول فريضتى عليكم معدودة ، وعطيتى لكم غير محدودة ، عبادتكم لى بارزة ، وطاعتكم من الحين إلى الحين ، وثوابى لكم أبد الآبدين . صيامكم لى من العام إلى العام ، وإباحتى لكم من الجنة أحسن المقام . اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حيّاكم بشهر الصيام ، وشرفكم بملة الإسلام ، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام ، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور ، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور ، تفوزوا فى الجنان بالولدان والحور .

التوبة فى رمضان

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة، فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغفلونه مادام الصائمون يصومون » .

أحاديث عدة فى فضل رمضان

وروى عنه ﷺ أنه قال : « للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحدٌ » (١)

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن لله ملكا رأسه تحت العرش – عرش رب العالمين – ورجلاه فى تخوم الأرضين ، وله جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء ، والآخر من زبرجدة خضراء ينادى كل ليلة من شهر رمضان هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته ، يا طالب الخير أبشر ، ويا طالب الشر أقصر وأبصر » . فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم ، وهذا الثواب العظيم ، من عند الإله الكريم ! ؟ ثم اجتهدوا فى هذا الشهر تسعدوا فى باقى الدهر ، واجتهدوا فى هذه الأيام القليلة

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن حبان والطبرانى عن سهل بن سعد .

تفوزوا بالنعم الجزيلة والراحة الدائمة الطويلة ، . اجتهدوا فى شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم الله فيه بالرحمة ، ويغفر فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم ، ويباهى بكم الملائكة ، فأدوا فيه أنفسكم خيرا فإن الشقى كل الشقى من حرم فيه رحمة الله تعالى » (١) . فالله الله عباد الله إياكم والحرمان ، والتمادى فى العصيان ، ولا ترضوا فى أديانكم بالنقصان ، فى الشهر الفاضل شهر رمضان .

عظيم فضل رمضان

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لو يعلم الناس مالهم فى شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » فقالوا يارسول الله حدثنا به فقال : « إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبَّت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة ، فتصفق ورق الجنان فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين : هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن : يا رضوان ماهذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية : يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ويقول الله تعالى : يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ، ولا تغلقها حتى ينقضى شهرهم هذا ، فإذا كان اليوم الثانى أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار : يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولا تفتحها حتى ينقضى شهرهم هذا ، فإذا كان فى اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن اهبط إلى الأرض فَصَفّد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلهم فى الأغلال ثم اقذف بهم فى لجج البحار كى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبى صيامهم » (٢) . فإذا غلقت فى شهركم أبواب

---

(١) أخرجه الطبرانى وابن النجار عن عبادة بن الصامت

(٢) ذكره السيوطى فى جامعه بنحوه وقال : أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ولم يصب ، وعزاه لأبى يعلى

النيران ، وفتحت أبواب الجنان ، وصفد فيه الملعون الشيطان ، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان ، وأن يمنحكم بمنّه وفضله دار الخلود والرضوان ، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران ، وهو الكريم المتفضل المنان .

الصيام والقرآن شفيعان

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : ربِّ عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعنى فيه ، ويقول القرآن: رب عبدك منعته النوم بالليل وتلانى وحرم النوم من أجلى فشفعّنى فيه فيشفعان » (١)

ويا أخى إذا كان شهر رمضان فى القيامة شفيعا فكن لمولاك فيه عبدا سامعا مطيعا، وليكن قبلك عن معصيته رفيعا (٢)

الصيام باب العبادة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لكل شىء باب وباب العبادة الصيام » (٣) وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن بابا فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجابا . أين من يدل على طريق السعادة ! عسى أصل بعد النقصان إلى الزيادة ، وألزم نفسى الاجتهاد فى العبادة وأنشدوا :

الا خيرا لمقترح النـــــــواح	أطير إليه منشور الجنـــاح
فأسأله وألطفه عســـــــاه	سيسلى ما بقلبى مـن جراح
ويجلو مادجا من ليل جهلــى	بنور هدى كمـنسلخ الصباح
سأصرف همتى بالكل عمـــا	نهانى الله مـن أمـــر المزاح
إلى شهر الخضوع مع الخشوع	إلى شهر العفاف مع الصلاح

---

(١) رواه أحمد والطبرانى وأبو نعيم والحاكم عن ان عمرو .

(٢) من الرِّفعة ، وهى السمو . (٣) رواه أبو الشيخ عن أبى الدرداء .

يجازى الصائمون إذا استقاموا بدار الخلد والحور الملاح
وبالغفران مـن رب عظيـــم وبالملك الكبير بلا بـراح
فيا أحبابنا اجـتهدوا وجـدوا لهذا الشهر من قبل الرواح
على الرحمن أن يمحو ذنوبـى ويغفر زلتى قبل افتضاحـى

فضل السحور

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن الله يحب المتسحرين والملائكة تصلى على المتسحرين وتستغفر لهم »

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تزل أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور» (١)

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام فى رمضان إلى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة ، فإذا فرغ ودعا أمنوا على دعائه ، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات ، ويرفع له فى الجنة بعددهم درجات ، ويمحو عنه بعددهم سيئات ، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة . فالله الله اغتنموا فى هذا الشهر المكرم هذا الثواب العظيم ، ولا تقطعوا نهاره بالغيبة وقبح الكلام ، وتغفلوا فى ليله عن طول القيام ، وتفطروا فيه على السحت والحرام . وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم فى المعاصى والآثام ..، فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام . وأنشدوا :

أتعصى بعد شيب الرأس جهلا كما قد كنت تعصيه غلامـا
أراك من التهاون لا تبالـــى ولا ترعى الصلاة ولا الصياما
وتفرح بالفطور ولا تبالـــى حلالا كان كسبك أم حراما

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم ، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذى بلغنا الله اليه فـى صحة مـن الأجسام ، وسلامة مـن عوارض الأسقام ، فالواجب على مـن عـرف قـدر هذه النعمة التـى سـوغها ، وتفضل هـذه الأيـام التـى بلغها ،

(١) أخرجه أبو موسى المدينى عن حاتم بن عدى الحمصى ..، والرويانى وابن عساكر وأحمد عن عدى بن حاتم الحمصى عن أبى ذر .

يحفظها من التخليط والالتباس ، وأن يكف أذاه عـن جميع الناس ، وأن يحذر لغـو الكلام ، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام .

شدة العقوبة فى رمضان

وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « مـن سرق فـى رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراما أو شرب خمرا أو تعدى ظلما لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول »(١) . فكل من يؤذى فى رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم . فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام ، دائـب على القيام مؤذٍ للأنام ، فهو مـن لسانه وفعله موزور (٢) وعلـى صيامه وقيامه غـير مأجور . أين مـن زاغ عـن الهدى ، ودالٍ على سبيل الردى ، بـل أيـن مـن رانت الذنوب على قلبه ، ولم يبادر بالتوبة مـن ذنبه ، ولم يخف من عذاب ربه ، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبـل أن تصل إلى حلقك السكين ، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور . إلـى أى وقت تعانق حوبتك (٣) ولأى يوم تأخر توبتك، إلى حول حائل أو إلى عام قابل، كلا والله ما إليك الأقدار ، ولا بيدك المقدار ، لعلك إذا انقضى عنك شـهر الصوم ، لم يبق مـن عمرك إلا يـوم ، يا هذا إذا أنت صمن فلتصم جوارحك كلها ، بطنك عـن الحـرام ، ولسانك مـن قبح الكلام ، وبصرك ويـدك وسمعك مـن الإجـرام ، واكتساب الآثام .

كفُّ الجوارح عن الشرور

عباد الله ينبغى لمـن أصبح صائما أن يقول للسانه : إنك اليوم صائم مـن الكذب والنميمة ، وقول الزور والباطل والغيبة ، ولعينيه إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه عيسى بن سليمان أبو طيبة ضعفه ابن معين

(٢) عليه وزر (إثم)   (٣) الحوبة : الإثم

لا يحل لكما ، وللأذنين إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى ما يكره ربكما ، ولليدين إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم الله عليكما من الغش فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، وللبطن إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظرى على ماذا تفطرى وتجنبى المطعم الخبيث الذى تدعين إليه فإن الله طيب ولايقبل إلا الطيب ، وللقدمين إنكما اليوم صائمتان من السعى إلى ما يكتب عليكما وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه . ومن وفق لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه ﷺ . ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها مادام حيا ، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء ...وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه . فالله الله عباد الله امتثلوا فى هذا الشهر المكرم وفى غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه .

أصل رمضان فى اللغة

قال الله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ (١) فما جعله هدى فلا يكون ضلالة ، وما جعله بيانا فلا يكون جهالة ، وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة .

شهر رمضان ، قيل: سمى رمضان لشدة الحر فيه وقيل: أُخذَ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والإعتبار بأمر الآخرة. قال الخليل : الرمضاء الحجارة ، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء ، فسمى رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها ، وقيل : سمى بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلا ، ويطهر القلوب تطهيرا . وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتى قبل الخريف . وقيل: رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة ، ويرفض قوما إلى محل القربة والزلفى ، ويرفض آخرين إلى محل البعد والسخطة . وقيل : سمى شهراً لشهرته . وهو شهر الإيقان ، وشهر القرآن ، وشهر الإحسان ، وشهر الرضوان ، وشهر الغفران ، وشهر إغاثة اللهفان ، وشهر التوسعة على الضيفان ، وشهر تفتح فيه أبواب

---

(١) البقرة : ١٨٥

الجنات ، ويصفد فيه كل شيطان ، وهو شهر الأمان والضمان ، شهر يخفف فيه عن المملوك . تزهر فيه القناديل ، وينزل فيه بالرحمة جبريل ، ويتلى فيه التنزيل ، ويسمح فيه للمسافر والعليل ، شهر رمضان للعباد مثل الحرم فى أم البلاد (١) الحرم يمنع منه الدجال اللعين ، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين . شهر رمضان فى الدنيا ، مثل الجنان فى العقبى ، سدر مخضود ، وطلح مضود ، وظل ممدود ، وملكه خلود ، متصل ليس يبيد ، وفى رمضان بذل المجهود ، ورضا الرب المعبود ، وحفظ الحدود ، وإظهار الكرم والجود . أقبل الصوم يا مسكين ، وكلنا مساكين ، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار ، مُصرٌ على الآثام والأوزار ، عامل بأعمال أهل النار ، متشبه بالنساك والأخيار ، وأنت فى جملة الفساق والفجار ، وقد اطلع على سرك وضميرك عالم الضمائر والأسرار . وشهر الصوم شاهد عليك ، والملائكة تلعنك والله لا ينظر إليك ، وهو جل جلاله بإعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك ، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور . والله سبحانه وتعالى ينظر من عبده إذا لم ير أثرا لشهر رمضان من ملكه لجوارحه يقول جل جلاله : هذا عبدى لا يعرف لشهرى هذا فضلا ، وأنا أعلم الآن له عندى فضلا

عظة بليغة

أفق يا ذا الغى والمحال ، واستيقظ يا ذا السهو والإغفال ، وانتبه من السكرات الطوال . أترضى يا مسكين أن يرد صومك فى وجهك من غير قبول من الله ؟ أتستحسن أن تكون جائعا عطشانا وليس لك جاه عند الله ؟ أين النية المجردة ؟ ، أين التوبة المجددة ؟ ، أين الندامة المؤكدة ؟، أين الحلال من الطعام ؟ ، أين اجتناب الطعمة الحرام ؟ ، أين حجر الأوزار والآثام ؟ ، أين الرحمة لذوى الفقر والضعفاء والأيتام ؟، أين الإخلاص للملك العلام ؟، أين التزام شريعة الإسلام ؟، أين الأسوة بالنبى عليه الصلاة والسلام ؟، أنظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع ، وأحييت ليلك بطول السجود والركوع ، إنك فيما تظن صائم ، وأنت فى جهالتك

---

(١) مكة

جازم ، وفى صلاتك دائم ، وفى بحار سكراتك هائم . أين أنت من التواضع والخشوع ؟، أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع ؟، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين فى شهر رمضان ؟ كلاً والله حتى تخلص النية وتجردها ، وتطهر الطوية وتجودها ، وتجتنب الأعمال الدنية ولا تردها ، وتكثر البكاء والحسرة ، وتسيل الدموع والعَبْرَة ، وتلزم الفكرة والعِبْرَة ، وتسأل مولاك إقالة العثرة ، فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء ، ومن العيوب سترة وجلبابا . أين الصائمون ؟ ، أين القائمون ؟، أين الطائعون ؟، أين العاملون ؟، أين السابقون ؟، أين الخاشعون ؟، أين الذاكرون ؟، أين القانتون؟، أين الصادقون؟، أين الصابرون ؟، أين المتصدقون ؟، أين الآمرون بالمعروف ؟، أين المغيثون الملهوف ؟، أين الناهون عن المنكر ؟، أين المستشعرون للفكَر ؟، أين السامعون للعبر ؟، بادوا والله مع الصالحين ، وانقلبوا مع المؤمنين ، ونزلوا مع النبيين ، وسكنوا مع الصديقين ، وبقينا والله مع الجاهلين ، وسكنا مع الفاسقين وتأسينا بالغافلين ، واصطلحنا على معصية رب العالمين . فصيامك يا مسكين فى وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود ، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود، وأعمالك بالفسق موصولة ، وجوارحك للعصيان مبذولة ،وألفاظك فى الغيبة مجعولة ، وعزيمتك للطاعة محلولة ، وعبادتك فى هذا الشهر غير مقبولة ، وفرائض مولاك بالمعاصى مهمولة . وأنشدوا :

الصوم جنة أقوام من النــــــار   والصوم حصن لمن يخشى من النار
والصوم ستر لأهل الخير كلهــم   الخائفين من الأوزار والعــــــار
والشهر شهر إله العرش من بــه   ربٌ رحيم لثقل الوزر ستــــار
فصام فيه رجال يربحون بــــه   ثوابهم من عظيم الشأن غفـــار
فأصبحوا فى جنان الخلد قد نزلوا   من بين حور وأشجار وأنهــــار

فهنيئا لمن أطاع الملك الرحمن ، فى شهر الرحمة شهر رمضان ، لقد فاز بالحور والولدان فى دار السلام والرضوان . صبروا الأيام القليلة ، فأعقبهم الراحة الطويلة ، والنعمة الجزيلة ، كلما تعودت من الخير وما تعمل فى هذا الشهر ، جوزيت إلى آخر العمر ، فإن الخير عادة ، والشرلجاجة . أين أنت يا صائم يا قائم ؟ ، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم . تاجر مع مولاك فإنك تربح ، وعامله فإنك تفلح ، واعتذر

إليه فإنه يقبل عذرك ، واستغفر ه فإنه يغفر ذنبك ، وارغب إليه يكشف كربك ، واسأله من فضله فإنه يوسع رزقك ، وتب إليه فإنه يعظم حظك ، يا أخى هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب ، وتلين فيه النفوس والقلوب ، وتغفر فيه الأوزار والذنوب، وينفس الله عن الحزين المكروب ، يقول المولى جل جلاله لملائكته: يا ملائكتى أنظروا إلى الألسن اليابسة كيف تبتل بذكرى ، أنظروا إلى الأحداق (١) الصلبة كيف تدمع من خوفى، أنظروا إلى الأقدام المنعمة تنصب فى المحاريب ابتغاء وجهى.يا أخى متى أطعمت فى هذا الشهر لله رب الأرضين والسموات رفعت إلى الدرجات فى قرار الجنات،وحصلت مع مولاك مكسيا من الحسنات عريانا من السيئات .

تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة : صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى . وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع . يا أخى من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة ، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضى ، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى ، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ، ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد ، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص ، فهو سالم ، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم ، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد . قال الله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ (٢) يا أخى هذه رحمة مولاك رضى أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك . رخص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر ، ورخص لك أن تفطر متتابعا ، وتقضى إن شئت متفرقا

(١) جمع حدقة ، وهى سواد العين . (٢) البقرة : ١٨٤

ليسهل عليك ، وتصوم الأيام القصار عوضا عن الأيام الطوال ، وهذا الرفق .

تمثيل الشهور كإخوة يوسف

قيل: الشهور الإثنى عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام. وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علاّم الغيوب .

نكتٌ فى ذلك

نكتة حسنة لأمة محمد ﷺ : إن كان فى يوسف من الحلم والعفو ما غَمَرَ [1] جفاهم [2] حين قال : ﴿ لا تثريب [3] عليكم اليوم ﴾ [4] فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات ، والنعمة والخيرات ، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور ، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار .

نكتة حسنة : الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه فى سد الخلل ، وإزاحة العلل ، بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل . فأحسن لهم الأنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم فى الجوع وأذن لهم فى الرجوع ، ﴿ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها ﴾ [5] فسد الواحد خلل أحد عشر. كذلك شهر رمضان واحد ، والشهور أحد عشر ، وفى أعمالنا خلل وأى خلل ، وتقصير وأى تقصير ، وتفريط فى طاعة العليم الخبير . ونحن نرجو أن نتلافى فى شهر رمضان ما فرطنا فيه فى سائر الشهور ، ونصلح فيه فاسد الأمور ، ويختمه علينا بالفرح والسرور ، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور . إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه ، وعفوه وغفرانه ، إنه سميع بصير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى : كان ليعقوب أحد عشر ولدا ذكورا وبين يديه حاضرين ينظر

---

(١) غطى (٢) من الجفوة والجفاء (٣) لا لوم
(٤) يوسف : ٩٢ (٥) يوسف : ٦٢

إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم ، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم ، وارتد بقميص يوسف بصيرا ، وصار بصره منيرا ، وصار قويا بعد الضعف ، بصيرا بعد العمى ، فكذلك المذنب العاصى إذا شم روائح رمضان ، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن ، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان ، وترك الغيبة وقول البهتان ، يصير إن شاء الله مغفورا له بعد ماكان عاصيا ، وقريبا بعد ما كان قاصيا ، ينظر بقلبه بعد العمى ، ويسعد بقربه بعد الشقا ، ويقابل بالرحمة بعد السخط ، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب ، ويوفق طول حياته ، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة ، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء ، ويحظى فى الجنان بدرجات الالتقاء .

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة ، فى هذه الأيام القليلة ، تعقبكم النعمة الجزيلة ، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله. هذه والله الراحة الوافرة ، والمنزلة السائرة ، والحالة الرضية ، والجنة السرية ، والنعمة الهنية ، والعيشة الرضية، لا تنال إلا بالوقار ، لهذا الشهر الذى عظمه الجبار ، وفُضّل به محمد المختار ، ومن لا يوقره كان مصيره إلى النار .

رمضان فى القيامة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتى والملائكة يضربونه وجها ودبرا ، فيتعلق بى ويقول يا محمد المستغاث المستغاث بك ، فأقول يا ملائكة ربى ماذنبه ؟ فيقولون أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة ، فأقول هل قرأت القرآن ؟ فيقول : تعلمته ونسيته ، فأقول : بئس الشاب أنت ، فلا هو يتركنى ولا الملائكة يتركونه ، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول : إلهى شاب من أمتى ، فيقول الله تعالى : إن له خصما قويا يا أحمد ، فأقول: ومن خصمه يا رب حتى أرضيه ؟ فيقول الله تعالى : خصمه شهر رمضان ، فأقول: أنا برىء ممن خصمه شهر رمضان ، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان ؟ فيقول الله تعالى : وأنا برىء ممن أنت برىء منه، فينطلق به إلى النار » فالله الله عباد الله لا تهونوا شهرا عظّم الله حرمته وأوجب حقه وقد فضلكم به على سائر الأمم ، وهو هدية من الله تعالى إليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم عن سائر الأمم ، وهو

هدية من الله تعالى إليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم ، ويستر عن النار عيوبكم ، ويغشيكم منه الرحمة ، ويرفع عنكم فيه النقمة ، ويفضلكم بجزيل النعمة ، ويشرح صدوركم بنور الحكمة .

خسران العاصي في رمضان

روى عن النبي ﷺ أنه قال : « سمعت جبريل يقول : سمعت الله عز وجل يقول : يؤتى بشاب يوم القيامة باكيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد ومن نار وهو يقول : الأمان الأمان ألف سنة ، ولا أمان له ، ثم يساق فيوقف بين يدى الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه إلى النار ، قلت : يا جبريل من هو ؟ قال : شاب من أمتك ؟ قلت : وما ذنبه ؟ قال : أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب إليه كى يغفر الله له فأخذه الله بغتة » فالله الله عباد الله اسمعوا آذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم ، ويغفر العظيم من ذنوبكم . هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم ، ويكرمه الله بجنات النعيم ، والمستخف بحقه عند الله لئيم ، مأواه فى قرار الجحيم ، مع الشيطان الرجيم .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان والناس فى الموقف فيقولون : من هذا ؟ نبى أم رسول أم ملك ؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه !! فيقوم بين يدى الجبار جل جلاله فيقول : من كان له قبلى حق فليقم ، فيقولون : من أنت ؟ فيقول : أنا رمضان ، قال النبى ﷺ فتقوم أمتى إليه وبيده قضبان من نور تضىء ما بين المشرق والمغرب ، فمنهم من يعطى قضيبا يضىء له مسيرة شهر ، وآخر يضىء له مسيرة جمعة ، وآخر مسيرة يوم ، وآخر مسيرة ساعة ، وآخر موضع قدميه ، فمن شاء فليوقره ، ومن لا يوقره فيسام عذابا يصيبه عند الأنوار من الحسرة والندامة » فيا معشر أهل رمضان وقّروا شهرا تنعموا فيه دهرا ، ووقروا الخطر اليسير وتجازوا بالملك الكبير ، ووَقّروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل ، وقّروا اليسير من الأيام تنظرون إلى وجه ذى الجلال والإكرام .

موعظة للحسن البصرى

روى أن الحسن البصرى مرّ بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال : إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه الباطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته . فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين ، فى شهر شرفه رب العالمين . فالله الله أصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة ، وأحرصوا فيه على طلب طريق الإستقامة ، إلى أن يفضى بكم إلى دار الكرامة ، والخلد والمقامة ، وسرمد العز والكرامة ، وينجيكم من هول يوم الطامة .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان ينام من الليل نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوما » (١)

الصيام باب العبادة

روى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال : ليس فى العبادات أفضل من الصيام لأنه باب العبادة . وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب العظيم وليس فى الذنوب إلا عظيم ، لأننا إنما نعصى بها الرب العظيم . وقد قالوا : لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت ! تاب الله علينا حتى لا نعصيه . فالله الله عباد الله غضوا أبصاركم فى هذا الشهر العظيم وفى غيره عن النظر إلى المحظورات ، واحبسوا ألسنتكم عن أخذ أعراض المسلمين والمسلمات ، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوى الحاجات ، وقوموا فى لياليكم فيه بكثرة الصلوات ، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات ، وتضرعوا إلى الله فى إقالة العثرات . عساه يبدّل سيئاتكم بالحسنات .

فإن قيل : ما الحكمة فى فرض شهر رمضان ؟ ففيه أقوال : أحدها أن الله تعالى أمرنا أن نصوم فيه ونجوع لأن الجوع ملاك السلامة فى باب الأديان والأبدان

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد عن ابن عمرو .

عند الأطباء والحكماء . وقيل : « ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه » [1] ، والحكمة ملك لا يسكن إلا فى بيت خال .

فضل الجوع

روى عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : من شبع من الطعام عجز عن القيام ، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام ، وإذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطاعات ، وقعدت الجوارح عن العبادات . وأنشدوا :

تجوّع فإن الجـوع يورث أهلـه   عواقب خـير عمّها الدهر دائـــم
ولا تك ذا بطن رغيـب وشهـوة   فتصبح فى الدنيا وقلبك هائـــم

وروى عن ذى النون المصرى رحمة الله تعالى عليه أنه قال : تجوع بالنهار وقم بالأسحار تر عجبا من الملك الجبار .

وروى عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : لو كان الجوع يباع فى السوق لكان المريد محقوقا إذا دخل السوق أن لا يشترى شيئا غيره .

والله تعالى قد فضلكم بدين الإسلام ، ومَنّ عليكم بشهر الصيام ، والله أعلم .وأنشدوا :

وربك لوأبصرت قوما تتابعـــت   عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهـــدا
لأبصرتهم قد حاربوا النوم وارتدوا   بأردية السهاد واستعملوا الكـــدّا
وصاموا نهارا دائما ثـم أفـــطروا   على بلغ [2] الأقوات واستقربوا البعدا
أولئك قوم حسن الله فعلهـــم   وأورثهم من حسن فعلهم الخلـــدا

قيل : أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لأنه ليس على أهل النار شىء أشدّ من الجوع وذلك أن الله تعالى بلقيه عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجـــوع . فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى ﴿ إن لدينا أنكـالا وجحيمـــا * وطعامـــا ذا غصـة وعذابـا أليمـــا ﴾ [3] فيعبـر فى حلوقهم

(١) رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن ماجه والطبرانى والحاكم وابن حبان عن المقدام بن معدى كرب
(٢) البلغة من الطعام ما يكفى لسد رمق الإنسان .   (٣) المزمل : ١٢ – ١٣

فيقولون إنا كنا نبتلع الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون المهل كما قال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ﴾ [1] فأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع ، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الأمم ، فآمنت به هذه الأمه وكفرت به سائر الأمم، وهذا من لطف الله تعالى على أمه محمد ﷺ . وأنشدوا

إذا المرء لم يترك طعاما يحبـــه	ولم يعص قلبا غاويا حيث يمما
قضى وتراً منه يسيراً وأصبحت	إذا ذكرت أمثاله تملأ الفمـــــا

وقيل فرض عليهم صيام شهر رمضان لأن الزهد زهدان ، زهد فى الحلال وزهد فى الحرام وأشرفها الزهد فى الحلال، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام . وقيل حتى يذكروا بشدة الصوم شدة القيامة ، لأنه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع ، وليعلموا انه إذا كانت فى طاعة الله شدة ،فإن الجوع فى النار أعظم شدة .فالله الله عباد الله اجتهدوا فى حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يفوز فيه الصائم ، ويحشر فيه المتأنى المتهاون الظالم، إذا عرضت عليه الأوزار والجرائم ، وانتهاك المحظورات والمحارم .

سبب فريضه الصيام

فإن قيل لما فرض رمضان ثلاثين يوما ؟ فالجواب : إنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فإذا صمت ثلاثين يوما أعانك الله بالعافية والسلامة والسعادة والكرامة ثلاثين سنة . فالله الله جدوا واجتهدوا فى هذا الشهر بلا إفراط ، وخذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا من المكث الطويل على الصراط .

رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم ، فإن أكرموا شأنه وعظموا مكانه ،وشرفوا منزلته ، وعرفوا فضيلته ، رجع الرسول إلى السلطان شاكرا لأفعالهـم ، مادحـاً لأحوالهـم ، راضيـا لأعمالهـم ، فيحبهـم السلطـان على ذلك

---

(١) سورة الكهف الآيه :ـ ٢٩

فيحسن إليهم كل الإحسان . وإن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته ، ولم ينزلوه منزلته من الإكرام ، وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم ، وسيئ أعمالهم ، فيغضب السلطان لغضبه . كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان .فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان ، شهر التوبة والغفران ، وهو رسول من عند الملك الديان ، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام ، وبطنه من أكل الربا والحرام ، وأموال الأرامل والأيتام ، غفر له الملك العلام ، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام .

أحاديث فى فضل الصيام

روى عن النبى ﷺ أنه قال « ما من مؤمن يصبح صائماً إلا فتحت له الجنة ، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب فإن صلى ركعتين تطوعا أضائت له السموات نوراً وإن سبح وهلل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتوارى بالحجاب » (١) فالله الله عباد الله ، يا أهل الذنوب ، ياأهل المعاصى والعيوب ، يا من عصى مولاه علام الغيوب ، إعملوا فى بقيه شهركم ليوم وفاتكم وفقركم ، إذا وقفتم بين يدى ربكم .

وروى أن النبى ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان : « إن الله قد فرض عليكم شهر رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه » (٢) وقال فى حديث آخر : « ومن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة » فالله الله ارغبوا فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم .

وروى أن النبى ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان : « مرحباً بالمُطَهِّر» قالوا : يا رسول الله وما المطهر ؟ قال : « مطهر من الذنوب والخطايا » اللهم اكتب لنا فيه براءة من النار وشريعة من الإيمان ، فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول فى جوار ربكم ،

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير بنحوه وفيه جرير بن أيوب وهو ضعيف

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الرحمن بن عوف

واحفظوا العهود فى صيام شهركم ، فأدوا زكاة فطركم .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقا بين السماء والأرض حتى يؤديها » فالله الله عباد الله اتبعوا ماأمركم به النبى الرسول ، وأطيعوا ربا لايحول ولا يزول ، ولاتغيره الأيام ولا الدهور لا إله إلا هو العزيز الغفور .

١٤- المجلس الرابع عشر
فى تحريم الخمر وما جاء فيها

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله : ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر فى كتابه فى ثلاثة آيات فذمها فى الإثنتين وحرّمها فى الثالثة . فالاثنتان الأولتان منسوختان ، والثالثة الناسخة ، وذلك أنها كانت تشرب فى أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة ، فالناسخة : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (١) فهذا تحريم ، وكذلك نهى الله فى كتابه كله تحريم فى كل مانهى عنه ، كما أن كل ما أمر به فرض مفترض ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهى الأصنام التى كانت تعبد من دون الله ، وقد قال تعالى فى آية أخرى:﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ (٢) فقد قرن فى نهيه بين الخمر والأصنام التى كانت تعبد من دون الله تعالى ، فلما نزل تحريمها بعث رسول الله ﷺ مناد ينادى فى المدينة : ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر، إن الله ورسوله يحرمان الخمر . فقال بعضهم - وهم يشربونها - : صه صه حين سمعوا المنادى . يقول : اسكتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادى ، فلما تبينوا منه قوله قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فكفوا عنها وأهرقوا ما بقى عندهم منها ، ثم ندموا على ماشربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم ، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح

---

(١) المائدة : ٩٠ (٢) الحج : ٣٠

فـيـمـا طـعـمـوا إذا ما اتـقـوا وآمـنـوا وعـمـلـوا الصـالـحـات ﴾ [١]

تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر فى سورة النحل فى قوله سبحانه ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ﴾ [٢] قال الشيخ : وهذا ظاهره تعداد النعمة ، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ ، يقول الله تعالى : رزقتكم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك وتعالى اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم ، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ﴾ [٣] فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكرا ، وبدلتم الطيب بالخبيث ، وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل فى معاصى الله تعالى ، فلما نزلت هذه الآيـة وقـد أعـاب الله تعـالـى فـى الخـمـر امتنع نـاس مـن شـربهـا ، وبـقـى علـى شـربـهـا الأكـثـرون، حـتـى هـاجـر رسـول الله ﷺ إلـى المـديـنـة .

حمزة عم النبى والخمر

فخرج حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقيه رجل من الأنصار وبيده ناضح له [٤] ، والأنصارى يتمثل ببيتين من شعر لكعب بن مالك فى مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما :

جمعنا مع الإيواء نصرا وهجـــرة ... فلم يرج مثلنا فى المعاشـــر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة رضى الله عنه: أولئك المهاجرون ، فقال الأنصارى : بل نحن الأنصار ، فتنازعنا ، فجَرَّدَ حمزة سيفه وعدا على الأنصارى ، فلم يمكـن الأنصارى أن يقـــوم

(١) المائدة : ٩٣ (٢،٣) النحل : ٦٧ (٤) الناضح : البعير يُسقى عليه الماء

به ، فانهزم وترك ناضحه ، فقصد حمزة إلى الناضح فضربه بالسيف فقطعه ، ومضى الأنصارى مستعدياً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر حمزة وفعاله بالناضح ، فأعطى النبيُّ ﷺ الأنصارى ناضحاً .

عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما ترى ما نلقى من أمر الخمر يا رسول الله ؟! إنها مذهبة للعقل ومتلفة للمال ، فأنزل الله تعالى بالمدينة : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ (١) وقرىء كثير والمعنيان متقاربان ﴿ ومنافع للناس ﴾ (٢) وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول : أين المنفعة ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرّم عليها » (٣) فالجواب عن ذلك : أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالثمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالثمن الكثير ، وكانت المنافع التى فيها من الأرباح . وكذلك قال الله سبحانه : ﴿ قل فيها إثم كبير ﴾ (٤) فانتهى عن شربها قوم وبقى قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قوما فأطعمهم وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلى بهم .

ابن أبى جعونة والخمر

وكان أكثرهم قرآنا رجل يقال له أبو بكر بن أبى جعونة وكان حليف الأنصار ، فقرأ فاتحة الكتاب و ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ فمن أجل سكره خلط فقرأ : « قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون » ، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على ذلك ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك . فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (٥) فكانوايشربونها بعد

---

(١) ، (٢) البقرة : ٢١٩

(٣) رواه الحاكم والبيهقى عن ابن مسعود موقوفا ..، ورواه الطبرانى فى الكبير وأبو يعلى والبيهقى فى سننه عن أم سلمه . (٤) البقرة : ٢١٩ (٥) النساء : ٤٣

صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون ، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة.

سعد بن أبى وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبى وقاص الزهرى رجلا لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناسا من المهاجرين ، فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا ، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحيى الجزور فضرب به أنف سعد ففزره [١] فجاء مستعديا إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [٢] الآية فاختلف العلماء من أهل التفسير فى موضع التحريم هل وقع فى قوله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ [٣] أو فى غير هذا الموضع . وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع فى قوله تعالى : ﴿ فاجتنبوه ﴾ [٤] وقال الأكثرون منهم بل وقع فى قوله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ [٥] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى سورة الفرقان فى قوله : ﴿أتصبرون ﴾ [٦] والمعنى اصبروا ، وكذلك فى الشعراء:﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ [٧] والمعنى اتقوا . وكذلك فى سورة يوسف ﷺ وعلى نبينا محمد وسلم قوله ﴿ تزرعون سبع سنين دأباً ﴾ [٨] والمعنى إزرعوا . وفى سورة الواقعة قوله ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها ﴾ [٩] يعنى الروح والمعنى ارجعوها ، وكذلك قوله فى الخمر : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ [١٠] والمعنى انتهوا فقالوا.عند ذلك:انتهينا انتهينا يا رسول الله، وهذه من الأخبار التى معناها الأمر . وقال بعض أهل العلم : إن تحريم الخمر فى الآية التى فى الأعراف قوله تعالى ﴿ إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها

---

(١) أى : شقّه ، والحديث فى صحيح مسلم ومسند أحمد (٢) المائدة : ٩٠
(٣) المائدة : ٩١ (٤) المائدة : ٩٠ (٥) المائدة : ٩١
(٦) الفرقان : ٢٠ (٧) الشعراء : ١١
(٨) يوسف : ٤٧ (٩) الواقعة : ٨٦ - ٨٧
(١٠) المائدة : ٩١

وما بطن والإثم ﴾ (١) والإثم : هى الخمر ، وقال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى   كذاك الإثم يذهب بالعقول

وقال آخر :

نشرب الإثم بالكؤوس جهارا   نترك الهتل بيننا مستعارا

والهتل : الأترنج . فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله فى مواطنه ، وأما تحريمها فى الأنعام فى قوله تعالى : ﴿ قل إنما أوحى إلىّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾ (٢) فإنه رجس والدم رجس ، والميتة رجس ، والخمر رجس ، بل الخمر أكثر رجسا ، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد ، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل ، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالى . أما قول الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٣)

أحاديث فى تحريم الخمر

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « كل مسكر حرام » (٤) وما أسكر كثيره من جميع الأشربة فقليله حرام .

وفى حديث آخر قال ﷺ : « كل شراب أسكر فهو حرام » (٥) واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر ، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصده عن الإيمان وعن طاعة الرحمن ، وأغلق فى وجهه أبواب الخير كله . وأنشدوا :

الخمر داعية إلى العصيان   والخمر قائدة إلى النيران
والخمر شاربها يصدّ عن الهدى   ويبدل الطاعات بالعصيان
والخمر شاربها حليف ضلالة   ويبدل الإيمان بالكفران

---

(١) الأعراف : ٣٣   (٢) الأنعام : ١٤٥   (٣) الحشر : ٧

(٤) رواه أبو داود والترمزى وحسنه والبيهقى عن عائشة ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن عمر .

(٥) البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن عائشة .

شرب المدامـة للإله عـــــداوة	ومـحبـة للمارد الشيطـــــان
فبادروا التوبـة يا أهل الزنـــــــا	وتقـربوا للـواحـد الديـــــان
وتباعـدوا عن شرب مفتاح الردى	ومغـالق الخيرات فـى الإيمـان
فهـى محرمة أتى تحريمهـــــــا	فـى محكم الآيـات والقــــرآن

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخمر جماع الأثم » وهذا الحديث يخرج منه قول النبى ﷺ :« ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة » وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة ، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام ، فهى جامعة للآثام ، قائدة إلى الحرام ، قاطعة عن طاعة الملك العلام .

الخمر شرٌ كلُه

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الخمر مفتاح شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر » [١] فهنا قد قال رسول الله ﷺ: « الخمر مفتاح كل شر » وما كان مفتاحا للشر كله ، وكان مغلاقا للخير كله . فإذا شربتم القهوات [٢] ، وعصيتم رب الأرضين والسموات ، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات ، وانفتحت لكم أبواب المنكرات ، وحلت بكم عظائم المصيبات ، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات ، عاقبكم بأشد العقوبات ، فى دار المصائب والحسرات ، ومحل العذاب والبليات . وأنشدوا:

أهل الخمور من الرحمن قد بعدوا	وفى العذاب على الخسران قد وردوا
بشربهم من إله العرش قد بعـــدوا	وفى الصدور مع الشيطان قد وقعـوا
دع المدامة [٣] لا تسلك طريقتها	فأهلها لنعيـم الرب قـد جحـــدوا
وقد تواعدهم رب السماء علـــــى	شرب الخمور بـنار جـمرها يقـــد
غدا ترى أهل شرب الخمر كلهم	بدار ويل علـى النـيران قـــد وردوا

(١) أخرج الديلمى آخره عن أنس بلفظ : الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها تعلو الشجر

(٢) القهوة : اسم من أسماء الخمر ، وليست القهوة التى يشربها الناس اليوم .

(٣) المدامة : الخمر

قول ابن عباس فى السكران

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : من بات سكرانا بات للشيطان عروسا ، وللعروس حبيبا ، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن ، وإذا كنت عدو الرحمن فأنت من أهل الهوان ، فى سموم النيران .

عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره ، ونهاكم بنهيه ، ومَنّ عليكم برفقه، ووسع عليكم من سعة رزقه ، وجعلكم من خير الأمم ، وأسبل عليكم جزيل النعم ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه ، فإنه ذو انتقام وعذاب ، ورحمة وثواب ، فأطيعوا مولاكم فى جميع الأمور ، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمور ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

يا شارب الخمر ترجو أن تنال به   عفو الإله وأنت اليوم مطـــرود
وأنت تشرب دهر الله منهمـــكا   وأنت عن طاعة الرحمن مفقود

شربتم الخمور ، وعصيتم الرب الغفور ، وهتكتم الستور ، وركبتم الفواحش والفجور ، وتهاونتم بصعاب الأمور ، ولم تفكروا فى العرض والنشور ، والوقوف بين يدى من يعلم ما تخفى الصدور .

ثمن الخمر خسارة

ذكر فى بعض الأخبار ما من عبد أنفق فى الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهما ، وجعل الله كل درهم ينفقه فى الخمر سلسلة فى عنقه من نار جهنم ، وجعله ثعبانا يأكله فى قبره إلى يوم القيامة ، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه فى نار جهنم ، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله إليه ، وإنما يكتب له صاحب الشمال، لأن رأس العبادات هى الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته ، وصاحب الخمر لا تقبل صلاته فإذا تاب تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كل ذنب عمله فى حال شربه ، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه ، ويكون أفضل ممن لم يشربها فى الدنيا . وأنشدوا :

لا تشرب الخمر يا مغرور إن لهـا   وزرا عظيما لدى الرحمن فى الحشر

الخمر تبعد عن حق الإله وعن شرع الرسول الذى فى محكم الذكر
إن الذى قطع الأيام يشربهـــا له عذاب شديد كاشف الســـــتر

روى أن النبى أعار عليا بعيرين ليأتى عليهما بإذخر(1) يستعين به على زفاف فاطمة رضى الله عنها،فجاز بهما على رضى الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستأجر يهوديا ليخرج معه،ويأتى بالإذخر وكان حمزة يشرب، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل،فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل بأكبادهما ، فجاء على رضى الله عنه فوجد البعيرين نحيرين(2) فمضى إلى النبى ﷺ فشكا إليه ، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبى ﷺ .

كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضى الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال : ألستم بعبيدى ؟! (3) فتأخر رسول الله ﷺ وقال : «لست بعبد لأبيك » فقال عمر رضى الله عنه : اللهم إن الخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال ، فأنزل اللهم لنا فى الخمر بيانا ، فأنزل الله سبحانه ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾ (4) إثم أى فى تناولها ، ومنافع للناس فى ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف .

قراءة السكران

فقال قوم : نشربها لما فيها من المنفعة ، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ، فقال عمر رضى الله عنه : اللهم أنزل علينا بيانا فى الخمر ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى

---

(1) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة (2) نحيرين : مذبوحتين
(3) القصة عند البخارى ومسلم وأحمد (4) البقرة : ٢١٩

حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (١) فكانوا يشربونها فى غير أوقات الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبى وقاص ما كان مع الأنصارى وقد تقدم ذكره فقال عمر رضى الله عنه : اللهم أنزل علينا فى الخمر بيانا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ (٢) إلى آخر الآيتين إلى قوله ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ (٣) فقالوا بأجمعهم : انتهينا يا رسول الله انتهينا ، فعند ذلك بعث النبى ﷺ مناديا ينادى فى المدينة ، ألا أن الخمر قد حرمت . قال أنس بن مالك : فسمعت النداء وأنا أسقى طلحة فى رهط من الأنصار الفضيخ (٤) والبُسر والرطب فوالله ما انتظروا حتى قالوا يا أنس أخرجها عنا فأهريقت فى الحين فانتهوا .
فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم ﷺ فما لكم لا تتأسوا بأفعالهم ، وتقتدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم ، وتسمعون أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم ، فعساه يجعل الجنة مأواكم ، ويكرم فى الآخرة مثواكم ؟ ، فراقبوه فإنه يراكم ، ويعلم سركم ونجواكم ، والله أعلم . وأنشدوا :

لا يشرب الخمر إلا فاجر بطرُ (٥)   قد خالف الله والقرآن والرسـلا
بئس الشراب وبئس الشاربون لهـا   لا يسلكون إلى دنياهم سبـلا
هى الدليل إلى دار الجحيم غـدا   بئس الدليل ولا يرجى لهم حـولا
إلا يتوب عسى الرحمن يقبلـه   فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلا

من مات يدمن الخمر

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها فى الآخرة » (٦) وهى والله من ألذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ (٧) يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات ، فـى قرار

(١) النساء : ٤٣   (٢) المائدة : ٩٠   (٣) المائدة : ٩١
(٤) عصير العنب   (٥) البطر : الطغيان مع النعمة
(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة والدارمى ومالك وأحمد
(٧) محمد : ١٥

الجنات ، وعصيت رب الأرضين والسموات ، بشربك القهوات المحرمات ، فى محكم الآيات ، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات ...، وأنشدوا :

أكثر الخمر من عيوبي ... وزاد حزني مع الكروب
جل مصابي وضاق ذرعي ... واسود قلبي من الذنوب
يا ليتني تبت باجتهاد ... لعالم الجهر والغيوب
الخمر مفتاح كل شر ... لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر

روى عن النبى ﷺ أنه قال :« بعثنى الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا أو مغفورا له،ولا يدعها عبد من مخافتى إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس »[1] فيا معشر الإسلام ، أطيعوا مولاكم الملك العلام ، ولا تخالفوا القرآن والأحكام ، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام .
وأنشدوا :

إلى الله أشكو ضيق صدرى من الضر ... وعظم خطايا كالجبال وكالقطر
لعل إلهى أن يجود بعفوه ... وينقذ عبدا عام فى غمرة السكر
ظلوما غشوما لا يفارق محرما ... ولا يستفيق الدهر من فتنة الخمر
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى ... لئن لم يجد لى عالم السر والجهر

شارب الخمر فى القيامة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « والذى بعثنى بالحق إن شارب الخمر يأتى يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته : خذوه ، فيبتدرون له سبعون ألف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رؤوس الشياطين ، ولا يكاد يسيغه ، فيخرج الدود منه فيتعلق

(١) أخرجه ابن النجار والحسن بن سفيان وابن منده وأبو نعيم عن أنس بإسناد ضعيف .

بلسانه ثم يقع فى بطنه ، فهى تجرى فيه مثل الوحوش فى البرية ، أيها المصرون على الجراع والآثام ، المسرفون فى شراب المسكر الحرام ، أفنيتم أعماركم فى الكذب والزور، وضيعتم أيامكم فى الجهل والغرور ، وقطعتم أوقاتكم فى الفسق والفجور ، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمور ، أما علمتم أن الخمر متلفة للمال ، مذهبة للبهاء والجمال ، عاقبتها إلى وبال ، ويؤول شاربها إلى شر مآل (١) الخمر أولها لهو ومزاح ،وآخرها بكاء ونياح ، امرأة تشرب الخمر فى كل وقت مطلقة، وثيابه فى كل حين ممزقة . شارب الخمر خليل الشيطان ، شارب الخمرعدوالرحمن ، شارب الخمر بعيد عن الإيمان ، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران ، شارب الخمر فى بحار السخط عائم ، شارب الخمر على عذاب النار حائم ، شارب الخمر مخالف للتنزيل ، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل ، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين ، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين ، أما علمت يا من بعد من الإحسان ، وتقرب من الفسوق والعصيان ، وحل فى سخط المهيمن الديان ، أن الخمر موقعه للعداوة والشقاق ، قاطعة للخير والأرزاق ، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق ، . أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد ، وتلقيه فى الضلال والفساد، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد ، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد . وأنشدوا :

الخمر ولادة للشر أجمعه ومن ولادتها العصيان والكفر
تعصى الإله إذا ما عشت تشربها وتبعد الخير والإحسان والشكر
العبد يشربها واللعن تابعه والخزى شامله والويل والعسر

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليه » (٢) يا أخى قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر واللعنة هوانا للعبد ، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه (٣) عذابه وحر ناره ، فبادر يا شاربها إلى المتاب فإن الله قد حرمها

---

(١) المآل : المرجع

(٢) رواه أبو داود والبيهقى والحاكم عن ابن عمر ، والترمذى وابن ماجه عن أنس والطبرانى عن عثمان بن أبى العاص (٣) أصْلَاه النار : أدخله إياها

فى الكتاب ، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب . وأنشدوا :

يا من يبيت علـى شرب الخمور ولا | يخشـى الإله ولا يخشى من النار
تعصى الإلـه ولا تقضـى فرائضـه | عـار عليك وما فـى التوب عـار
فتـب مـن الخمر للرحمن خالقـنا | وكـل ذنب قـديم العهد أوتـار

الخمر جريمة عظيمة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما فإن تاب تاب الله عليه ، والذى بعثنى بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوما ، وكان حقا على الله تعالى أن يسقيه من الخبال » (١) قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : هو صديد أهل النار وقيحهم . وفى بعض الأخبار لو أن قطرة من الخبال ألقيت من السماء السابعة لأخرقت إلى الأرض السابعة ولمات أهل السموات والأرض من النتن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمور ، وهتك الستور ، وعصى الملك الغفور ، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور ، وغره بالله عدوه الغرور . وأنشدوا :

تعصى الإله وتأتـى الخـمر تشربـها | وترتجـى من إله العـرش غفرانـا
وأنـت تحـوى فعال الخـير أجمـعها | وقد جمعـت من العصيان ألوانا
فتب ولا تتمادى فى الضلال عسـى | تلقى إلها كثير العفـو رحمانـا

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الأمهات ، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات ، وهداكم بفضله إلى الصوم والصلوات ، ووعد من أطاعه بالخيرات فى الجنات العاليات ، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات . أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات ، ومفتاح الكبائر والخطيات ، وباب المصائب والرزيات ، وموجبة لغضب رب الأرضين والسموات ، ومخربة الديار بوقوع الشتات ؟ فلا تدنسوا أعمالكم بشـرب الخمـر الحـرام ، فإنهـا أم الكبائـر والآثـام ، ومـن شربهـا فقـد خالف القـرآن والأحكـام ، وحـل فـى سخـط الملك العـلام ، أما تستحى يا مطرود

---

(١) رواه أحمد والنسائى والحاكم بنحوه عن ابن عمر .

من باب الله ، يا مخالفا لحدود الله ، يا موالفا لأعداء الله ، من رب مَنّ عليك بنعمة الإسلام ، وجعلك من خير أمة أخرجت للأنام ، واتبعت غيك وهواك ، ونسيت النعم التى أولاك ، ولم تنته عما عنه نهاك ، أهذا جزاء من أحسن إليك ، وسترك وأنعم عليك ؟ ، بئس ما صنعت يا من ظل فى المعاصى سرا وجهرا ، يا من بدل نعمة الله كفرا ، يا من هتك بعصيانه حجابا وسترا ، يا من حرم بذنبه توفيقا ويسرا ، يا من أورثه العصيان شرا وعسرا . أما تستحى يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود ، يا من خالف الأحكام والحدود ، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود ، عنبا حلالا أخرجه من العود ، تعصر منه خمرا تعصى به الملك المعبود ؟ ما أجهلك بطريق المتقين ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين ، يا قليل الدين ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا خليل الشيطان اللعين ، ستعلم غدا إذا وقفت بين يدى أسرع الحاسبين ، وأمر بك إلى العذاب المهين ، فحينئذ تقول : ﴿ يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [1] اللهم تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) الزخرف : ٣٨

المجلس الخامس عشر

فى فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

وفى صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمه محمد ﷺ من سائر الأمم . الحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الأمم أعماراً ، جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات ، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل فى الجنة وهى كالأيام البيض من كل شهر ، وكيوم عرفه ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير .فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً ، ووعد لها على ذلك فى الآخرة أجراً كبيراً .فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات. ويتقرب فيه بالصدقات ، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات .وصومه سُنَّة مستحبة لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد ، وثواب كل حاج ومعتمر فى ذلك العام ، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن ».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها ، وقيام لياليها ، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة » . فالله الله عباد الله تقربوا إلى الله فى يوم عاشوراء بما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فإن يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم ، ويضاعف الأجر للمؤمن السخى الكريم ، ويجزى الله جل جلاله معطى الزكاة جنات النعيم ويذل فيه السخط على الشقى اللئيم ، الذى يمنع الزكاة المفروضة فى القرآن الحكيم . فالله الله معشر المؤمنين ، وجماعة الموحدين إرغبوا فى هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة ، التى ليس لها زوال ولاانقطاع ، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أفطر عنده مؤمن فى يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح على رأس يتيم فى يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة، ومن كسا فيه مسكيناً

فكأنما كسا مساكين أمة محمد ﷺ وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء ؟ فقال رسول الله ﷺ: « نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض فى يوم عاشوراء ، واللوح كمثله ، وخلق جبريل فى يوم عاشوراء ، وملائكته كمثله وخلق آدم فى يوم عاشوراء ، وحواء كمثله ، وخلق الجنة فى يوم عاشوراء، وأسكن آدم الجنة فى يوم عاشوراء ، وولد إبراهيم عليه السلام فى يوم عاشوراء ،ونجاه الله من النار فى يوم عاشوراء ، وهداه الله فى يوم عاشوراء، وأغرق الله فرعون فى يوم عاشوراء ،ورفع عيسى فى يوم عاشوراء ، ورفع الله إدريس فى يوم عاشوراء ، وولد عيسى بن مريم فى يوم عاشوراء ،وتاب الله على آدم فى يوم عاشوراء ، وغفر ذنبه فى يوم عاشوراء،واستوت سفينة نوح على الجودى فى يوم عاشوراء ، وأخرج يوسف من السجن فى يوم عاشوراء، وتاب الله على قوم يونس فى يوم عاشوراء ، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء،ويوم القيامة يوم عاشوراء ». ويروى أن أول مطر ينزل من المساء يوم عاشوراء

الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالأثمد (١) يوم عاشوراء لم ترمد عيناه فى تلك السنة كلها، ومن عاد مريضا يوم عاشوراء ، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام ، ومن سقى مؤمنا شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشا ،ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب و﴿قل هو الله أحد ﴾ خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً ، وخمسين عاما مقبلاً ، وبنى الله له ألف منبر من نور الله » عباد الله إرغبوا فى فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب ، ويستر عليكم ما آتيتم من القبائح والعيوب .

روى أن موسى عليه السلام قال : مكتوب فى التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله ، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه ،

ومن كسا فيه عريانا فكأنما كسا جميع خلق الله، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحلى والحلل عدد نجوم السماء ، ومن أرشد فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نوراً ، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى ، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيئ خلقه الله وهو خالقه درجات فى الجنة ، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها ، ومن اغتسل فى يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً ، ومن قرأ فى كتاب الله آية ليلة عاشوراء أو فى يومها أعطى من الثواب مثل ما أعطى لإدريس عليه السلام ، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين ، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيبا فى عباده الخائفين ، ومن أتى عالماً فى يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة فى دينه وما ينفعه لآخرته أعطى مثل ثواب المهاجرين والأنصار ، وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذى يأتى ، ومن صام يوم عاشوراء محتسباً عالماً بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذى صامه مائة ألف ملك يدعون له يوم القيامة ، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلاً وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل فى بقيته وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى .

النفقة على العيال

وتستحب النفقة فى ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلباً لمرضاته ولوجوب البركة فيه ، فإنه روى أن من أنفق فيه درهماً أخلف الله له سبعمائة ، وكل درهم ينفق فيه فى طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من الأرضين السبع .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أكثروا خير بيوتكم فى ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويجمل ، فمن لم يجد فليوسع خلقه - أظنه مع قرابته - وليعف عمن ظلمه .

بنو إسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو إسرائيل ويعظمونه ، وكانت قريش تصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ . فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات ، وترفع فيه الدرجات المرتفعات ، وتخلف فيه النفقات ، وتكثر فيه البركات، ويفرح فيه أهل الفاقة [1] والحاجات . يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال ، ويوسع فيه على العيال ، وتزكوا فيه الأفعال والأقوال ، ويرحم فيه عبيده ذو الإكرام والجلال . يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام ، وتربح فيه الكرام ، وتخسر فيه اللئام ، لمخالفتهم القرآن والأحكام ، وعصيانهم الملك العلام . يوم عاشوراء تفرح فيه الأرامل والأيتام ، ويرحم فيه ذو الجود والإنعام ، ويغفر فيه السيئات والإجرام ، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام ، فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الأقفال ، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال ، ويفتح فى قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم – إن أطعتموه – شر مآل ، يا أخى البخيل صاحب الشيطان الذليل ، يمنع الزكاة ، ويقل النفقات ، ويفوت نفسه جميع الخيرات . فعيشه فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء ، فيا معشر المؤمنين كونوا كراما ، ولا تكونوا لئاما ، فإن الكرام فى جنة الخلد والنعيم ، واللئام فى عذاب الجحيم ، فتقربوا إلى الله فى هذا اليوم بأداء الزكاة ، وتطوعوا فيه بالنوافل من الصلوات . فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات .

صيامهم له

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى افترض على بنى إسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم وأهليكم » فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء أو أصبح صائما إلا

---

(١) الفقراء .

مات ولم يذق طعم الموت ، يا أخى إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل ، فاعمل أنت فى هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركتها عليك ليوم القيامة ، وما من عبد مؤمن أنفق فى يوم عاشوراء درهما أو مثقالا إلا أخلف الله تعالى عليه فى دنياه سبعين ضعفا مثل ماأنفق ، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله عباد الله اصنعوا فى هذا اليوم المعروف ، وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف ، يغيثكم الرب الرحيم الرؤوف .

كل معرف صدقة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « كل معروف صدقة ، والمعروف يقى سبعين نوعا من البلاء ويقى ميتة السوء »[(١)] والمعروف والمنكر منصوبان للناس فى المحشر يوم القيامة ، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة ، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار . أعاذنا الله وإياكم من النار . فالله الله احرصوا أن تكونوا من أهل الجنان ، ولاتكونوا من أهل النيران ، واجتهدوا فى الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان .

أهل المعروف

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه، حبب إليهم المعروف ، وحبب إليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيى أهلها ، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه ، كما حظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يغفر الله عز وجل أكثر »[(٢)] فالله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف . فكونوا من أهل المعروف ، وأعينوا الفقير وأغيثوا الملهوف ،فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رؤوف .

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن النجار عن بلال

إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات ، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة ، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى فى يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذى معه رغبة فى فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالا حلالا يزكى عليه . فإياكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين ، لأنه قد جاء فى الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان فى قلبه سبعين بابا من الفقر حتى يحول بينه وبين إخراجه ، فإن من الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكرا من المشركين وقتلهم . ويدل على صحة هذا القول أن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم على إخراجها لبس درعه ، وتقلد بسيفه ، وأخذ رمحه ، وركب فرسه فتقول الصحابة رضى الله عنهم : مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك ؟ فيقول : أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعنى إخراج الزكاة . فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر ، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك إلى فقر نفسك ، ويصدك عما وعدك ربك جل جلاله حيث قال عز وجل ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (١) والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذى يؤدى الزكاة ويتصدق من فضل ماله . وقوله تعالى ﴿ عليم ﴾ أى عليم بما يفعله العباد من الخير والشر ، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى ، يقول المولى جل جلاله ﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ (٢) فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله فى الخَلَف ،ولا تطيعوا الشيطان الذى يعدكم الفقر والتلف.

---

(١) البقرة : ٢٦٨ (٢) سبأ : ٣٩

اللعنة على مانع الزكاة

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينزل من السماء فى كل يوم اثنان وسبعون لعنة على مانعى الزكاة من هذه الأمة وقد سمّاهم الجليل جل جلاله كفارا فى قوله تعالى ﴿ وويل للمشركين * الذين لا يأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ (١) وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو والحضر ، وعزل أموالهم ، ثم قال جل جلاله : هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن آداء فرائضى وحقوقى ، ثم عزل الفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها فى أموال الأغنياء ، وقال لهم عز وجل : هذه أرزاق الفقراء من عبادى وديعة فى أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبى وسخطى فإنى قد ائتمنتكم عليها .

وقال رسول الله ﷺ « ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش : المال مال الله والعباد عباد الله فإن جاع الفقراء عذب الله الأغنياء » . فالله الله عباد الله أوفوا لديه بالعهود ، وارغبوا فى دار النعيم والخلود ، ومجاورة الملك المعبود .

من شبع وجاع جاره

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائعا » (٢) وقد جاء فى الحديث : « إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول : يارب سل هذا الغنى لم منعنى معروفه ؟ وسد بابه دونى ؟ » (٣) وفى حديث آخر أنه يقول : « يارب سَلْ هذا لمَ بات طاعما وبتُّ إلى جنبه طاويا ؟ » ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأسامةَ بن زيد فى وصيته « يا أسامة إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فإنه يقول: ما آمن بى من بات شبعانا وجاره طاويا إلى جنبه » ..،

وقال رسول الله ﷺ « أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعا وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد برىء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ » فيا لها من

---

(١) فصلت : ٦ - ٧ (٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن أنس

(٣) الديلمى عن أبى هدبة عن أنس (جمع الجوامع ٧٩)

خسارة لم نتدبرها بعقولنا ، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف ، وزَمِن [1] لا يمتلكون قيمة رغيف ، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال ، وتضيعوا للفقراء وأهل الاقلال، فإن غاية كل شيء الانقلاب والانتقال ، والنفاد والزوال . وقد ذكر فى تفسير هذه الآية ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ [2] قيل يحرص العبد على جمع الحطام ، والسحت والحرام ، وكل من أدى زكاة ماله فهو كريم ، قد برىء من وعد الشيطان الرجيم ،ووثق بوعد العزيز الرحيم ، ونجا من العذاب الأليم .

حديث فى ذم الشح

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » [3] وأنشدوا :

صافى الكريم فخير من صافيته   من كان ذا كرم وكان عفيفا
إن الكريم وإن تضعضع [4] حاله   فالفعل منه لا يزال شريفا

روى عن النبى ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى . فقال رسول الله ﷺ : « ما ذنبك ؟ صفه لى » فقال الرجل : هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم الأرضون » ؟ قال : بل ذنبى يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال : بل ذنبى يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال : بل ذنبى يارسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم الله ؟ » قال : بل الله أعظم وأجل ، فقال رسول الله ﷺ : « ويحك فصف لى ذنبك » قال : يا رسول الله إنى ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتينى يسألنى شيئا فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار ، قال رسول الله ﷺ : « إليك عنى لا تحرقنى بنارك ، والذى بعثنى بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام ، ثم صليت ألف عام وألف عام ، حتى تجرى من دموعك الأنهار ، وتسقى

---

(١) الزمن : من أصيب بعلة   (٢) البقرة : ٦١
(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو عوانة   (٤) الضعضعة : الخضوع والتذلل

بها الأشجار ، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار ، وويحك أما علمت أن الله تعالى قال : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) » وأنشدوا :

إن البخيل إذا مـا مات يتبعـه ... سوء الثناء ويحوى الوارث الإبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى فـي مالـه سبـلا

عظة فى الحض على الزكاة

فالله الله يامعشر المؤمنين كونوا من الأسخياء الصالحين ، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقسن ، فالبخيل هو شريك الشيطان اللعين ، قال الله تعالى ﴿ وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (٢) فكل مال لا تؤدى زكاته فصاحبه خازن الشيطان ، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان ، حبيب الرحمن ، عامل بالسنة والقرآن ، وناج من عذاب النيران ، وداخل نعيم الجنان ، فكل من مات وترك مالا قد أدى زكاته فإن صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة ، وكل من مات وترك مالا لم يؤد زكاته فلا يزال وزره يجرى عليه إلى يوم القيامة ، وإن وصله وقع المال عند من يزكيه ، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه إلا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقا من نور الجنة يضىء لأهل الجمع من المؤمنين حتى يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة ، وما من عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا طوقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم ، لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لاحترقت الدنيا كلها ، وتقطعت جبالها ، وجفت بحارها . فوالله لو لم يكن فخر الكريم السخى إلا ذكر الله تعالى له فى كتابه لكفى فى قوله تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام ، وتفضح فيه اللئام . وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وهـو يوم النفقة فى الله فيه مخلوفة ، والنفقة فيه فـى غير الله متلوفة . فإذا كان هذا اليوم تخلـــف فيـــه النفقات ، فأولـى أن تغفر فيـه الخطيئات ، وتضاعف فيـــه

---

(١) الحـشـر : ٩ (٢) الإسـراء : ٦٤

الحسنات وينجى الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وتظهر فيه السرائر والخفيات . وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذى قد قال إذ حضرت وفاته ثلث مالى للمساكين

روى أن النبى ﷺ سئل أى الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » (١)

من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلا مات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالا كثيرا فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال : « هل من وارث ؟ » فقالوا : لا يا رسول الله ، فقال ﷺ : « من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين » فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال ، فجىء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلى وذهب وورق وثياب . فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين » فرفع كما أمر رسول الله ﷺ ، فالتفت عبد الله بن عمر رضى الله عنه في المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال : يا رسول الله هذه من ذلك المال ، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها فى كفه وجعل يقلبها فى يده ثم قال ﷺ : « لو تصدق بها فى حياته حين كان صحيحا شحيحا يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحب إليه من هذا المال كله يعطى من بعده فى سبيل الله » فالله الله عباد الله اسمعوا صواب المقال ، وبادروا إلى حسن الفعال ، ولا تغتروا بالعز والمال . فإن المال يذهب ، والدنيا تخرب ، ونفسك تموت ، والمرد غدا إلى الحى الدائم الباقى الذى لا يموت . واعلم يا أخى أنك مرتهن بالذنوب ، وأنت محاسب مطلوب ، مسئول بين يدى علام الغيوب ، فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، فى يوم تشيب فيه الرؤوس ، وتضيق من فظاعة هول النفوس ، وذلك يوم هائل عبوس . يوم تضع فيه

(١) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد

الحوامل أحمالها ، وتزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج بأمر الله بعد ذلك أثقالها . يا مغرور يا مسكين ، ظلمت الفقراء والمساكين ، وتركت مالك للوارثين ، ولم تخف من عقوبة رب العالمين ، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين . وأنشدوا :

يـا جـامع المـال لأولاده	يخشى عليهم شمت حساده
ولا يبـالى كيف كان الغنـى	يغـتـر بالله وإيـعاده
اسمع مقالا سوف تحظى بـه	إن أنـت لـم تعمل بأضداده
بنـوك إن لاذوا بمـولاهـم	وتابـعوا مـنهـاج إرشـاده
فالله يكـفيهم ويحميهـم	والله لا خـلـف لمـيعاده
وإن يحيدوا عن سبيل الهدى	وقـابـلوا الـديـن بإفـساده
فقـد يكـن مـالك عونا لهم	فـى طاعـة اللـهو وأجنـاده

قيل : وقف رجل فى حلقة منصور بن عمار فى يوم عاشوراء فقال : أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل ، وأنفق من كفاف ، وآثر فى فاقه . فقال لهم منصور: معشر الناس ما ترك منكم أحدا . فلم يكن أحد فى المجلس إلا واساه ، قال منصور بن عمار : اللهم عجل لهم بالخلف فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة ، قال منصور فلقد افتقدت أهل مجلسى كلهم واحدا بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال : أخلف الله على سبعين ضعفا مما أعطيت . قال منصور : فأخذتنى عيناى فنمت فرأيت قائلا يقول : أبشر يا منصور قد غفرت لك فأنت الذى دللتهم على الخير ... فالله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم ، فليس أحد منكم أحق بها من نفسه .

تحذير من البخل

ذ كر فى بعض الأخبار أن ملكا ينادى كل يوم تحت العرش : الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . وأنشدوا :

لا تؤثرن بما جمعت سواكا	المـوت لا تدرى متـى يغشاكا
إن البنين مع البنات رأيتهـم	يتـطلعون ويشـتـهون فناكـا
من كان يعلم أن مالك ماله	بعـد الممات فلا يـحب بقاكا

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا فى ثواب يوم فضله الرحمن ، ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان ، وأناب مؤدى الزكاة إخلاص الإيمان ، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان ، وبين ذلك فى القرآن .

وأنشدوا :

يا جامع المال فى الدنيا لوارثــه   هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع
قدم لنفسك قبل الموت فى مهل   فإن حظك بعـد الموت ينقطــع

من أقرض الله فضاعفه له

ذكر أن رجلا دخل بعض الأسواق فى يوم عاشوراء فسمع سائلا يقول : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ (١) قال : فقام إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير ، فلما كان العام القابل إذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة ، فقال الرجل الذى رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير : يا أخى أقسمت عليك أما أنت الذى أعطاك فلان التاجر العشرة دنانير عام أول فى يوم عاشوراء ؟ قال : نعم ، قال: قلت : ألم تك فقيرا ذلك اليوم ؟ قال : بلى ! قال : قلت له : فما أغناك ؟ قال : لما علم الله صدق نيتى وأنى ما أخذت الصدقة إلا وأنا محتاج ، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق بإعطائها بارك لى فى تلك العشرة دنانير وأنماها لى حتى وجبت على اليوم عشرة دنانير زكاة فى مالى ، قال : فلما سمعت منه ذلك مضيت إلى الرجل الذى كان تصدق عليه بالعشرة دنانير، فقلت : صف لى قصتك فى العام الماضى فى يوم عاشوراء إذ جاء الرجل الذى قال : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ (٢) ، فقال الرجل المتصدق : إنه لما قرأ هذه الآية وقع فى نفسى أن الله سبحانه سيخلف علىّ فى الدنيا ويوفينى فـى الآخرة الأجر الكريم فبت علـى هذه النيـة فرأيت ربـى جل جلاله فـى منامى وهـو يقول : يا عبدى قد أنجزت الأمرين وقـد أوجبت لك الجنة .

---

(١) الحديد : ١١   (٢) الحديد : ١١

يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس لقتل الحسين رضى الله عنه فيه ، وهذه غاية السخافة فى الجهالة وفى معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ ومبالغة فى الرد على صاحب الشريعة فى قوله بفضائل يوم عاشوراء ، ولولا البغى والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضى الله عنه إذ استشهد فى مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب فى ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله ، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين . هذا ورسول الله أخبره جبريل عليه السلام بقتله .

الحسين وجده

قالت أم سلمة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ مع الحسين فى منزلى إذ دخلت عليهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفى يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجرى على خديه ، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله اطلعت عليك وفى يدك طينة والصبى على صدرك وأنت تبكى ؟! فقال لها النبى ﷺ : إنى لما فرحت به وهو على صدرى يلعب إذ أتانى جبريل عليه السلام وناولنى (الطينة) التى يقتل عليها الحسين ، فلذلك بكيت » [1]

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضى الله عنه فى منامه يوم قتل الحسين رسول الله ﷺ وبيده قارورة وهو يلتقط شيئا من الأرض قال : فقلت له : ما هذا يا رسول الله ؟ ، قال : قتل ولدى الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه فى القارورة وأرفعه إلى الله تعالى . فكان كما رأى رضى الله عنه وقيل : لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول :

سأمضى فما الموت عار على الفتى . إذا ما نوى حقا وحارب مجرما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبورا ووافق مسلما

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة .

وجاهد فى الرحمن حق جهاده كفى بك ذلا أن تعيش فتغرما

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين : ما وراءك يا أبا فراس ؟ قال : أصدقك أم لا ؟ قال : الصدق أريد ، قال : أما القلوب فمعك ، وأما السيوف فمع بنى أمية عليك . قال له الحسين : ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد المال ، فالدين نفق [1] على ألسنتهم يحوطونه ماردت به معائشهم ، فإذا تحولوا للإبتلاء قَلَّ الديانون ثم التفت إلى أصحابه وقال : على الخبير سقطنا .

آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن : لم نر هذه الحمرة فى السماء إلا حين قتل الحسين . ووجد على حائط قسطنطين :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب ؟

ويقال : ناحت الجن على قتل الحسين سبعة أيام حتى سمعت من تحت السبع أرضين ، وبكت الملائكة أجمعين .

حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضى : رأيت رجلا مكفوفا قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره ، قال فكان يقول : شهدت قتل الحسين ولكنى لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم ، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت ، فأتانى آت فى منامى فقال لى : أجب رسول الله ﷺ ، فقلت : مالى وله ؟ فأخذنى وجذبنى جذبة شديدة وانطلق بى إليه ، فإذا رسول الله ﷺ جالسا فى المحراب مغتما حاسرا [2] عن ذراعيه آخذا بخده وبين يديه نطع [3] وملك قائم بين يديه ، وبين يدى الملك سيف من نار وكان لى تسعة من الأصحاب فقتل أصحابى التسعة كلما ضرب الملك أحدا التهبت نفسه نارا ، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات ، فدنوت من النبى ﷺ وحبوت إليه فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت

(١) مات (٢) كاشفا (٣) النطع : بساط من الجلد

برمح ولا رميت بسهم ، فقال لى : صدقت ولكن كثرت السواد ، أدن منى ، فدنوت منه فإذا طشت مملوء دما من دماء الحسين ، فكحلنى من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئا !!

حكاية عن قتل الحسين

وقال الفضل بن الزبير : كنت قاعدا عند السدى فجاءه رجل فجلس إليه فإذا منه ريح قطران ، فقال له السدى : أتبيع قطرانا ؟ فقال : لا . قال له : ما هذه الرائحة ؟ قال : شهدت عسكر عمر بن سعد (١) فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد ، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت فى المعسكر فرأيت رسول الله ﷺ فى النوم والحسين وعلى معهم وهو يسقى الماء من قتل من أصحاب الحسين ، فاستسقيته فأبى أن يسقينى ، قال : فقال لى : ألست ممن أعان علينا ؟ فقلت : بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد ، قال : فقال لعلى : أسقه قطرانا ، قال : فناولنى قدحا فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران ، ثم ذهب ذلك عنى وبقيت هذه الرائحة على . قال : فقال له السدى كل خبز البر وكل من كل النبات ، واشرب من ماء الفرات ، فما أراك تعاين الجنة ولا محمدا أبدا .

من استخف بالحسين

حكى أن رجلا ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال : - وعلى وجهه الاستخفاف - : ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون : إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب ببلاء ! ، وإنى حضرت يوم قتله ولم يصبنى بلاء ولا شىء ! ، قال : وكان ضيفا عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح ، فاشتعل نارا ومات على المكان .

---

(١) أحد الذين قتلوا حسينا رضى الله عنه .

بر سليمان بن عبد الملك للحسين

وحكى عن الحسن البصرى أنه قال : رأى سليمان بن عبد الملك فى النوم أنه يبره ويلاطفه ، فسأل الحسن عن ذلك ، فقال : لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفا ؟ قال : نعم ، إنى وجدت رأس الحسين فى خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسا من الديباج ، وصليت عليه فى جماعة من أصحابى ، وقبرته . فقال الحسن : إن رسول الله ﷺ قد رضى عنك بسبب ذلك ، فأحسن إلى الحسن البصرى وأمر له بالجوائز . فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا فى غاية الإسراف .

فى قتل الحسين

ورأيت فى كتاب « التعازى والعزاء » من وضع أبى محمد عبد الله بن محمد البللورى أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهوعطشان ، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة ، وذبح ذبحا وسبيت [1] حرمه وحملن مكشفات الرؤس على الأكف بغير وطاء ، حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح ، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حارس بسوطه ، ووقف أهل الذمة لهن فى سوق دمشق يصفقون فى وجوههن حتى وقفن بباب يزيد ، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحراس وقال : إذا بكت منهن باكية فالطموها . فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار، وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين ، فبكت وقالت : يا جداه – تريد رسول الله ﷺ – هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت ، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها ، وشلت يده مكانه ، وفى هذا يقول الأزدى :

لقد ضل قوم أصبحوا فى تلذذ ... سباياهم فى الحرب آل محمد
كما ضل سعى الناكبين بعجلهم ... فأعقبهم لعنا بدين التهود
وموسى وعيسى بشرا بمحمد ... عليه سلام الله من متهجد
أيا أمة الإسلام يا أمة الذى ... هدى الله منا بالنبى كل مهتد
وثوب لأبناء النبى فلو ترى ... بنو اللعن إذعنوا لهم بالتهدد

---

(١) أخذت أسارى

بســوق دمشق يصقون وجوهــهم فداء لها نفسي وما ملكت يدى
فما جرى دمعي يا حبيبي بناصب ولا زند ودى للحســين بمصــلد

عمرو بن الليث

وقيل : إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوما فرأى كثرة عسكره ، وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائد من حشمه ، وتحت يده ألف فارس ، فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء .، وقال في نفسه : يا ليتني وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسي ومالي وحشمي ، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله ﷺ ، فقال له : قل لعمرو بن الليث : اطلعنا على ماخطر بقلبك وقبلنا منك ، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل . فجاء فأخبره ، فبكى بكاء شديدا .

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه ، قال وهب بن منبه : أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة ، وختمه بخاتم العز ، وقال : يا آدم هذا خاتم عهدى ، فإذا نسيت عهدى يا آدم اخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائى من لا ينسى عهدى ، وأورثه خلافتك ، ففزع آدم وقال : يا ربى من هذا الذى تورثه خلافتى ؟ قال الله تعالى : ولدك سليمان ، أسلمه من الكبر وأجعله مثلا للمردة من ولدك الذين يفسدون فى أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكا فى أكنافها . فأخذه آدم عليهما السلام فتختم به فكان يضيء لنوره أشجار الجنة ، وتضحك حور الجنان ، وتميل الخزنة لرؤيته عجبا منه ومن حسنه وجماله ، فسبحان من أكرمه واصطفاه ﷺ حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيرانا فزعا مذعورا ، حتى استجار بركن من أركان العرش ، وأنطق الله الخاتم فقال : إلهى وسيدى هذا آدم قد رفضنى وأنت قد طهرتنى به وجعلتنى لأهل الطهارة ، فقال الله جل جلاله : استقر فلك الأمان ، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لايملك أحد بعده أبدا ، فلما اصطفى الله

سليمـان عليه السلام بالخلافة والولاية ، وأحب أن يرى عباده قدرته ، جعل عز سليمان عليه الصلاة والسلام فى ذلك الخاتم ، وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة ، وسليمان قائم فى محرابه وخلفه إثنى عشر سبطا ، وفى كل سبط اثنى عشر ألفا من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودارسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم ، فبينما سليمان عليه السلام فى قراءة الزبور واذ ناداه جبريل عليه السلام .

خاتم سليمان

وقال له : السلام عليك يا سليمان ، هذه هدية الله إليك ، خذ هذا الخاتم فتختم به ، فسجد سليمان لله رب العالمين شكرا ، وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيما لله عز وجل وتحميدا له ، حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع فى يده كالبرق الخاطف فقال له : هذا خاتم جمع الله لى فيه سلطانى وعزتى وفضلنى به على العالمين ، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقى نقى ، قالوا له : قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقى النقى الأمين ، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الأول : أنا الله لم أزل ، وعلى الثانى : أنا الله الحى القيوم ، وعلى الثالث : أنا الله العزيز لا عزيز غيرى وعزيز من ألبسته إياه ، وعلى الرابع : آية الكرسى ، محيط به : لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء . فهذه صفة خاتم سليمان .

كيف نجا أسير

وحكى أن أسيرا كان بأيدى الكفار وكانوا يعذبونه ، فلما كان فى يوم عاشوراء قال : اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلا ما فرجت عنى ، قال : فلطف الله به ، وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه ، وقيل : خرج أسير فى يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه ، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال : إلهى وسيدى ومولاى بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجينى وتحفظنى منهم ، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئا يفطر

عليه عند الليل فنام وأطعم وسقى فى النوم لفضل يوم عاشوراء . فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب . وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا فى فضله ، لا حرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ماأسلفنا من الأوزار والذنوب ، وستر علينا ماأتينا من القبائح والعيوب .

دعوات صالحة

اللهم كما تبت على آدم فى يوم عاشوراء فتب علينا ، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا . وكما رفعت إدريس مكانا عاليا فارفعنا ، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل ، واجعلنا يارب من أحبابك كما فعلت بالخليل .

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم ، وأهلك أعدائنا كما أهلكت أعداء موسى فى اليم .

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى ، وأنزل علينا السكينة والوقار فى دار الدنيا .

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ، ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى ، اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر ، وما أعلنا وما أسررنا ، وما أنت أعلم به منا، برحمتك يا أرحم الراحمين

اللهم يا عماد من لا عماد له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز من لا حرز له، ويا ناصر من لا ناصر له ، يا مؤيد قلوب العارفين ، ويا مستراح مذاهب المتوكلين، ويا شاهد مجالس الخائفين ، ويا مقيل عثرة العاثرين ، ويا أرحم الراحمين ، أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا .

اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك ، وناله عفوك ، وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك ، وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ، وما وعدتنا من الإحسان من نفسك ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ، ووجدناك كريما فدعوناك ولقيناك

رحيما فسألناك .

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية فى حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة فى حال التضرع والاستكانة ، سيدنا ومولانا ارحم فى هذه الدنيا غربتنا ، وارحم عند الموت صرعتنا ، وآنس فى اللحود وحشتنا ، وارحم بين يديك ذل موقفنا ، واغفر لنا ما خفى على الناس من أعمالنا . اللهم انظر إلينا نظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزى والعلل . اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك ، ومحوت عنه عفوك ، وأغلقت عنه باب التوبة ، وقطعت من يديه أسباب العصمة ، وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه ، ووكلته إلى نفسه ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، واحفظنا ، واحفظ علينا ما رزقتنا ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطانا ولا سبيلا، يا أرحم الراحمين

اللهم يسرنا لليسرى ، وجنبنا للعسرى ، اللهم إنا نسألك من فضلك وعطاياك رزقا طيبا مباركا فيه ، اللهم اهدنا للهدى وقنا بالتقوى ، واغفر لنا مغفرة واقية فى الدنيا والآخرة . اللهم لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ، ولا دينا إلا قضيته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا غائبا إلا أدنيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها .

اللهم أدّ دين المدينين ، وفرج عن المهمومين والمكروبين ، واكتب سلامة المسافرين فى البر والبحر أجمعين ، وجاز اللهم خير المحسنين . اللهم إن نواصينا بيدك ، وقلوبنا فى قبضتك ، تعلم منقلبنا ومثوانا ، وسرنا ونجوانا، إليك مردنا ومصيرنا ، وأنت فوق العباد بعزتك ، أنت الخالق ونحن المخلوقون وأنت المالك ونحن المملوكون ، وأنت الرب ونحن العبيد ، أنت الغنى ونحن الفقراء إسمع دعاءنا ، ولا تقطع منا فى كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا ، فإن ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ (١).

---

(١) هود : ٨٨

المجلس السادس عشر :
فى قوله تعالى
﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ (١)

قلب المؤمن

مثل ضربه الله المولى البصير السميع ، لقلب العبد المؤمن المطيع ، وما أودعه من الإيمان ، والمعرفة فى القرآن ، من نور الملك الرحمن ، فقال خالق الطول والعرض ، الذى عبد بالنوافل والفرض ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ أى بنوره جل جلاله يهتدى من فى السموات والأرض . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ مثل نوره ﴾ يعنى النور الذى جعل فى قلب المؤمن ، وهذا قول جمهور المفسرين ﴿ كمشكاة ﴾ : يعنى قلب المؤمن ، والمشكاة هى الكوة غير نافذة ، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ، ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج ، فإذا كان المصباح فى زجاجة صافية فى كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذا فتكون الكوة أكثر نورا مما لوكانت نافذة ، وهذه مبالغة من الله فى وصف قلب المؤمن ، ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروبا (٢) مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان فى قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى ، وأخذته الفكرة فى خلق السموات والأرض ، وفى عظمة الله تبارك وتعالى ، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام ، ويتجنب الفواحش والآثام ، من كثرة النور الذى جعله فى قلبه الملك العلام . فهذا الصنف الذى أثنى عليه الله فى كتابه

---

(١) النور : ٣٥ (٢) ضروبا : أصنافا وأنواعا .

العزيز . فقال الله تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (١) ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ (٢) إلى قوله ﴿ عذاب النار ﴾ (٣) ، فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان فى قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، علموا بنور الهدى إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى ، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه ، والنار جزاء لمن عصاه ، فاستعملوا قلوبهم بالفكرة ، وجالت أبصارهم فى مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئا من المنكرات ، ولا يضيع شيئا من الطاعات .

النور هو الهدى

قال بعض أهل العلم : أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى ، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لأن الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الألوان ، ولا يشبه بملك ولا إنسان ، ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (٤) وقال بعض العلماء : هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى فى وصف نور محمد ﷺ الذى هدى به المؤمنين ، وأنقذهم به من موارد الهالكين ، لأن الله تعالى رحم بمحمد ﷺ العباد ، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد . وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة ، وأعظم عليهم به المنة . ثم قال تعالى ﴿ فيها مصباح ﴾ يعنى سراجا ، ﴿ المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ (٥) الآية . فشبه الله تعالى القنديل فى شدة بياضه وتلألؤه بكوكب درى ، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية ، أى لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها ، ولا غربية أى ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل

---

(١) آل عمران : ١٩٠ (٢) آل عمران : ١٩١
(٣) آل عمران : ١٩١ (٤) الشورى : ١١
(٥) النور : ٣٥

النهار ، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار ، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأنور لزيتها . ثم قال تعالى ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ (١) أى ولو لم يسرج به من شدة صفائه . تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿ نور على نور ﴾ (٢) يعنى نور المصباح على نور الزجاجة وصفاء الزيت . وهذا مثل ضربه الملك الجبار ، لقلوب المؤمنين الأبرار ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ (٣) فنور الهدى إذا دخل القلب انفسخ وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعة كالضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار القرار ، والمنجية من سخط الملك الجبار ، ومدار ذلك كله على القلب ، والقلب هو سلطان البدن فإذا صلح صلح جميع الجسد ، وإذا فسد فسد جميع الجسد ، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان ، وبنظر الملك الرحمن ، وفساده إنما هو بظلمة العصيان ، ووسواس العدو الشيطان ، ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر « إن فى ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ، ألا وهى القلب » (٤)

شجرة الزيتون

وقال الله تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ (٥) وقال عز وجل : ﴿ وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ (٦) وقال سبحانه : ﴿ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ (٨) لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها ، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها ، وهى أفضل ما يكون من الشجر . وهذا مثل ضربه الله تعالى فى وصف نبيه محمد ﷺ ، والنور الذى أنزل عليه هو القرآن . فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه

---

(١) النور : ٣٥ — (٢) النور : ٣٥
(٣) الزمر : ٢٢ — (٤) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والدارمى
(٥) المائدة : ١٥ — (٦) النساء : ١٧٤
(٧) الشورى : ٥٢ — (٨) النور : ٣٥

وتعالى حفظها من الشمس والظل ، فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان،ولا زيادة ولا نقصان، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل، كما وقع فى الكتب المتقدمة ، قال الله تعالى: ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (١) ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى:﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ (٢) وقال سبحانه:﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾(٣) ،فأخبرنا الملك الرحمن،فى محكم القرآن، أنهم أوقعوا فى كتبهم الزيادة والنقصان،والتحريف والبهتان.وخبرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٤) وما حفظ الملك الديان، فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان ،ولا تحريف ولا بهتان.فكتابنا قد حفظه الملك الجليل، فسلم من التحريف والتبديل، وكذلك حفظ نبيه محمدا ﷺ وعصمه وهداه، فقال تعالى فى عصمته لنبيه حبيبه وصفيه:﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ (٥) وقال تبارك وتعالى فى هدايته لنبيه:﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ (٦) فأخبرنا مولانا العزيز الحكيم، عن محمد النبى الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم، وأعاذه من الشيطان الرجيم،وحفظه الملك الرحمن،من الشرك والكفران،والعوج والبهتان، فقال له الديان،فى محكم القرآن ﴿ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾(٧) فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم، وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم ، فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم،ولا مفرط ولا ملوم،فأخبرنا الحى القيوم،عن النبى الصادق المرحوم،أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم،وقال له:﴿ فتول عنهم وما أنت بملوم ﴾ (٨) وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار،بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار، فقال تعالى : ﴿ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ (٩) فأمره الله تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ . وما حفظ الملك

(١) المائدة : ٤٤ (٢) المائدة : ١٣ (٣) البقرة : ٧٩
(٤) الحجر : ٩ (٥) المائدة : ٦٧ (٦) الفتح : ٢
(٧) الأنعام : ١٦١ (٨) الذاريات: ٥٤ (٩) المائدة : ٦٧

القهار لقلوب المؤمنين الأبرار،فقوله تعالى:﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ (١) فصار المؤمن فى عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه ، لما دخل نور الهدى قلبه ، فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم ، المنان المتفضل الكريم ، لنبيه الصادق الأمين ، ولكتابه النور المبين . ثـم قال تعالى:﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم ﴾(٢)، فهو تعالى عالم بما كان وما يكون ، وما لم يكن ولا يكون ، أن لوكان كيف كان يكون ، ثم إن الله تبارك وتعالى أثنى على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات ، الذاكرين لله فى المساجد فى جميع الآناء (٣) والأوقات ، الخائفين من عقوبة رب الأرضين والسموات ، فقال رب الأرباب وسيد السادات ، فى محكم الكتاب : ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها ﴾ (٤) الآية . أى يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، لا يذكر فيها زور ولا بهتان، ولا غيبة ولا عصيان ، ولا نميمة على اللسان ، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن ، وعبادة الملك الديان ، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم ، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم .

المساجد لذكر الله

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا سمعتم الأصوات قد علت فى المساجد فى غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة » .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا علت الأصوات فى المساجد فى ذكر الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم : اسكتوا يا أولياء الله ، اسكتوا يا أعداء الله ، اسكتوا عليكم لعنة الله » وقوله: ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ (٥) يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير فى كتابه المبين ، وجميع ماأمر به الصادق البشير النذير. قال الله مولانا، الذى بيده ضلالنا وهدانا: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٦) وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام فى كل مكان . فإذا كان فضول الكلام

(١) الإسراء : ٦٥ (٢) النور : ٣٥ (٣) الأحيان .
(٤) النور : ٣٦ (٥) النور : ٣٦ (٦) الحشر : ٧

وبالا على العباد فى غير المساجد ، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام فى غير ذكر الله فى المساجد .

كلمة السوء

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » (١) فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على عمار المساجد المؤمنين . وقد أثنى عليهم الملك الرحمن فى محكم القرآن ، حيث أوجب لهم الإيمان : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ (٢)

وجاء فى الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يقول الجبار تبارك وتعالى : أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة : مولانا ومن ينبغى أن يكون جارك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى : يا ملائكتى أين عمار المساجد فى الدنيا » .
وأنشد يحيى بن معاذ بعرفات :

إليك جئنا وأنت جئت بنا — وليس شيء سواك يغنينا
فناك رحب وأنت ذو كرم — تدعو إلى بابك المساكينا

قال الله تعالى : ﴿ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ (٣) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينا فتتقلب ، وما كانت عليه من الكفر والشك فى الحساب ، والبعث والثواب والعقاب ، والنعيم والعذاب ، فترى الأبصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى : ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٤) وقيل تتقلب الأبصار من الكحولة إلى الزرقة ، ومن البصر إلى العمى ، ومن بياض الوجه إلى السواد ، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين ، ومن الأمن إلى الخوف ، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه ، ولم يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه ، ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلا للكافرين فقال تعالى : ﴿ والذين كفروا

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة. (٢) التوبة : ١٨

أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ﴾ (١) يراه من البعد ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ (٢) كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله فى الدنيا ينفعه ، بل وجده بلاء وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر ، لأنه عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله تعالى خالصا ، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى ، فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان ، ومن زوال النعمة بعد الإحسان ، ومن القطيعة والحرمان ، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان ، ومن ترك العز واتباع الهوان ، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان .

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى : ﴿ يسبح له فيها ﴾ (٣) يعنى المساجد ﴿ بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (٤) فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا (٥) وحرارة الرمضاء (٦) ما بلغنا جزاءاً واحدا من فناء الأعداد من حق الملك الجواد الذى أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، خير نبى وأكرم إمام ، شاهدا علينا فى جميع الأحكام ، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام . فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله ؟! وتجارتهم مع الله رابحة ، ومحاسنهم لذوى الألباب لائحة . ثناؤهم عطر الأنام ، فهم بين الناس كالأعلام ، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب ، وفى جملتهم يحشر السعيد والنجيب ومن فاخرهم يخب ، ومن حار بهم نُكب ، ومن أقلع إليهم بغير ريح عطب ، بدعائهم يستمطر الغمام ، فهو دواء الآلام ، وشفاء الأسقام ، وبهم يستنقذ المغلوب ، وبهم يفرج الله عن المكروب ، وبهم كشف العمى عن القلوب ، وبهم تغفر الخطايا والذنوب ، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب ، وأقلع عن القبائح والعيوب ،

---

(١) النور : ٣٩ (٢) النور : ٣٩ (٣) النور : ٣٦

(٤) النور : ٣٦ – ٣٧ (٥) الغضا : هو أجود الوقود عند العرب

(٦) الرمضاء : شدة الحر

وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغب ، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب . وأنشدوا :

وربــك لــو أبصرت قوماً تتابعــت — عذائمهم حتى لقد بلغوا الجهــدا
لأبصرت قوما جانبوا النوم وارتدوا — بأرديــة الســهاد واستــقربوا البعــدا
وصامــوا نهارا دائما ثــم أفطــروا — على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولــئك قــوم حسن الله فعلهــم — وأورثــهم من حسن فعلهم الخلــدا

رجال جالت قلوبهم فى الملكوت ، رجال تفكروا فى العظمة والجبروت ، رجال استقاموا على عبادة الحى الذى لا يموت ، رجال خطرت على قلوبهم الأشجان ، وأتعبوا النفوس والأبدان ، وتسربلوا الخوف (١) والأحزان ، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن . شربوا بكأس الزلال مع اليمين ، وتأسوا بسيد المرسلين ، وعملوا أعمال الصالحين ، واتبعوا سيرة المؤمنين ، واستقاموا على طريق الهدى والدين . رجال شربوا بكأس الوداد والحب ، فكشف لهم حجب الغيب ، وغفر لهم ما عملوا من ذنب ، فأشعلوا فى قلوبهم نيران خوف الملك الرب . رجال أقلقهم خوف الوعيد ، وأنحل أجسامهم التفكير الشديد ، رجال تجنبوا الفواحش والآثام ، ولذيذ الشراب والطعام ، رجال ليلهم قيام ، ونهارهم صيام ، يطلبون رضا ذى الجلال والإكرام . وأنشدوا :

ســقوا كــأس المحبــة فاطمأنت — قلــوبــهم وهيــجها اليقـــين
إلــى مــلك تحــن إلــيه شــوقا — وليــس لها إلــى أحــد حنـــين
يميل بهــم هبوب القرب ميلا — كما مالت مع الريــح الغصــون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وغضوها عما لا يحل من النظر ، وشغلوا خواطرهم بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، رجال أزعجوا أنفسهم عن الأوطان ، ولزموا مساجد الملك الرحمن ، وجالت قلوبهم فى علوم القرآن ، وما واعدهم وتواعدهم به الماجد الديان . وأنشدوا :

اختصــم الطــرف مــع فؤادى — فنّى وصـــارا إلــى عنـــاد
فقـال طـرفـى أنـا ابتلـيـت — بطـــول لـيلـــى وبالــسـهاد

---

(١) جعلوه قميصا لهم .

قــال قلبــى أنـا المقـــلا   بالكــرب الصعـبـة الشـــداد
فقــال جسمــى : قتلتـمــانى   أنا الـذى ذبـت فـى الجـــهاد

الزهاد

رجال قد نحلت منهم الأبدان ، وتغيرت منهم المحاسن والألوان ، وخوف العذاب والنيران ، وشوقاً إلى نعيم الجنان ، رجال صحبوا القرآن بحسن العمل ، ولم يغتروا بطول الأمل ، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل ، وسمت أعينهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت أنفسهم إلى الملك الأعلى الأجل ، فلو رأيتهم لرأيت قوماً يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وعقول زائلة ، وخواطر فى عظمته جل جلالة جائلة. وأنشدوا :

لله قــوم شــروا لله أنــفســهــم   فأتعـبوهـا بذكــر الله أذمـانا
أمـا النهـار فقـد وافواصيامهـم   وفـى الظلام تراهم فيه رهبـانا
أبدانهم أتعبت فـى الله أنفســهم   وأنفس أتعبت فـى الله أبـــدانا
ذابت لحومهم خوف العذاب غدا   وقطعـوا الليل تسبيحا وقـــرآنا

رجال إذا نظروا اعتبروا وإذا سكتوا تفكروا ، وإذا ابتلوا استرجعوا ، وإذا جهل عليهم حلمـوا ، وإذا علمـوا تواضعـوا ، وإذا عـملوا رفقـوا ، وإذا سئلوا بذلوا عوناً للوارد ، وتفضيلا للقاصد ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق ، قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة والصواب ، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب ، وخافوا من عقوبه رب الأرباب ، رجال لزموا البكاء والعويل ، ورضوا من الدنيا بالقليل ، فأزمعوا إلى الآخرة التحويل ، ورغبوا فى ثواب الملك الجليل ، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل ، وتمسكوا بالسنة والتنزيل ، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل ، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل ، الهائل المنظر الطويل. وأنشدوا :

لله قوم لـدار الخلد أخلصهـم   وخـصهم بـجزيل المـلك مـولانا
فلو تراهم غـداً فى دار ملكهم   قد توجوا من حلـى الكون تيجانا
وقد دعاهم ألى إلفـردوس سيدهم   إلـى الـزيارة والـتسـليم ركـبانـا

على نجائب دركى تطير بهم | والخيل من جوهر والسرج مرجانا
حتى إذا جاوزوا دار السلام وقد | أبدى لهم وجه الرحمن سبحانا
خروا سجوداً فناداهم بعزته | إنى رضيت بكم قرباً وجيرانا
إنى خلقت لكم دار النعيم فلا | ترون بؤساً ولا تخشون أحزانا
هذا النعيم الذى لا ينقضى أبدا | ولا تغيره الأزمان ألوانا
وهو الجزاء لكم منى على عمل | أخلصتموه وكنتم فىّ إخوانا

رجال ركبوا فلك السلامة ، وجروا بريح الاستقامة ، فقطعوا بحار العطب والندامة ، ونجوا من الأهوال يوم القيامة ، فحظوا فى دار المقامة ، وأرسوا فى سرمد الكرامة .

خيار الأمــــة

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خيار أمتى فيما أنبأنى الملأ الأعلى فى الدرجات العلا ، قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله ، وبكوا سراً من خوف عذاب الله ، هم بالغداة والعشى فى البيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغباً ورهبا ، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً ، ويشتاقون إليه بقلوبهم عوداً وبدءا ، مؤنتهم على الناس قليلة ، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة أقدامهم كدبيب النمل بغير فرح ، ولا ميل ولا بذخ[1] يمشون بالسكينة والوقار ، ويتقربون بالوسيلة إلى الملك الجبار ، يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن ، ويتلون القرآن ، ويشفقون من عذاب النيران ، ويخافون يوما يكثر فيه الويل والأحزان ، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان ، ولم يأمنوا مكر الملك الديان ، رجال تعوقوا ريب المنون ، وجزعوا من السابقة فى الغيب المكنون ، فحال بينهم وبين ما يشتهون ، ينتظرون الخاتمة كيف تكون ، أولئك أولياء الله الصالحون : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [2] رجال المساجد مأواهم ، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم ، تركوا المعاصى خوفاً من الحساب

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وتعقبه الذهبى عليه فقال : هذا حديث منكر
(٢) المجادلة : ٢٢

وبادروا إلى الطاعة وحسن الأعمال ، وتنزهوا عن الغى واللهو والمحال ، وحادوا عن طريق كل مطرود بطال ، وأشفقوا من عقوبة ذى المجد والجلال ، وعملوا ليوم لا بيع فيه ولا خلال . وأنشدوا :

لله قـوم أخـلصـوا فـى حبـه	اختصهـم ورضى بـهـم خداما
قـوم إذا هجم الظـلام عليهـم	قامـوا فكانـوا سجـدا وقـياما
يتلـذذون بذكره فـى لـيلهـم	ونـهارهم لا يفتـرون صـيامـا
خمص البطون من الحران أعفة	لا يعرفون سـوى الحـلال طعاما
فسيفرحون بـورد حوض محمـد	وسـيسكنون من الجـنان خـياما

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلا ، وبدلوها تبديلا ، ولم يشتروا بعهـد الله ثمنـا قليلاوعلموا أن وراءهم يوما عبوسا هائلا ثقيلا ، وأن أمامهم من الموت خطبا جليلا ، وبدلت عيونهم وقلوبهم بكاءً ونوحاً وعويلا ، حين سمعوا مولاهم يقول : ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ (١) رجال قطعوا الأيام والليالى بالتفكير ، وخافوا من هول يوم عبوس قمطرير، وجالت قلوبهم من خوف العلى الكبير ، فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ، ويجاورون السيد البشير النذير ، فى جنة ليس فيها شمس ولا زمهرير

رجال اطمأنت قلوبهم بذكر الرحمن ، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان ، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان ، واتبعوا السنة وأحكام القرآن ، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان ، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان ، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان ، ومتعهم بالحور الغنجات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فأخبرنا الجليل جل جلاله فى محكم القرآن ، عما آتاهم به من الجود والامتنان ، فقال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (٢) فالإحسان من العبد فى الدنيا قول : لا إله إلا الله، والإحسان من الله فى الآخرة الجنة ، فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه ، فقابل الرضا بالرضا ، وهذا غاية الجزاء ، ونهاية العطاء .

---

(١) المزمل : ١٨ (٢) الرحمن : ٦٠

صفة المؤمنين

روى أن النبى ﷺ قال لطائفة من المؤمنين : «ما أنتم ؟» قالوا : نحن المؤمنون ، فقال: « ما علامة إيمانكم ؟ » قالوا : نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرجاء، ونرضى بمواقع القضاء . فقال : « مؤمنون ورب الكعبة » (١) وقيل : أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيباً على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ (٢) فتكون أنت أيها العبد تراقبه فى سرائرك وعلانيتك ، وظاهرك وباطنك ، وحركاتك وسكناتك ، وتعلم أنه رقيب عليك وتستحى ممن معك ولا تستحى ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد ، وقيل : المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب ، وذلك أن شركائك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقا. والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف(٣) والمزابل ، وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم . فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ (٤) . وتأبى أنت عليه ، فيقول الله سبحانه ياعبدى لا تذنب فى الدنيا ، رأفة منه لعبده ، فيقول العبد : لا بد لى من الذنوب ، فيقول الرب جل جلاله : عبدى فتب إلى أقبلك على ما كان منك ، فيقول العبد : لا أفعل لأنى مبتلى بالأهل والبطن والفرج ، فيقول الرب جل جلاله : عبدى فكن مكانك حتى أوتيك ، فيقول العبد : ربى أى شيئ تؤتين ؟ ، فيقول الله عز وجل : الجوع والفقر والعرى والمرض ، فيقول العبد : لا حاجة لى فى هذا . ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك . قال : فتقول الملائكة عند ذلك : يارب أما تستجيب لعبدك هذا ؟ أما ترحمه ؟ فيقول الله عز وجل : سوف يحمدنى عبدى إذا أدخلته الجنة . فيقول العبد : ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ (٥)﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ (٦) الآية.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس (٢) الرعد :٣٣
(٣) المرحاض (٤) يونس : ٢٥
(٥) الأعراف : ٤٣ (٦) فاطر : ٣٤

فيقول الرب جل جلاله : الآن يحمدنى عبدى وكان فى دار الدنيا يلومنى ، ويشكو إلى نظرى إليه ، وكان أصلح له مما كان يريده لنفسه ، فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته منى ، ووصلته جنتى ، فادْنُ منى يا عبدى بلا نهاية ، وعلى المزيد بمشاهدتى له والنظر إلى وجهى. لا أحرمنا الله النظر إلى وجهه الكريم ، وأدخلنا برحمته جنات النعيم.

المجلس السابع عشر : فى قوله تعالى :
﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾

إعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين ، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفا وتكريما ، وصلت عليه ملائكته تفضيلا وتعظيما ، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاماً كريماً ، فقال من لم يزل سميعا عليما عليا عظيما ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [1] فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام فى الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام.

ذكر فى بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبى ، ولا ولى ولا صفى ، ولا صديق ولا شهيد ، ولا شقى ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيامة : بحرمة محمد أن تنجينى من عذابك وما من عبد صلى عليه وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضا عنه إلى قضى الله تعالى حاجته ، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعاً من البلاء فى بدنه وفى دينه وفى ماله وفى أهله. ورفع له سبعين درجة فى الجنة ، اللهم صلى على النبى محمد المختار ، وسيد الأنبياء والأبرار ، وزين المرسلين الأخيار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار ، أبى القاسم الأواب المختار . وأنشدوا :

صلى الإله وكل عبد صالح ... والطيبون على السراج الواضح
المصطفى خير الأنام محمـد ... الطاهـر العلم الضياء اللائـح

---

(١) الأحزاب : ٥٦

زين الأنام المرتضى علـم الهـدى الصادق البـر الوفـى الناصـح
صلى عليه الله ما هبـت صـبا (١) وتجاوبت و رق الحمام النائـح

وذكر فى بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلا تصير روضة من رياض الجنة ، وحصنا وحجابا بين المصلين وبين حجاب النار . فاجتهدوا فى الصلاة على محمد يا معشر المؤمنين والمؤمنات ، وتحصنوا بها من العذاب الشديد.

الصلاة على النبى وشفاعته

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فإنى أشفع لكم على قدر ذلك » وأنشدوا :

صلى الإله على قدر الحبيب ومن وسـط المدينة يعلو فوقـه الـنور
رفــعـت قريـش نعـش سـيدها فثم ثكل التقـى والـبر مقـبور
وثـم خـير عـباد الله كلهـم وثم أكرم خلق الله محبور (٢)

عباد الله تحصنوا من العذاب والويل ، بإكثار الصلاة على نبينا محمد فى النهار والليل وذكر فى بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوبا : من اشتاق إلى رحمتى رحمته ، ومن سألنى أعطيته ، ومن لم يسألنى لم أنسه ، ومن تقرب إلى بقدر محمد ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ... فالله الله يا أمة محمد ، ويا أحباب محمد ، من أصابته نائبة أو وقع فى شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد ﷺ ، فإن قدره عند الله عظيم (٣) . فأكثروا عباد الله الكريم ، يا معشر من آمن بالله العظيم ، والصلاة على محمد الكريم والنبى السيد الرؤوف الرحيم ، ينجيكم الله بها من العذاب الأليـم ، ويدخلكم جنات الخلد والنعيـم ، إنه هو الحكيم العليــــم

---

(١) ريح معروفة (٢) الحبور : السرور ، والمحبور المسرور .
(٣) لا يجوز التوسل إلى الله بالنبى ﷺ أو بجاهه .

الصلاة عليه فى يوم الجمعة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على فى يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة »[1]. فالله الله يامعشر المؤمنين والمؤمنات، أكثروا من الصلاة على حبيبكم محمد فى جميع الأيام والأوقات، والأحايين والساعات،عسى الله أن يخلصكم من الأهوال والآفات ، والعذاب والعقوبات ، ويدخلكم الجنات العاليات ، يوم تبدل الأرض والسموات . وأنشدوا :

صوا على المصطفى زلفى[2] تقربكم ... إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا
أعلا الأنام على فى جلالته ... وأشرف الخلق منسوبا إذا انتسبا
وأسرع الناس يوم العرض مغفرة ... إذا العقاب بدا للخلق وانتصبا

حكي عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فسألته عن حاله، فقال:يا شبلى مرت بى أهوال عظام ، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لسانى عند السؤال منه جاءنى الملكان وأراد أحدهما أن يبادرنى بالعذاب،إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجها فحال بينى وبينهما، فقلت له: من أنت ؟ – من بعد ما لقننى حجتى – فقال : أنا ملك خلقنى الله من ثواب الصلاة على محمد،وأنت كنت تكثر الصلاة على محمدﷺ لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان،ومن عذاب النيران، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله . فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العباد، الذى خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد. وأنشدوا :

من كان يكثر بالصلاة ... مؤملا فضل النبى
أعطاه رب محمد ... عونا من اللطف الخفى

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ : يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك ، ومن نور بصرك إلى عينك ، ومن سمعك إلى أذنك ، فأكثر من الصلاة على حبيبى محمد ﷺ .

---

(١) الحديث بلفظ : « الصلاة على نور على الصراط ، فمن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاما » ....، أخرجه الدارقطنى وابن شاهين معا فى الافراد عن أبى هريرة (٢) قُربَى .

وأنشـدوا :

صلى الآله على النبى محمـد خـير الأنام وجـاءه التنزيل
وبفضله نطـق الكتاب وبينـت بصفاتـه التـوراة والإنجـيل
ذاك النبى الهاشمى المصطفـى قد جاءه الترفيع والتفضيل
أسرى به المولى إلى أفق السما فوق البراق وعنـده جـبريل

عجيبة

روى عن محمد بن النعمان رضى الله عنه أنه قال : كنا عند النبى ﷺ فجاءه فتى من الأنصار فى حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست هذا الفتى بينى وبينك ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه . أى والله يارسول الله إنه ليشق على أن يكون بينى وبينك أحد .

فضل المصلى وأبو بكر

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر هذا الفتى يصلى علىّ صلاة ، ما يصليها علىّ أحد من أمتى » فقال أبو بكر رضى الله عنه :كيف يقول يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يقول : اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه ، وصل على محمد عدد من لم يصل عليه ، وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه ، وصل على محمد كما ينبغى أن يصلى عليه » . واعلم يا أخى علما يقينا لا شك فيه أنه ليس أحد أحظى عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر بعده كذلك ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين ، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة ، ولكن خص النبى ﷺ الفتى بإقعاده بينه وبين أبى بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبى كذلك ، صلوات الله وسلامه عليه ، ما حن مشتاق إليه .

حكاية الشافعى عن مؤمنى الجن

ممـا يقـوى ما ذكرناه مـن فضل الأركان الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين، ما روى

عن محمد بن إدريس قال : رأيت بمكة أسقفا (١) وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له : ما الذى رغب بك عن دين آبائك ؟ فقال : تبدلت خيرا منه ، فقلت: كيف ذلك ؟ قال : ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب ، فعلوت لوحا فلم تزل الأمواج تدفعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهر جار عذب ، فحمدت الله على ذلك وقلت : آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتينى الله بالفرج ، فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الدواب فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها ، فلما كان فى جوف الليل فإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول : لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبى المختار، أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار ، عمر الفاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل فى الدار ، على سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضيهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار . فلم تزل تكرر هذه الكلمات ، حتى طلع الفجر قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد الهادى الرشيد ، أبو بكر الصديق الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان القتيل الشهيد ، على ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد . فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة ، ووجهها وجه إنسان ، وقوائمها قوائم بعير ، وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت على نفسى الهلكة فهربت بنفسى من أمامها فوقفت فقالت : ما دينك ؟ قلت : النصرانية ، فقالت : ويلك ارجع إلى الحنيفية ، فقد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما ، قلت: وكيف الإسلام ؟ قالت: تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فقلتها ، فقالت: أتم سلامك بالترحم على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين . قلت: ومن أتاكم بذلك ؟ فقالت : قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول : « إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق يا إلهى قد وعدت أن تشد أركانى ، فيقول الجليل جل جلاله : قد شددت أركانك بأبى بكر

---

(١) أحد رتب رجال الدين عند النصارى ، وأول مرتبة عندهم هو الشماس ، ثم القسيس ، فالأسقف ، فالمطران ، فالبطريق ، فالبابا .

وعمر وعثمان وعلى ، وزينتك بالحسن والحسين ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت لها : الرجوع ، فقالت : اصبر حتى تجتاز مركب ، وإذا مركب تجرى فأشرت إليهم فدفعوا إلىّ زورقا ، فلما علوت معهم فإذا فى المركب إثنى عشر رجلا كلهم نصارى ، فأخبرتهم خبرى فأسلموا عن آخرهم .

فالله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام ، وعلى هدايتكم لسنة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومحبتكم لأصحابه البررة الكرام ، فقد فضلكم على جميع الأنام ، قال الله ذو الإجلال والإكرام ، والطَّوْل والإنعام : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (١) ونرجع إلى ماكنا فيه من الصلاة على خير الأنام ، محمد رسول الملك العلام . وأنشدوا :

لهجت بذكرك مهجتى ولسانى ... وحللت من قلبى بكل مكان
فأنا بذكرك فى البرية كلها ... علم وحبك آخذ بعنانى
سلطان حبك فى الهوى عين الهوى ... وبه تعزز فى الهوى سلطانى
أنت النبى الهاشمى محمد ... صلى الإله عليك فى القرآن
أنت الحبيب لأهل دينك كلهم ... يوم المعاد وموقف الخسران
أنت الشفيع لمن عصى رب العلا ... أنت الدليل لجنة الرضوان
فلأ ذكرنك ما بقيت معمرا ... حتى الممات ولا يمل لسانى
فصلاة ربى ماجد ومهيمن ... تترى (٢) عليك تعاقب الملوان (٣)

أوتاد المجالس

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن للمجالس أوتادا ، جلساؤهم الملائكة ، إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء ، بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبى ﷺ يقولون : أكثروا رحمكم الله ، فإذا استفتحوا فى الذكر فتحت لهم أبواب الجنة ، واستجيب لهم الدعاء ، وتطلع عليهم الحور العين ، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم ، ما لم يخوضوا فى حديث غيره ويتفرقوا »

---

(١) آل عمران : ١٩ (٢) تأتى متتابعة (٣) الملوان : الليل والنهار .

وأنشـدوا :

إذا طيـب الناس المجالـس بينهـم — مـداما وريحانا فـذكرك طيبـنا
ولـو كانت الدنيـا نصـبا لأهلـها — فحبك من كل الأماني نصيبنا
وإن كان حب الخلق بعضا لبعضهم — فأنت من الخلق الجميع حبيبـنا

إخواننا طوبى لمن رزق لسانا رطبا بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله ، طوبى لمـن رزقـه مولانا لسانا مشغـولا بذكر الإلـه الكريم . وبالصلاة على الرؤوف الرحيم .

صيغة الصلاة

روى عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه : « ما قلت البارحة من قول الخيـر ؟ » قال الرجل : يا رسـول الله صلى الله عليك ، قلت : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، حتى لا يبقى من الصلوات شيء ، وارحم محمدا ، وآل محمد ، حتى لا يبقى من الرحمات شيء . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأزقة المدينة » . فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء ، وأفضل الأحباء وأكرم الأصفياء ، وأجل من ولدت النساء ، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء ، وفى الليل إذا يغشى ، وفى النهار إذا تجلى ، وفى الآخرة والأولى .
وأنشدوا :

صـلى الإلـه على خير الأنام ومن — نرجو النجاة به فى موضع العطب
فـهو الشفيع لمـن يرجو شفاعتـه — عند الحساب وعند اللهو والكرب

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أولى الناس بى أكثرهم علىّ صلاة » (١) فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر الإسلام ، وتحصنوا بها من العذاب الغرام (٢) وأطلبوا بها رضا الملك العلام ، وأنشدوا :

ياخـير مـولـود تعاظـم فخـره — وأتـى بأشـرف ملـة وكـتاب
صلى الإله عليك يا خير الـورى — ما أنهل فـى الآفاق قطـر سـحاب
يا خـير مـبعوث إلـى خـير أمـة — وأكـرم مـن يـدعـو لسبل صواب

---

(١) رواه البخارى فى تاريخه ، والترمذى وقال : حسن غريب وابن حبان والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود . (٢) الغرام : اللازم من العذاب

ثلاثة تحت ظل العرش

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « من فرج عن مكروب أمتى ، ومن أحيا سنتى ، ومن أكثر الصلاة علىّ » فاجتهدوا رحمكم الله فى التفريج لهموم المكروبين ، وفى إحياء سنة خاتم النبيين ، وفى الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين .

وأنشدوا :

صلوا على خير الأنام كرامة	وجلالة يا معشر الإسلام
فهو النبى المصطفى علم الهدى	وأدل من يدعو لسبل قوام
نطق الكتاب بفضله وجلاله	وبفضله ننجو من الأسقام
صلوا على خير البرية كلها	ما لاح بدر تحت جنح ظلام
فهو السبيل لدار كل كرامة	وهو الدليل لجنة وسلام
وهو الشفيع لمن يدين بدينه	ولمن يلوذ بملة الإسلام

للصلاة رائحة طيبة

روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنهم قالوا : مامن مجلس يصلى فيه على النبى ﷺ إلا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبى محمد ﷺ .

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلى عليه ﷺ .

وأنشدوا :

تتعطر الأنفاس ما ذكرت	أخباره فى المجلس العطر
سبحان باريه وخالقه	نورا تصور أجمل الصور
المسك منحدر ببردته	والوجة منه طلعة القمر
يا صادقا فيما يخبرنا	بشهادة الأسماع والنظر
سبحان من أنشاك من بشر	يا سيدا للخلق والبشر
القول تتبعه شواهده	والخير مقرون مع الخبر

أنت النبي بلا مدافعة والمصطفى من خيرة البدر

الإمام الشافعي

روى عن أبي جعفر الطحاوى أنه قال : قال عبد الله بن عبد الحكم رأيت الشافعي رضى الله عنه في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي ، وزففت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها ، فقلت له : ما الذى بلغك هذه المنزلة ؟ قال لى : بما فى آخر كتاب « الرسالة » من الصلاة على محمد ﷺ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ فقال لى : وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . قال : فلما أصبحت طلبت كتاب « الرسالة » فوجدت الأمر كما ذكر . وأنشدوا :

صلوا على خير الأنام ومن به تنجو العباد بموقف الأهوال
إن الصلاة على النبى حبيبنا من أفضل الأفعال والأعمال
فهو النبى المصطفى علم الهدى الطيب الأقوال والأفعال

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار ، وخففوا عن ظهوركم ثقل الأوزار [1]، بكثرة الصلاة على النبى المختار .

أبخل الناس

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل علىّ » [2] أعوذ بالله من اللئيم البخيل . الذى يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل ، الذى خصه بالكرامة والتفضيل ، وائتمنه على الإيضاح عن بيان التأويل فى جميع التنزيل . وأنشدوا :

صلوا على القمر المنير إذا بدا فى موكب من حسنه وجماله
لم يخلق الرحمن خلقا مثله فى فضله وبهائه وكماله
ختم النبوة طيبه فختامه مسك تكوّن من نسيم جلاله

---

(١) الأوزار : الذنوب . (٢) أخرجه الحاكم فى تاريخه عن جابر .

صلوا على العلم الذى من أمَّهُ (١) نال المنى وجرى السرور ببالـه
صلـوا علـى بـدر التمام محبـة وكـرامة وجـلالة لجـلالـه
إن الصلاة علـى النبـى سـلامـة وتفـضل وتـوسـل بجـمالـه
وتـــود وتحـــنـن وتشـــوق وتـوسـل وتـقرب لـنوالـه

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة ، فهو الشفيع لنا يوم القيامة .

أنجاكم أكثركم صلاة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم علىّ صلاة » عباد الله الملك الديان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، صلوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن ، لعله يخلصنا من عذاب النيران . وأنشدوا :

صلوا على ماجد جلت (٢) مآثره (٣) وأكثر الخـلق إفضالا وإحسـانا
أتـى العباد وقـد ضـلت مسالكهـم فأوضح الحـق تبيـانا وبرهـانا
وبـين الديـن بالتذكـير مجتهـدا وأظهـر الشرع أحكاما وقـرآنا
وأنقذ الخلق مـن نار السـموم لظـى وأورد الناس جنـات ورضـوانا
لا تبغ طيبا إذا مـا كـنت ذاكـره ولا تـــرد بعـده روحـا وريحانا
فيه الجنان وفيـه الحـسن مجتـمـع والنبل والظرف أشكـالا وألوانا
فالحمـد لله إذ كـنا لـه تبـعا لقـد تفضل بالخيرات مـولانا

ثمرة الصلاة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى علىّ صلاة تعظيما لحقى خلق الله تعالى من ذلك القول ملكا جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الأرض السابعة السفلى وعنقه ملوى تحت العرش يقول الله تعالى له : صل على عبدى كما صلى على نبيى محمد ، فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة » أحبابـــى تحصنـــوا مـن أليـــم العـــذاب ، وارغبـــوا فى جزيـــل الثـــواب ، بالصلاة علـى النبـى الصـــادق

---

(١) أمَّهُ : قَصَدَهُ وتوجه إليه . (٢) كثرت وعظمت (٣) فضائله .

الأواب.اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمدا ﷺحبيباً أقسم بحياته فقال تعالى:﴿ لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾(١) فهذه غاية المحبة. ولما أحب الله تعالى أن يصلى العباد على محمد النبى الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القرى،ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلى على محمد هو وملائكته،ثم أمر بالصلاة عليه أهل الإيمان، لينجيهم بها من عذاب النيران،فقال الملك الرحمن فى محكم القرآن:﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾(٢) فكأنه قال جل وتعالى.عبدى قد أعلمتك أنى أصلى على محمد حبيبى وملائكتى تصلى عليه،فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب،جعلت له من الجنة أوفر نصيب،وكان رفيقا وجارا لأبى القاسم الحبيب . وأنشدوا :

صلى الإله بعظمه وجلاله ... ثم الملائكة الكرام على النبى
فهو الحبيب لربنا رب العــلا ... وهو الدليل لجنة لا تختبـــى

الملائكة تستغفر للمصلى

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد ﷺفتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش،فلا يبقى ملك فى السموات إلا صلى على محمدﷺ،ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة ما دام العبد أو الأمة يصلى على النبىﷺ. وأنشدوا :

صلُّوا بنا يا معشرَ الإسـلامِ ... على النبى الواضح الأحكامِ
نطقَ الكتابَ بفضله وجلاله ... وبفضله ننجوا من الإجـرامِ

حكى عن بعضهم أنه قال:كنتَ عند أبى بكر بن مجاهد جالسا إذ أقبل الشبلى فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه، فقلت: يا سيدى تفعل هذا بالشبلى وأهل بغداد يقولون عنــه إنــه مجنون؟ ! فقال: قـد فعلت بـه كما رأيت رسول اللهﷺ يفعل بـه، وذلك أنـى رأيـت رسول الله ﷺ فـى المنـام وقـد أقبـل الشبلـى فقـام النبـى ﷺ فعانقـه وقبـله بـين عينيـه ، فقلت له: يا رسول الله تفعل هذا بالشبلى ؟!

(١) الحجر : ٧٢ (٢) الأحزاب : ٥٦

فقال ﷺ :نعم لأنه يقرأ فى آخر كل صلاة ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (١) الآية . ثم يتبعها بالصلاة على . وأنشدوا :

صلاة رب كريم ماجد صمد ... على النبى الذى قد نال تفضيلا
صلى عليه إله العرش خالقنا ... جاء الكتاب بذا وحيا وتنزيلا
فهو الدليل لأهل الخير كلهم ... لمن أراد إلى الفردوس تحويلا
ومن أراد فرارا عن تمرده ... ومن أراد له الرحمن توصيلا
هذا بيان لأهل الفضل كلهم ... يعجلون لدار الخلد تعجيلا

عباد الله ارغبوا فى هذا الملك الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل ، النبى السيد النبيل ، الذى جاء بالوحى والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل، وجاءه الأمين جبريل ، بالتكريم والتفضيل ، وأسرى به الجليل ، فى الليل البهيم (٢) الطويل . كشف له عن أعلا الملكوت ، وأراه أسنى الجبروت ، ونظر إلى قدرة الحى الذى لا يموت . فلقد رأى فى ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى ، وانتهى إلى سدرة المنتهى . وأنشدوا :

صلوا على خير الأنام محمد ... فهو الدليل إلى السبيل المرشد
صلى عليه الرب ما دام الدجى ... ومضى النهار وفى الظلام الأسود

إبلاغ الصلاة إلى الله

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى أعطى ملكا من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة ،فليس أحد من أمتى يصلى على إلا قال ذلك الملك: يا محمد فلان بن فلان يصلى عليك صلى الله عليك، وضمن لى الرب عز وجل أن من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا، وإن زاد زاده الله » (٣)
فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الحميم ، والفوز والخلد فى جنات النعيم ، فأكثروا من الصلاة على النبى الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم .

---

(١) التوبة : ١٢٨ (٢) المظلم
(٣) أخرجه ابن النجار عن عمار بن ياسر

صلاة الملائكة

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على صلت عليه الملائكة ، ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه ربه ، فليقل العبد أو ليكثر » (١) واعلموا أن الفاجر الشقى الذى يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبى ﷺ وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه . نعوذ بالله من لسان جامد ، عن الصلاة على النبى ﷺ رسول الملك الماجد ، العزيز الفرد الصمد الواحد. وأنشدوا :

صلوا على النور البهى محـــمد   إن الصلاة عليه تنجى من لــظـى
فهو الدليل إذا اهتديـت نـــوره   وهو الرسول فذاك مصباح الهـدى

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى وهب ذنوبكم عند الاستغفار ، فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال : « لا إله إلا الله » رجح ميزانه ، ومن صلى على كنت شفيعه يوم القيامة » عباد الله ارغبوا فى الشفاعة ، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة ، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السنة والجماعة . وأنشدوا :

مـن كان يعلـم أن الله خالقــه   ومحمـدا قـد جـاء بالقـــرآن
فليكـثر التسليم بعــد صلاتــه   للطيــب المبعــوث بالتبيـــان
الهاشمــى الأبطحى محمـــد   خـــير الأنـام وزيـن كـل مكـان

من كتب الصلاة فى كتاب

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب » (٢) فيـا مـعشر المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمـؤمـنات أطيعـوا رب الأرضين والموات ، بالصلاة علـى سـيد السـادات. وأنشدوا :

جد بالصلاة على خير الورى كرما   ذاك النبـى الذى قد جاء بالنـــور

---

(١) رواه أحمد بنحوه عن ابن عمرو وإسناده حسن ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عامر بن ربيعة .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه بشر بن عبيد الدارسى كذبه الأزدى وغيره .

فهـو الإمام لأهـل الحـق كلهـم   وهو الدليل على الولدان والحـور

الصلاة تبلغه عن العباد

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « تباهوا بالصلاة على فإنها تبلغنى » فبلغوا صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم ، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته، وأن يجعلكم من أمته ، وأن يجعله شفيعكم من النار ، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار ، إلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى وكّل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال الملكان مجيبين : آمين ، فيقول الله تعالى جوابا للملكين : آمين ، ولا أذكر عند أحد فلا يصلى على إلا قال الملكان : لا غفر الله لك ، فيقول الله تعالى وملائكته جوابا لقول الملكين : آمين » (١) فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبى الفاضل الزكى ولا يصلى عليه ، ﷺ وملائكته وبلغ سلامنا إليه . وأنشدوا :

صلوا بنا فى الليل والنهـــــــار   علـى النبـى الصـادق المختـار
أسرى به الرحمن فى جنح الدجى   قـد جـاء فـى القرآن والآثـار
الهاشمى المصطفى خير الـــورى   الطائـــع الأواب للجبــــار
صلوا على المبعوث يا أهل النهـــى   مـــن جـاء بالتنزيل والأخبـار

حسنات الحرم

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات من حسنات الحرم » قيل : يارسول الله وما حسنات الحرم ؟ قال « الحسنة بسبعمائة حسنة » يا أخى هذا والله قول يسير وثواب كبير .

الصلاة صلة تعارف

روى عن النبىﷺ أنه قال: « ليردن على أقوام يوم القيامة عند حوضى ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علىّ » عباد الله أنتم ترون نبيكم وحبيبكم وصفيكم ، فأكثروا

(١) رواه الطبرانى وفيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب .

من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لأن الصلاة عليه نور لصاحبه يوم القيامة ، فعلى قدر الصلاة على الهاشمى القرشى التهامى الأمى الأبطحى يكون النور المضىء الذى يعرف به المؤمن التقى ، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبى ، فهو مبعد مطرود شقى ، يا إخوانى فى الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل ، وجعل أصلها الخليل ، وجعل خلالها [1] التفضيل ، وزينها بالتنزيل،وجعل رفيقها جبريل ، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل . أصولها عربية ، وأغصانها مُضَرِيّة ، وأوراقها قرشية ، وثمرتها تهامية ، وغرسها الملك الديان ، وأخضع لها جميع الإنس والجان ، فصلوا عليه يامعشر الإخوان .

وأنشدوا :

الله فضل خير الخلق بالكرم وأفضل الناس من عرب ومن عجم

هو النبى الذى فاقت فضائله وخصه الله بالتنزيل والحكـــــم

اختصه بكتاب بين علـــم هدى العباد به من غمة الظلـــم

الله فضله الله أكرمـــــــه الله أرسله من جمـــــــلة الأمم

صلوا عليه عباد الله كلكموا إن الصلاة له تنجى من النقـــم

عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ .

طيب مجلس صُلّى فيه عليه

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ما جلس قوم مجلسا فتفرقوا عن غير صلاة على إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار » فإذا كان المجلس الذى لا يصلى فيه على النبى ﷺ تفرق أهله عن أنتن من جيفة حمار ، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار . وذلك أن النبى ﷺ كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين ، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك ، فكذلك مجلس يذكر فيه النبى ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهى إلى العرش ويجد كل من خلق الله ريحها فى الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل

(١) خصالها .

منهم بلذته عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ، ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات، ويرفع لهم درجات ، سواء كان بالمجلس واحد أو مائه أو ألف كل واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد ، وما عند الله تعالى أكثر . فيا أحباب رسول الله ﷺ صلوا على حبيب غُذّى بماء الوصال ، وكسى ثوب الجمال والكمال ، وزين بكتاب الكريم المتعال .

حكاية نساخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : كان لى جار نساخ فمات فرأيته فى المنام فى حالة حسنة ، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى على ما كان منى ، فقلت له: بما كان ذلك ؟ فقال : كنت إذا كتبت اسم النبى ﷺ صليت عليه ﷺ فغفر لى بذلك وأعطانى مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ تسليما كثيرا . وأنشدوا:

نور النبى علا على الأنوار ... فهو الدليل لسبل دار قوام
صلوا عليه لعلكم تنجوا بــــه ... يوم الحساب وكشفه الأســرار
صلوا على القمر المنير إذا بدا ... فهو الحبيب لربنا الجبـــــــار
صلوا على نور تكون بالهـــد ... فهــو الشفيع لصاحـــب الأوزار

عباد الله ارغبوا فيما رغبكم فيه الملك القهار ، من فضل الصلاة على نبيه المختار ولا تغفلوا عن الصلاةعليه بالليل والنهار ، فإن الله ينجيكم بها من عذاب النار ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، الصلاة على النبى فضيلة جزيلة ، والصلاة على أصحابه سنة وفضيلة ، والصلاة على الملائكة قربة ووسيلة، صلوا رحمكم الله على النبى الرفيع ، والنور البديع والحبيب الشفيع ،أكرم من ولد ، وأعز من فقد . وأنشدوا :

صلاة رب ماجد وهــــــاب ... علــى النبــى الصـــادق الأواب
صلوا على المختار أنوار الهدى ... صـلوا عليـه معشر الأحبـــــاب
صلوا على النور البهى محمد ... صلـوا عليـه جماعـة الأصحاب

عدد الصلاة عليه

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة مرة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى على ألفا ، حرمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت فى القبر عند المسألة، وجاءت صلاته على نورا يضىء له الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وبنى الله له بكل صلاة صلاها على قصرا فى الجنة قل ذلك أو كثر » وأنشدوا :

صلوا على المختار من آل هاشـــم ... وخير نبى خصه بالمكـــــــارم
ومن بين الرحمن فى الذكر فضله ... وأوضح نور العدل بعد التظالــــم
وأرسله الجبار للناس كافـــــــة ... مبين محض [١] الحل بعد المحارم
فذاك لدين الله حصن وملجـــــأ ... وذاك على الأعداء ليث بصـــارم

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال ، وفكروا رقابكم من السلاسل والأغلال وارغبوا فى نعيم دار الخلد والجلال ، بصلاتكم على النبى محمد رسول الكبير المتعا

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة » فارغوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان ، بإدمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن ، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان ، نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على محمد ، وإذا أراد الله بعبد خيرا بل لسانه بذكره ، وبالصلاة على محمد حبيه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه . صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة ، الآمر بالمعروف والاستقامة ، الشفيع لأهل الذنوب فى عرصات [٢] القيامة . اللهم صل على محمد الزاهد ، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاة دائمة منتهى الآباد ، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينا بها من جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

صلوا على هذا النبــى الأوضـــح ... الهاشمى الأبطـحى الأفصـــح
إن الصلاة علــى الشفيع محمد ... تبــدى الفلاح مع النجاح الأنجح
فتكثروا مــن ذكره أهل النهى [٣] ... لا تبتغــوا بدلا بذكر الأرجـــح

---

(١) خالص (٢) ساحة الموقف يوم الحساب (٣) النهى العقول.

روى عن رسول الله أنه قال : « من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة على ، فإن الله يستحى أن يرد عبده فى حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين على ، صلاة قبل السؤال وصلاة بعد السؤال » وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ .

اللهم صل على محمد صلاة تزلف بها مثواه ، وتشرف بها عقباه ، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه

صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة فى قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (١) كأنه يقول : من خيركم نفسا ، وأطهركم قلبا ، وأصدقكم قولا وأزكاكم فعلا ، وأثبتكم أصلا ، وأوفاكم عهدا ، وأمكنكم مجدا ، من أكرمكم طبعا ، وأحسنكم صنعا ، وأطيبكم فرعا ، وأكثركم طاعة وسمعا . من أعلاكم مقاما ، وأحلاكم كلاما ، وأوفاكم زماما ، وأزكاكم سلاما . من أجلكم قدرا ، وأعظمكم فخرا ، وأكثركم شكرا ، وأرفعكم ذكرا ، وأعلاكم أمرا ، وأجملكم صبرا ، وأحسنكم خبرا ، وأقربكم بشرا. من أبعدكم مكانا ، وأعظمكم شأنا ، وأرجحكم ميزانا ، وأولكم إيمانا ، وأوضحكم بيانا ، وأفضلكم لسانا ، وأظهركم سلطانا ، وأبينكم برهانا . من أرسخكم قدما ، وأبينكم علما وأوصلكم رحما ، وأبركم قسما ، وأبعدكم كرما ، وأرعاكم ذمما. من أسطعكم نورا ، وأنوركم سرورا ، وأجملكم حبورا ، وأفضلكم حيا ومقبورا.

صيغة للصلاة

اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة ، وجعلته إليك أكبر وسيلة ، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة ، وأعليته إلى المرتبة الجليلة ، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة . اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجابا ، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثابا ، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية بابا . اللهم صل على محمد عدد

(١) التوبة : ١٢٨

قطر الأمطار ، وعدد رمال الأودية والقفار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد زبد البحار ، وعدد مياه الأنهار ، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار ، وعدد أهل الجنة وأهل النار ، وعدد الأبرار والفجار ، وعدد ما يختلج فى الليل والنهار ، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجابا من عذاب دار البوار ، وسببا لإباحة دار القرار . اللهم صل على محمد النبى المختار ، وسيد الأبرار ، وزين المرسلين الأخيار . وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، أبى القاسم النبى الصادق المختار . اللهم صل عليه عدد من صلى عليه ، وعدد من لم يصل عليه ، كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل عليه كما تحب أن يصلى على، وصل عليه كما ينبغى أن يصلى عليه . اللهم صلى على النبى الصادق الأواب ، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحاب . وتوفنا اللهم على سنته ، واجعلنا من أهل ولايته ، وانفعنا بهدايته وعنايته ، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار ، والطيبين الأخيار ، آمين آمين ، يا أرحم الراحمين .

مجلس ثانى من المجلس السابع عشر: فى قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسموا تسليما ﴾ (١)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ، ومحمد ﷺ وليا ، وحبيبا ونبيا وصفيا ، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام ، وصلّت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام ، فصلوا بنا معشر الأنام ، على محمد عليه السلام، رسول ذى الإجلال والإكرام ، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام (٢) .
واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام إلا نور الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وشرح صدره ، ويسر أمره ، فأكثروا من الصلاة لعل الله يجعكم من أهل ملته ، ويستعملكم بسنته ، ويجعله رفيقنا جميعا فى جنته ، فهو المتفضل علينا برحمته .

فى الصلاة عشر كرامات

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات : إحداهن: صلاة الملك الجبار ، والثانية : شفاعة النبى المختار ، والثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار ، والرابعة : مخالفة المنافقين والكفار ، والخامسة : محو الخطايا والأوزار ، والسادسة : قضاء الحوائج والأوطار ، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار ، والثامنة : النجاة من عذاب دار البوار ، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار ، والعاشرة : سلام الملك الغفار .

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ ، وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (١) تقدير الآية : أنتم خير أمة أخرجت للناس .

أحاديث فى فضل الصلاة على النبى ﷺ

وقال رسول الله ﷺ : « وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله » (٢) فأخبر الله تعالى أنه قال : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ (٣) يعنى محمدا ﷺ ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار ، ووافق أمر الجبار .

وأما محو الخطايا والأوزار : فما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على فى يوم الجمعة مائة مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى على مرة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام » .

وأما قضاء الحوائج والأوطار ، فما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الدعاء بين الصلاتين لا يرد »

وروى أن رجلا قال : يا رسول الله أى الدعاء أفضل ؟ قال : « الصلاة علىّ » قال : أجعل ثلث عبادتى الصلاة عليك ؟ فقال ﷺ : « إذا هديت » قال : أجعل ثلث عبادتى الصلاة عليك ؟ قال ﷺ : « إذا كفيت » قال : أجعل جميع عبادتى الصلاة عليك ؟ قال « من جعل جميع عبادته الصلاة علىّ قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة » (٤)وهذا كله مع أداء الفرائض .

الصلاة تنور القلب

وأما تنوير الظواهر والأسرار : فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أكثر الصلاة على نور الله قلبه » وذلك أن الذنوب تسود القلوب، لأن العبد إذا عمل ذنبا صار نكتة سوداء فى قلبه ، فإذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله ، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد ﷺ غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال ، فإذا غفرت ذنوبه زال السواد عن قلبه وبدا فيه النور ، لأن

---

(١) آل عمران : ١١٠ (٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم . (٣) البقرة : ٨٣

(٤) رواه الطبرانى بإسناد حسن وفى آخره قال : أجعل لك صلاتى كلها ، فقال ﷺ : إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك »

الإسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبى ﷺ ، وذلك أنه لو قال عبد : لا أرى الصلاة على النبى ﷺ واجبة لكان كافرا ورادا على الله ، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ (١) فهذا بيان واضح من الله ..وأنشدوا :

نور القلوب يزيد عند صلاتنا ... للهاشمى فنوره لا ينجلـــى

فضياؤنا من ضوء نور محمد ... صلوا على ذاك النبى الأفضـل

حكاية فى كثرة الصلاة على النبى

روى عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فصحبنى رجل فى الطريق كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يجيء ولا يذهب ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا يتطهر ولا ينام ، ولا يتصرف فى شيء إلا أكثر من الصلاة على محمد ﷺ ، فسألته عن ذلك فقال : أحدثك بعجب عجيب ، خرجت مرة إلى مكة معى والدى فنزلنا منزلا فى موضع من منازل الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول : يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سود وجهه ، فانتبهت فزعا مرعوبا مما سمعت ، فإذا هو راقد وقد غطى وجهه، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود، فاشتد حزنى لذلك وتحيرت فى أمره ، فغلب على النوم ، فإذا أنا بأربعة سودان (٢) عند رأسه، وأربعة عند رجليه ، بأيديهم أعمدة من حديد من نار،وهم يريدون عذابه ، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدى مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذى كنا فيه،وأقبل على السودان فانتهرهم وقال : تنحوا عنه ، فتنحى السودان عنه من ساعتهم ، وغابوا عنى فلم أرهم ، ثم أقبل على والدى فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضا من الثلج ، والنور قد علا وجهه ، ثم أقبل علىّ فقال لى : بيّض الله وجه أبيك وزال عنه السواد فقلت له : من أنت فجزاك الله عنه خيرا؟ ، قال: أنا محمد رسول الله، فقلت له : يا رسول الله ﷺ ما كان السبب فى مجيئك إليه ؟ فقال ﷺ : أمـــا والدك فكــان مسرفا علــى نفسه غير أنــه كـــان يكثـر مـن الصــلاة علــىّ، فلمـــا نـزل بـــه مـا نـزل استغـاث بـى وأنـا غيـاث

(١) الزمر : ٢٢ (٢) سود الوجوه

لمن أكثر الصلاة على ، فقمت من نومى فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض ، فأخذت فى أمره وشرعت فى دفنه ، فما تركت الصلاة على النبى ﷺ بعد ذلك . فإذا كانت الصلاة على النبى ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات ، فأولى أن تورث تنوير القلوب فى الحياة ، وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نورا ، وقد سماه فى كتابه سراجا منيرا [(١)] ، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب ، قال الله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ [(٢)] ، ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب ، قال تعالى : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [(٣)] فمالكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة ، والنعمة الدائمة الجزيلة ؟ . وأنشدوا :

صلوا على نور تزايد فخـــــره	يعلو على الأنوار والألباب
محمد زين الخلق شرقا ومغربـــا	وخير شفيع ناطق بصواب
وخير حبيب للإله نبيـــــــنا	وخير رسول عامل بكتاب
أتى الخلق والأصنام تعبد جهرة	وبوأهم إبليس شر مـــــآب
فأنقذ بالنور البهى عبـــــــاده	وبوأهم بالدين حسن مآب
فصلوا على خير الخلائق كلهم	لتستوجوا يا قوم خير ثواب

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد ﷺ لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا يسر لسانه للصلاة على محمد ﷺ وإذا أراد بعبده شرا حبس لسانه عن الصلاة على محمد ﷺ فيكون ذلك سببا لسواد وجهه ، كما أن الصلاة لتنوير القلب .

الصلاة تحل العقد

وأما قضاء الحوائج والأوطار : فما روى أن رسول الله ﷺ قال : « من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة علىّ فإنها تحل العقد ، وتكشف الهم والحزن ، وتكثر الأرزاق » وأنشدوا :

كم بالصلاة عليه فاز من رجل	وكم رأيت بها فى الشدة الفرجا

(١) قال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ (الأحزاب : ٤٥ - ٤٦) (٢) الزمر : ٢٢ (٣) النور : ٤٠

الصراط والصلاة على النبى

وأما النجاة من عذاب دار البوار : فما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الصلاة علىّ نور على الصراط » (١) ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان ، وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ رسول الملك الرحمن ، فلا يكون من أهل الهوان فى سموم النيران ، بل يكون من أهل الأمان فى نعيم الجنان .

وأما دخول دار الراحة والقرار فما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من ترك الصلاة علىّ فقد أخطأ طريق الجنة » فالله الله عباد الله يا إخوانى تثبتوا واجتهدوا فى الصلاة على خير العباد ، وفخر البلاد ، وزين الحشر والمعاد ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذى ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد . ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل ، والملك الدائم الجليل ، بالصلاة على النبى الأصيل ، الذى نعته فى التوراة والإنجيل ، واحمدوا الله الذى فضلكم بالنبى الرؤوف الرحيم ، الذى جاء بالقرآن الواضح الحكيم ، المهيمن القديم ، من عند الملك العزيز الكريم ، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم ، وينجينا من العذاب الأليم ، فى سواء الجحيم ، مأوى كل كفار أثيم ، ومنزل كل شيطان رجيم ، وعدو فاسق فاجر لئيم .

جهنم والصلاة على النبى

ذكر فى بعض الأخبار أنه إذا كان فى يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم،فإذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرت إلى أهل المعاصى اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض، وأختى (٢) بعضها على بعض ،وغلا بعضها على بعض ، زفرت زفرة فلا يبقى غل ولا قيد ولا سلسلة ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل على ظهرها ، وقلبت الزبانية على وجوههم ، وانهزم مالك (٣) عليه السلام من بين يديها ، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، ولا ولى ولا صفى إلا جثا على ركبتيه ، وفر الناس كلهم هاربين ، ونبينا ﷺ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام ، وهو ﷺ يلوح إليها بكمه ويقول : كفى عن أمتى كفى عن أمتى ، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب

---

(١) تقدم تخريجه (٢) إلتفت (٣) مالك : هو خازن النار .

به ﷺ وهو يقول : يا نبى الله أنقذنى من عذاب الله ، فيقول له ﷺ : ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت ؟ فيقول : يا رسول الله غلبت على شقوتى ، فيقول ﷺ : لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاة علىّ ، فيشفع له عند الله تعالى ، فإذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت . فإذا كانت جهنم أخمدها الجبار ، من نور وجه النبى المختار ، فكيف لا تطفىء الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والأوزار ؟ ، وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران ، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران ؟،وإذا كان نور وجه محمد النبى ﷺ أخمد سموم الجحيم ، فكيف لا تورد الصلاة عليه المقام الكريم، والنظر إلى وجه الحكيم العليم ؟.
وأنشدوا :

يا من تمرد فى الأيام منهمكا صلوا على المصطفى يا أكرم الأمم
صلوا عليه لعل الله يرحمكـم يوم الحساب ويوم الكرب والزحـم
إن الصلاة على المختار قارئـة لقلب صاحبها جزءا من الحكـم
فهو الشهيد لأهل الجمع كلهم وهو الدليل إلى الفردوس والنعـم

الصلاة بشارة بالجنة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة » [١] وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد صلى الله عليه وسلم أو سمع بذكره فلا يصلى عليه . وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول ، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة . فإذا كان العبد عاجزا لنفسه فهو لغيره أعجز . وأما سلام الرحيم القهار ، فهو إن كل من كان مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى : ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وتحيتهم فيها سلاما ﴾ [٣] وقوله ﴿ ويلقون فيها تحية وسلامـا ﴾ [٤] ، و ﴿ تحيتهم يـوم يلقونـه سـلام ﴾ [٥].

(١) أخرجه أبو الشيخ عن أنس (٢) يس : ٥٨
(٣) يونس : ١٠ (٤) الفرقان : ٧٥ (٥) الأحزاب : ٤٤

ما للمصلى عند الله

وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال : فسجد لله شكرا .

فالعبد يجزى بالسلام على النبى المختار ، سلام الملك الجبار . وأنشدوا :

يا راكبا نحو المدينة قاصـــــدا | بلغ صلاتى للنبى محمـــــد
وقل السلام عليك يا علم الهدى | فهو الدليل إلى الشفيع الأجود
إن الذى ورث النبوة والهـــدى | فهو الدليل لكل عبد مرشـــد
صلى عليه الله ما هبت صـــبا | وترنمت ورقا بصوت تغـــرد

نكت فى فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على نبى الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكتا كثيرة ، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبى الرشيد ، السيد السديد ، مجرى شهادة التوحيد، قال تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾ (١)..، . وهكذا قال رب القريب والبعيد ، وفى الصلاة على النبى ﷺ الصادق الرشيد : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ (٢) إشارة حسنة ونكتة مليحة .

قال الله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ (٣) ولم يقل : أذكركم عشر مرات ، وقال تعالى وجل وعلا : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٤) وقد قال ﷺ : « من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا » (٥) فكأن الله سبحانه وتعالى يقول : عبدى إذا أثنيت على مرة أثنيت عليك مرة ، وإذا أثنيت على حبيبى مرة أثنيت عليك عشرا لأنه أكرم الخلق علىّ وأجلهم (٦) عندى .

ثانية : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ (٧)...،

---

(١) آل عمران : ١٨ (٢) الأحزاب : ٥٦ (٣) البقرة : ١٥٢

(٤) الحشر : ٧ (٥) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة .

(٦) أعظمهم وأعلاهم قدرا

(٧) الأحزاب : ٥٦

و قال فى المؤمنين ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكتُهُ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ (١) بصلاتكم على النبى المحبوب . وأنشدوا :

فأكثروا التسليم بعد صلاتكم ... للسيد المختار ذاك الأمجد
ومن يك ذا بخل شديد بذكره ... فذاك عن الحق المنير مبعد

كاشفة الكرب

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من عسر عليه شيئ فليكثر من الصلاة على فإنها تحل العقد ، وتكشف الكرب ، »فى دار الإمتحان ، فأولى أن تنجى فى الآخرة من النيران فى الدار الباقية

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من صلى على مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام » فأكثروا من الصلاة عليه يأهل ملته . صلى الله عليه وسلم صلاة مقرونة بالكمال ، والحسن والجمال ، والخير والإفضال

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أكثركم علّى صلاةً أكثركم أزواجاً فى الجنة » فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وارعوا فى المقام الأمين ، والتمتع بالحور العين ، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين .

من أكثر الصلاة عليه

روى عن النلى ﷺ أنه قال : « أكثركم على صلاة أقربكم منى مجلساً » وفى هذا الحديث إشارة حسنة ، وهى أن من قرب فى الآخرة من النبى نظر إلى وجه العزيز الجبار ، ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار ، وقرب من النبى المختار ، زحزح جسمه عن النار ، وأسكن دار الراحة والقرار ، فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، لا يذوقون فيها طعم الحِمام (٢) ، ولا يجدون ضر الأسقام (٣) ، ولا تلحقهم فتور الآلام ، وقد أمنوا من الزوال والانتقال ، ورضى عنهم الكبير المتعال سبحانه وتعالى جل ذو الجلال.

---

(١) الأحزاب : ٤٣ (٢) الحِمام : الموت (٣) الأسقام : الأمراض

وأنشدوا :

صلى الإله ومن يحف بعرشـــــه ... والطيبون على المبارك أحمـــد
فما حملت من ناقة فوق رحلهـا ... أبر وأوفى ذمة من محمـــــد
ولا طلعت شمس النهار على امرئ ... تقى نقى كالنبـى محمـــــد
ولا لاحت الجوزاء شرقا ومغربـــاً ... بأطيب من طيب النبى محمد

روى عن النبى ﷺ أنه قال: أكثروا من الصلاة على فإنها تطفئ غضب الجبار» فأولى أن تطفئ عن المصلى عليه ﷺ فى الدنيا كيد الشيطان الفرار. عباد الله الزموا هذه الفضائل ، وارغبوا فى هذه المنازل ، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل ، بالصلاة على النبى المختار من أشرف القبائل ، الذى أوضح الله به الدلائل ، وجعله إليه أكبر الوسائل .

حب النبى علـى الأنـام فريضـــة ... لا تنس ذكر الهاشمى الأكرم
إن الصلاة علـى النبـى وسيلـــة ... فيها النجاة لكل عبد مسلـــم
صـلُّوا علـى القمـر المنيـر فإنـــه ... نور تبدى فـى الغمام المظلـم
رحـم العبـاد بـه عزيـز قـــادر ... فالشكر لله العلى المنعـــــم

الصلاة والدعاء

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلى على عقيب سؤاله ، فترجع الحاجة على سحابة ، فإذا صلى علىَّ قضيت حاجته ، واستجيبت دعوته ، وتفتحت له أبواب السماء »، فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ تقضى فى الدنيا الحاجات ، فالأولى أن تنجى صاحبها فى الآخرة من العذاب والعقوبات ، وتدخله الجنات العاليات ،

روى عن النبى ﷺ أنه قال « كل دعاء محجوب دون السماء ، فإذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء » (١) ياأحبائى والله إذا صعد الدعاء ، ارتفع البلاء ورضى إله الأرض والسماء .

---

(١) أخرجه الديلمى عن أنس بنحوه

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تجعلونى كقدح الراكب ، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه ، وملأ قدحه ، فإذا كانت له حاجه فى أن يتوضأ أو يشرب شرب وإلا أهرقه ، فاجعلونى فى وسط الدعاء وفى أوله وفى آخره » ومعنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبى ﷺ ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاءه ، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب . فيجب على من هو من أهل ملة محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبى ﷺ.

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاه على فإنها تهين كيد الشيطان» فأولى أن تدفع عن المصلى عليه آفات الزمان ، وتحول بينه وبين عذاب النيران ، وتوجب له دار الخلد والأمان وجنة النعيم والرضوان ، وأنشدوا :

إمدح نبى الهدى يا أيها الرجل ... واذكر فضائله والدمع منهمـــــر

وصل دهرا على المختار مجتهدا ... تحت الظلام وداجى الليل منسبل

عساك تحظى بدار لا نفاد لهـا ... نعيمها دائم والظل والأكـــــل

فائدة الصلاة على النبى

توسلوا بالصلاة على النبى الرفيق ، والحبيب الشفيق ، يغفر لكم مولاكم ما عملتم من الآثام ، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام ، توسلوا بالصلاة على النبى المختار ، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار ، وينجيكم مولاكم من سموم النار ، ويدخلكم برحمته جنات تجرى من تحتها الأنهار ، توسلوا بالصلاة على النبى الصادق الأواب [(١)] ، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب ، ويدخلكم الجنة وحسن المآب [(٢)] . توسلوا بالصلاة على النبى الرشيد ، ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد ، ويدخلكم برحمته النعيم الذى لا يبيد . توسلوا بالصلاة على النبى البر الرؤف الرحيم ، يدخلكم مولاكم جنات النعيم ، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم .

روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : الصلاة على النبى ﷺ أمحق

(١) الكثير التوبة والرجوع إلى الله (٢) المرجع والمصير

للذنوب من الماء البارد للنار ، والصلاة على النبى ﷺ أفضل من عتق الرقاب ، فاسمعوا وعوا يا أولى العقول والألباب . وأنشدوا :

تواترت الخيرات شرقاً ومغرباً   بذكر رسول الله فى السر والجهر
فذكرك للمختار فخر ورفعة   وذكرك للمختار من أفضل الذكر

ذكر فى بعض الأخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات بعض المؤمنين وسيئاتهم فى الميزان ، فترجح سيئاتهم على حسناتهم ، فيشفق المؤمنون لذلك ، فتنزل صحائف بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم فترجح حسناتهم على سيئاتهم فيقول الرب جل جلاله : هذه صلاتكم على النبى محمد ﷺ ثقلت بها موازينكم ، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة . فهذا يا إخوانى فضل الله العظيم ، بالصلاة على الرسول الرؤوف الرحيم .

ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبى ﷺ بأمته ما روى عنه ﷺ أنه كان فى بعض الأيام جالساً فقرأ هذه الآية ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) فبكى رسول الله ﷺ ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له : يا محمد م بكاؤك ؟ فقال ﷺ : « فكرت فى أمتى » فقال جبريل : يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك : أنا أسترضيك فى أمتك (٢) . يا أحبابى نبيكم عند مولاكم مكين ، ومولاكم ذو القوة المتين وإنك يا أخى عبد مهين ،فهل رأيتم مهينا يعذب بين مكين ومتين ؟! مولاكم عظيم ونبيكم كريم ، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم ؟! فصلوا عليه كما أمركم مولاكم فى القرآن الحكيم . يا أمة محمد ﷺ مولاكم لطيف ونبيكم سيد شريف ، وأنت يامؤمن عبد ضعيف ، فهل رأيتم ضعيفاً يضيع بين لطيف وشريف ؟! وأنشدوا :

يا إلهى عسى تكون مجيرى   بصلاتى على البشير النذير
إننى خائف كئيب حزين   أن أصْلى بحرِ نار السعير

---

(١) المائدة : ١١٨   (٢) رواه ابن أبى حاتم

أيها الناس بادروا ثم جدوا بصلاة على السراج المنير
ذاك خير الأنام جاء بصدق وكتاب من السميع البصير
فيه أمر وفيه نهى وفيه ما يؤدى إلى النعيم الكبير
لا تملوا من الصلاة عليه سوف تنجوا من حر نار الرفير
ثم تحظوا بها بدار نعيم ليس تبلى من عند رب قدير

المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة ألا يدع الصلاة على النبى ﷺ حيناً ولا وقتاً ، ولا يذكرها فى الشدائد ويدعها فى الرخاء ، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة ، إنما يجب عليك أن تصلى عليه فى صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك ، وأكلك وشرابك ، وسائر تصرفاتك ، فتعود عليك بركتها ، وتقبل عليك خيراتها ، وتقضى بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان تصلى بها كلها عليه ، لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار ، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار .

مهر حواء أم البشر

ذكر فى بعض الأخبار أن آدم عليه السلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ، فقال آدم : يارب من هذا الذى كتبت اسمه مع اسمك ؟ فقال الله تعالى : يا آدم هو نبيى وصفيى وهو حبيبى ، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً ، فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال : يارب زوجنى منها ، فقال الله تعالى : وما مهرها يا آدم ؟ ، فقال : يارب ما أعلم ، قال الله تبارك وتعالى : يا آدم صلِّ على محمد عشر مرات ، فصلى آدم عليه كم أمره الجبار جل جلاله ، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لأَمَة الملك الجبار ، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحور العين فى دار القرار ، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار ، لأنه قال ﷺ : « أكثركم علىَّ صلاة أكثركم أزواجا فى الجنة » .

إشارات وبشارات

إشارة حسنة : وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار ، لأن الله إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم .

إشارة أخرى : قال الله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ (١) وقوله : ﴿ وكأن لم تغن بالأمس ﴾ (٢) فإذا جاءت الساعة بعذابها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى فى جنب العذاب ، حتى تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نبات قط ، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحمة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين فى جنبها كأن لم تكن قط ، هذا فى رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف فى عشر مرات ؟! لأن النبى ﷺ قال : « من صلى على مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات »(٣) فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات بكثرة صلاتهم على سيد السادات، وخير البريات.

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبى ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم وبالاً وحسرةً يوم القيامة» (٤) فتزينوا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم ﷺ .

مكفرات الذنوب

روى عن النبى ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه فى مرقاة من المنبر فقال آمين، وقال : آمين فى الدرج الثانى،وقال: آمين فى الدرج الثالث،ثم قال ﷺ: « جاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله ، فقلت : آمين ثم قال:يامحمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله ، قلت : آمين، ثم قال : يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله ، فقلت آمين» (٥)

---

(١) يونس : ٢٤ (٢) يونس : ٢٤ (٣) تقدم تخريجه

(٤) أخرجه الحاكم ، وفى آخره : « إلا كان ذلك عليهم ترة »

(٥) تقدم تخريجه

روى عن النبى ﷺ المختار : « من صلى عَلَىّ لم يلج النار »

اللهم صلى على محمد ما اتصلت عين بنظر ، وتزخرفت أرض بمطر ، وحجّ حاج واعتمر ، ولبّى ونحر ،وحلق وقصر ، وطاف بالبيت وقبّلَ الحجر .

اللهم صلى عليه وعلى آله صلاة لا نفاد لها ولا انقطاع ، صلى الله عليه عدد من يصلى عليه ، وعدد من لم يُصَلِّ عليه إلى يوم القيامة ، وصلى عليه عدد الذاكرين ، وغفلة الغافلين ، وحشرنا وجميع المسلمين ، فى زمرته يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

آخر التحقيق ..،وكتبه مجدى محمد الشهاوى،غفر الله له ولوالديه وللمسلمين ، ولمن دعا له ، آمين.....﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين ﴾ (١)....، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢)

مجدى محمد الشهاوى

شرباص . فارسكور . دمياط

بريد (٣٤٧٢١)

هاتف : ٨٥٢٠٢٦ - ٤٤٠٨٩٧ (٠٥٧)

محلى (٦٧٨٩)

(١) الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢

(٢) إستفدت بالنسخة المطبوعة بالمكتبة المحمودية بمصر ، وهى أقدم ما عثرت عليه من نسخ الكتاب وقابلت بينها وبين بعض النسخ المطبوعة حديثاً ، وكان الفراغ من تحقيقه فى ١٩٩٣/١٢/٢٦ .
(المحقق)

فهرس الكتاب

رقم الايداع ١٨٨١ / ٩٤
977-5387-35-3